تفسير النسفي

للإمام الجليل العلامة أبي البركات
عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي
عليه سحائب الرحمة
والرضوان

الجزء الرابع

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة يس مكية وهى ثلاث وثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يٰسٓ) عن ابن عباس رضى الله عنهما معناه يا إنسان فى لغة طيئ وعن ابن الحنفية يامحمد وفى الحديث: ان الله سمانى فى القرآن بسبعة أسماء: محمدوأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله. وقيل ياسيد . ياسين بالإمالة على وحمزة وخلف وحماد ويحيى (وَالْقُرْءَانِ) قسم (الْحَكِيمِ) ذى الحكمة أو لأنه دليل ناطق بالحكمة أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) جواب القسم وهو رد على الكفار حين قالوا: لست مرسلا (عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) خبر بعد خبر أوصلة للمرسلين أى الذين أرسلوا على صراط مستقيم أى طريقة مستقيمة وهو الإسلام (تَنزِيلَ) بنصب اللام شامى وكوفى غيرأبى بكر على اقرأ تنزيل أو على أنه مصدر أى نزل تنزيل وغيرهم بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو تنزيل والمصدر بمعنى المفعول (الْعَزِيزِ) الغالب بفصاحة نظم كتابه أوهام ذوى العناد (الرَّحِيمِ) الجاذب بلطافة معنى خطابه أفهام أولى الرشاد واللام فى (لِتُنذِرَ قَوْمًا) متصل بمعنى المرسلين أى أرسلت لتنذر قوما (مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ) ما نافية عند الجمهور أى قوما غير منذر آباؤهم على الوصف بدليل قوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك ـ وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير. أوموصولة منصوبة على المفعول الثانى أى العذاب الذى أنذره آباؤهم كقوله إنا أنذرنا كم عذابا قريبا أومصدرية أى لتنذر قوما إنذار آبائهم أى مثل إنذار آبائهم (فَهُمْ غَٰفِلُونَ) إن جعلت ما نافية فهو متعلق بالنفى أى لم ينذروا فهم غافلون وإلا فهو متعلق بقوله: إنك لمن المرسلين لتنذر. كما تقول أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنه غافل أو فهو غافل (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) يعنى قوله: لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين.

أى تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لأنهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنه لاسبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين فى أنهم لايلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رءوسهم له وكالحاصلين بين سدين لايبصرون ماقدامهم ولا ماخلفهم فى أن لاتأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر فى آيات الله بقوله (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ)معناه فالأغلال واصلة إلى الأذقان ملزوزة إليها (فَهُم مُّقْمَحُونَ)مرفوعة رءوسهم يقال قمح البعير فهو قامح إذا روى ورفع رأسه وهذا لأن طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة إلى الذقن فلا يخليه يطأطىء رأسه فلا يزال مقمحا (وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا)بفتح السين حمزة وعلى وحفص وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح، وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم (فَأَغْشَيْنَٰهُمْ) فأغشينا أبصارهم أى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة (فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) الحق والرشاد وقيل نزلت فى بنى مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره (وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)أى سواء عليهم الإنذار وتركه والمعنى من أضله الله هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار وروى أن عمر بن عبد العزيز قرأ الآية على غيلان القدرى فقال كأنى لم أقرأها أشهدك أنى تائب عن قولى فى القدر فقال عمر اللهم إن صدق فتب عليه وإن كذب فسلط عليه من لا يرحمه فأخذه هشام بن عبد الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ)أى إنما ينتفع بإنذارك من اتبع القرآن(وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ)وخاف عقاب الله ولم يره (فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ)وهى العفو عن ذنوبه(وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) أى الجنة (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ) نبعثهم بعد مماتهم أو نخرجهم من الشرك إلى الإيمان (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا) ماأسلفوا من الأعمال الصالحات وغيرها (وَءَاثَٰرَهُمْ) ماهلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبيس حبسوه أو رباط أو مسجد صنعوه أو سيىء كوظيفة وظفها بعض الظلمة وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله

تعالى ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هى خطاهم إلى الجمعة أو إلى الجماعة (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ) عددناه وبيناه (فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) يعنى اللوح المحفوظ لأنه أصل الكتب ومقتداها (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ) ومثل لهم من قولهم عندى من هذا الضرب كذا أى من هذا المثال وهذه الأشياء على ضرب واحد أى على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أى أنطاكية أى اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثانى بيان للأول وانتصاب (إِذْ) بأنه بدل من أصحاب القرية (جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ) رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها بعثهم دعاة إلى الحق وكانوا عبدة أوثان (إِذْ) بدل من إذ الأولى (أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ) أى أرسل عيسى بأمرنا (اثْنَيْنِ) صادقا وصدوقا فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسأل عن حالهما فقالا نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ابن مريض مدة سنتين فمسحاه فقام، فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على أيديهما خلق كثير فدعاهما الملك وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغنى أنك حبست رجلين فهل سمعت قولهما قال لا فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذى خلق كل شىء ورزق كل حى وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل مايشاء ويحكم مايريد قال وما آيتكما قالا مايتمنى الملك فدعا بغلام أكمه فدعوا الله فأبصر الغلام فقال له شمعون أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال الملك ليس لى عنك سر إن إلهنا لايسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال إنى أدخلت فى سبعة أودية من النار لما مت عليه من الشرك وأنا أحذركم ماأنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا (فَكَذَّبُوهُمَا) فكذب أصحاب القرية الرسولين

(فَعَزَّزْنَا) فقويناهما، فعزَزنا أبو بكرمن عزّه يعزّه إذا غلبه أى فغلبناوقهرنا (بِثَالِثٍ) وهو شمعون وترك ذكر المفعول به لأن المراد ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل وإذا كان الكلام منصبا إلى غرض من الأغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه كأن ماسواه مرفوض (فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ) أى قال الثلاثة لأهل القرية (قَالُوا) أى أصحاب القرية (مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا) رفع بشر هنا ونصب فى قوله ماهذا بشراً لانتقاض النفى بإلا فلم يبق لما شبه بليس وهو الموجب لعمله (وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ) أى وحيا (إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ) ماأنتم إلا كذبة (قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) أكد الثانى باللام دون الأول لأن الأول ابتداء إخبار والثانى جواب عن إنكار فيحتاج إلى زيادة تأكيد وربنا يعلم جارمجرى القسم فى التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله (وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ) أى التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة بصحته (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) تشاءمنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فإن أصابهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هذا وبركة ذلك وقيل حبس عنهم المطر فقالوا ذلك (لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا) عن مقالتكم هذه (لَنَرْجُمَنَّكُمْ) لنقتلنكم أو لنطردنكم أو لنشتمنكم (وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) وليصيبنكم عذاب النار وهو أشد عذاب (قَالُوا طَٰئِرُكُم) أى سبب شؤمكم (مَّعَكُمْ) وهو الكفر (أَئِن) بهمزة الاستفهام وحرف الشرط كوفى وشامى (ذُكِّرْتُم) وعظتم ودعيتم إلى الإسلام وجواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم، آين بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبوعمرو، وأين بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكى ونافع ذكرتم بالتخفيف يزيد (بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) مجاوزون الحد فى العصيان فمن ثم أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم مسرفون فى ضلالكم وغيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ) هو حبيب النجار وكان فى غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال أتسألون على ماجئتم به أجرا قالوا لا (قَالَ يَٰقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا) على تبليغ الرسالة (وَهُم مُّهْتَدُونَ) أى الرسل فقالوا أو أنت على دين هؤلاء فقال

(وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى) خلقنى (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) وإليه مرجعكم، ومالى حمزة (ءَأَتَّخِذُ) بهمزتين كوفى (مِن دُونِهِ ءَالِهَةً) يعنى الأصنام (إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ) شرط جوابه (لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ) من مكروه، ولا ينقذونى فاسمونى فى الحالين يعقوب (إِنِّى إِذًا) أى إذا اتخذت (لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ) ظاهر بين ولما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم (إِنِّى ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) أى اسمعوا إيمانى لتشهدوا لى به ولما قتل (قِيلَ) له (ادْخُلِ الْجَنَّةَ) وقبره فى سوق أنطاكية ولم يقل قيل له لأن الكلام سيق لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلوما وفيه دلالة أن الجنة مخلوقة. وقال الحسن لما أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله إليه وهو فى الجنة ولا يموت إلا بفناء السموات والأرض فلما دخل الجنة ورأى نعيمها (قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى) أى بمغفرة ربى لى أو بالذى غفرلى (وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ) بالجنة (وَمَا أَنزَلْنَا) ما نافيه (عَلَىٰ قَوْمِهِ) قوم حبيب (مِن بَعْدِهِ) أى من بعد قتله أو رفعه (مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ) لتعذيبهم (وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ) وما كان يصح فى حكمتنا أن ننزل فى إهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لأن الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك (إِن كَانَتْ) الأخذة أو العقوبة (إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً) صاح جبريل عليه السلام صيحة واحدة (فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ) ميتون كما تخمد النار والمعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لإهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق (يَٰحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ) الحسرة شدة الندم وهذا نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالى ياحسرة فهذه من أحوالك التى حقك أن تحضرى فيها وهى حال استهزائهم بالرسل والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرن ويتلهف على حالهم المتلهفون أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين (أَلَمْ يَرَوْا) ألم يعلموا (كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ) كم نصب بأهلكنا ويروا معلق عن العمل فى كم لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لأن أصلها الاستفهام إلا أن معناه نافذ فى الجملة وقوله (أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ) بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم (وَإِن

كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ)لما بالتشديد شامى وعاصم وحمزة بمعنى إلا وإن نافية وغيرهم بالتخفيف على أن ما صلة للتأكيد وإن مخففة من الثقيلة وهى متلقاة باللام لامحالة والتنوين فى كل عوض من المضاف إليه والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب أومعذبون وإنما أخبر عن كل بجميع لأن كلا يفيد معنى الإحاطة والجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع يعنى أن المحشر يجمعهم (وَءَايَةٌ لَّهُمُ) مبتدأ وخبر أى وعلامة تدل على أن الله يبعث الموتى إحياء الأرض الميتة ويجوز أن يرتفع آية بالابتداء ولهم صفتها وخبرها (الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ) اليابسة وبالتشديد مدنى (أَحْيَيْنَٰهَا) بالمطر وهو استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الأرض والليل بالفعل لأنه أريد بهما جنسان مطلقان لاأرض وليل بأعيانهما فعوملا معاملة النكرات فى وصفهما بالأفعال ونحوه :

* ولقد أمر على اللئيم يسبنى * (وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا) أريد به الجنس (فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ) قدم الظرف ليدل على أن الحب هو الشىء الذى يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الإنس وإذا قل جاء القحط ووقع الضر وإذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء (وَجَعَلْنَا فِيهَا) فى الأرض (جَنَّٰتٍ) بساتين (مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ) من زائدة عند الأخفش وعند غيره المفعول محذوف تقديره ماينتفعون به (لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ) والضمير لله تعالى أى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر. من ثُمُره حمزة وعلى (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) أى ومما عملته أيديهم من الغرس والسقى والتلقيح وغير ذلك من الأعمال إلى أن يبلغ الثمر منتهاه يعنى أن الثمر فى نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بنى آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريق الالتفات ويجوز أن يرجع الضمير إلى النخيل وتترك الأعناب غير مرجوع إليها لأنه علم أنها فى حكم النخيل مما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة .

فيها خطوط من بياض وبلق كأنه فى الجلد توليع البهق

فقيل له فقال أردت كأن ذاك، وما عملت كوفى غير حفص وهى فى مصاحف أهل الكوفة كذلك وفى مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير وقيل ما نافيه على أن الثمر

خلق الله ولم تعمله أيدى الناس ولا يقدرون عليه (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) استبطاء وحث على شكر النعمة (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ) الأصناف (كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ) من النخيل والشجر والزرع والثمر (وَمِنْ أَنفُسِهِمْ) الأولاد ذكوراً وإناثاً (وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها فى الأودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس (وَءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) نخرج منه النهار إخراجاً لا يبقى معه شيء من ضوء النهار أو ننزع عنه الضوء نزع القميص الأبيض فيعرى نفس الزمان كشخص زنجى أسود لأن أصل ما بين السماء والأرض من الهواء الظلمة فاكتسى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم أسرج فيه فإذا غاب السراج أظلم (فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ) داخلون فى الظلام (وَالشَّمْسُ تَجْرِى) وآية لهم الشمس تجرى (لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا) لحد لها موقت مقدر تنتهى إليه من فلكها فى آخر السنة شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو لحد لها من مسيرها كل يوم فى مرأى عيوننا وهو المغرب أو لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا (ذَٰلِكَ) الجرى على ذلك التقدير والحساب الدقيق (تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) الغالب بقدرته على كل مقدور (الْعَلِيمِ) بكل معلوم (وَالْقَمَرَ) نصب بفعل يفسره (قَدَّرْنَـٰهُ) وبالرفع مكي ونافع وأبو عمرو وسهل على الابتداء والخبر قدرناه أو على وآية لهم القمر (مَنَازِلَ) وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر ولا بد فى قدرناه منازل من تقدير مضاف لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل أى قدرنا نوره فيزيد وينقص أو قدرنا مسيره منازل فيكون ظرفاً فإذا كان فى آخر منازله دق واستقوس (حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ) هو عود الشمراخ إذا يبس واعوج ووزنه فعلون من الانعراج وهو الانعطاف (الْقَدِيمِ) العتيق المحول وإذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه القمر به من ثلاثة أوجه (لَا الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَا) أى لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم (أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ) فتجتمع معه فى وقت واحد وتداخله فى سلطانه فتطمس نوره لأن لكل واحد من النيرين سلطاناً على حياله فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل (وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) ولا يسبق الليل النهار أى آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن تقوم القيامة فيجمع

الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها (وَكُلٌّ) التنوين فيه عوض من المضاف إليه أى وكلهم والضمير للشموس والأقمار (فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) يسيرون (وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) ذرياتهم مدنى وشامى (فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) أى المملوء والمراد بالذرية الأولاد ومن يهمهم حمله وكانوا يبعثونهم إلى التجارات فى بر أو بحر أو الآباء لأنها من الأضداد والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام وقيل معنى حمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين وفى أصلابهم هم وذرياتهم . وإنما ذكر ذرياتهم دونهم لأنه أبلغ فى الامتنان عليهم (وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ) من مثل الفلك (مَا يَرْكَبُونَ) من الإبل وهى سفائن البر (وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ) فى البحر (فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ) فلا مغيث أو فلا إغاثة (وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ) لا ينجون (إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ) أى ولا ينقذون إلا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة إلى انقضاء الأجل، فهما منصوبان على المفعول له (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ) أى ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر مما أنتم تعملون من بعد أو من مثل الوقائع التى ابتليت بها الأمم المكذبة بأنبيائها وما خلفكم من أمر الساعة أو فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب إذا مضمر أى أعرضوا وجاز حذفه لأن قوله (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) يدل عليه ومن الأولى لتأكيد النفى والثانية للتبعيض أى ودأبهم الإعراض عند كل آية وموعظة (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) لمشركى مكة (أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) أى تصدقوا على الفقراء (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ) عن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن (إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ) أى وعد البعث والقيامة (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) فيما تقولون خطاب للنبى وأصحابه (مَا يَنظُرُونَ) ينتظرون (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) هى النفخة الأولى (تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه إذا غلبه فى الخصومة وشدد الباقون الصاد أى يخصّمون بإدغام التاء فى الصاد لكنه مع فتح الخاء مكى بنقل حركة التاء المدغمة إليها وبسكون الخاء مدنى

وبكسر الياء والخاء يحيى فأتبع الياء الخاء فى الكسر وبفتح الياء وكسر الخاء غيرهم والمعنى تأخذهم وبعضهم يخصم بعضا فى معاملاتهم (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) فلا يستطيعون أن يوصوا فى شيء من أمورهم توصية (وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) ولا يقدرون على الرجوع إلى منازلهم بل يموتون حيث يسمعون الصيحة (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) هى النفخة الثانية والصور القرن أو جمع صورة (فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ) أى القبور (إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ) يعدون بكسر السين وضمها (قَالُوا) أى الكفار (يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا) من أنشرنا (مِن مَّرْقَدِنَا)أى مضجعنا، وقف لازم عن حفص وعن مجاهد للكفار مضجعة يجدون فيها طعم النوم فإذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا (هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) كلام الملائكة أو المتقين أو الكافرين يتذكرون ماسمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا، ومامصدرية ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق أو موصولة وتقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون أى والذى صدق فيه المرسلون (إِن كَانَتْ) النفخة الأخيرة (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ) للحساب ثم ذكر مايقال لهم فى ذلك اليوم (فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ) بضمتين كوفى وشامى وبضمة وسكون مكى ونافع وأبو عمرو [1] والمعنى فى شغل فى أى شغل وفى شغل لا يوصف، وهو افتضاض الأبكار على شط الأنهار تحت الأشجار أو ضرب الأوتار أو ضيافة الجبار (فَاكِهُونَ) خبر ثان فكهون يزيد، والفاكه والفكه: المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لأنها مما يتلذذ به وكذا الفكاهة (هُمْ) مبتدأ (وَأَزْوَاجُهُمْ) عطف عليه (فِي ظِلَالٍ) حال جمع ظل وهو الموضع الذى لاتقع عليه الشمس كذئب وذئاب أو جمع ظلة كبرمة وبرام دليله قراءة حمزة وعلى، ظُلَل جمع ظلة وهى ماسترك عن الشمس (عَلَى الْأَرَائِكِ) جمع الأريكة وهى السرير فى الحجلة أو الفراش فيها (مُتَّكِئُونَ) خبر أو فى ظلال خبر وعلى الأرائك مستأنف (لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ) يفتعلون من الدعاء أى كل مايدعو به أهل الجنة يأتيهم أو يتمنون من قولهم ادع على ماشئت أى تمنه على عن الفراء هو من الدعوى ولا يدعون مالا يستحقون (سَلَامٌ) بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم

(١) فى نسخة خطية: والمعنى فى أى شغل فى شغل لا يوصف، وهى أظهر .

(قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ) والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما لهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لايمنعونه. قال ابن عباس: والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين (وَامْتَٰزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لايرى ولا يرى أبدا ويقول لهم يوم القيامة (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِى ءَادَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَٰنَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) العهد الوصية وعهد إليه إذا وصاه وعهد الله إليهم ماركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم (وَأَنِ اعْبُدُونِى) وحدونى وأطيعونى (هَٰذَا) إشارة إلى ماعهد إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن (صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ) أى صراط بليغ فى استقامته ولا صراط أقوم منه (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ) بكسر الجيم والباء والتشديد مدنى وعاصم وسهل جبلا بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب جُبْلاً مخففا شامى وأبو عمرو وجُبُلاً بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم وهذه لغات فى معنى الخلق (كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل (هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ) بها (اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) ادخلوها بكفركم وإنكاركم لها (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَٰهِهِمْ) أى نمنعهم من الكلام (وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) روى أنهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم، وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة إنى لاأجيز علىّ إلا شاهدا من نفسى فيختم على فيه ويقال لأركانه أنطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكُنّ وسحقا فعنكن كنت أناضل (وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ) لأعميناهم وأذهبنا أبصارهم والطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة (فَاسْتَبَقُوا الصِّرَٰطَ) على حذف الجار وإيصال الفعل والأصل فاستبقوا إلى الصراط (فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ) فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم (وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ) قردة أو خنازير أو حجارة (عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ) على مكاناتهم أبو بكر وحماد والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أى لمسخناهم فى منازلهم حيث يجترحون المآثم

(فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ) فلم يقدروا على ذهاب ولا مجىء أو مضيا أمامهم ولا يرجعون خلفهم (وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ)عاصم وحمزة، والتنكيس: جعل الشىء أعلاه أسفله الباقون نَنْكُسه (فِي الْخَلْقِ)أى نقلبه فيه بمعنى من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفا وبدل الشباب هرما وذلك أنا خلقناه على ضعف فى جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فإذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع إلى حال شبيهة بحال الصبى فى ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عزوجل: ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) أن من قدر على أن ينقلهم من الشباب إلى الهرم ومن القوة إلى الضعف ومن رجاحة العقل إلى الخرف وقلة التمييز قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويميتهم بعد الموت ، وبالتاء مدنى ويعقوب وسهل وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ شاعر فنزل (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ) أى وما علمنا النبى عليه السلام قول الشعراء أو وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية فلا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققته (وَمَا يَنبَغِي لَهُ) وما يصح له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه أى جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميا لا يهتدى إلى الخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وأما قوله .

أنا النبى لاكذب أنا ابن عبد المطلب

وقوله :

هل أنت إلا أصبع دميت وفى سبيل الله مالقيت

فما هو إلا من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف إلا أنه اتفق من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه أن جاء موزونا كما يتفق فى خطب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها أحد شعراً لأن صاحبه لم يقصد الوزن ولا بد منه على أنه عليه السلام قال لقيت بالسكون ، وفتح الباء فى كذب وخفض الباء فى المطلب ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال (إِنْ هُوَ) أى المعلم (إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ

أى ماهو إلا ذكر من الله يوعظ به الإنس والجن وما هو إلا قرآن كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين (لِّيُنذِرَ) القرآن أو الرسول لتنذر مدنى وشامى وسهل ويعقوب (مَن كَانَ حَيًّا) عاقلا متأملا لأن الغافل كالميت أو حيا بالقلب (وَيَحِقَّ الْقَوْلُ) وتجب كلمة العذاب (عَلَى الْكَافِرِينَ) الذين لايتأملون وهم فى حكم الأموات (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا) أى مما تولينا نحن إحداثه ولم يقدر على توليه غيرنا (فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) أى خلقناها لأجلهم فملكناها إياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها أو فهم لها ضابطون قاهرون (وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ) وصيرناها منقادة لهم وإلا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله تعالى وتسخيره لها ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ) وهو مايركب (وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) أى سخرناها لهم ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها (وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) من الجلود والأوبار وغير ذلك (وَمَشَارِبُ) من اللبن وهو جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشراب (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) الله على إنعام الأنعام (وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ) أى لعل أصنامهم تنصرهم إذا حزبهم أمر (لَا يَسْتَطِيعُونَ) أى آلهتهم (نَصْرَهُمْ) نصر عابديهم (وَهُمْ لَهُمْ) أى الكفار للأصنام (جُندٌ) أعوان وشيعة (مُّحْضَرُونَ) يخدمونهم ويذبون عنهم أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والأمر على خلاف ماتوهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لأنهم يجملون وقود النار (فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ) وبضم الياء وكسر الزاى نافع من حزنه وأحزنه يعنى فلا يهمك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ) من عداوتهم (وَمَا يُعْلِنُونَ) وإنا مجازوهم عليه فحق مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر فى نفسه صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن ومن زعم أن من قرأ أنانعلم بالفتح فسدت صلاته وإن اعتقد معناه كفر فقد أخطأ لأنه يمكن حمله على حذف لام التعليل وهو كثير فى القرآن والشعر وفى كل كلام وعليه تلبية رسول الله ﷺ أن الحمد والنعمة لك ، كسر أبو حنيفة وفتح الشافعى رحمة الله عليهما وكلاهما تعليل فإن قلت إن كان المفتوح بدلا من قولهم

كأنه قيل فلا يحزنك أنا نعلم مايسرون وما يعلنون ففساده ظاهر قلت : هذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لايدوران على كسر إن وفتحها وإنما يدوران على تقديرك فتفصل إن فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر معنى البدل كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم إن قدرته كاسرا أو فاتحا على ماعظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه إلا نهى رسول الله ﷺ عن الحزن على علمه تعالى بسرهم وعلانيتهم، والنهى عن حزنه ليس إثباتا لحزنه بذلك كما فى قوله: فلا تكونن ظهيرا للكافرين، ولاتكونن من المشركين، ولا تدع مع الله إلها آخر. ونزل فى أبى بن خلف حين أخذ عظما باليا وجعل يفتته بيده ويقول : يامحمد أترى الله يحيى هذا بعدمارم، فقال رسول الله ﷺ «نعم ويبعثك ويدخلك جهنم» (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ) مذرة خارجة من الإحليل الذى هو قناة النجاسة(فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ) بين الخصومة أى فهو على مهانة أصله ودناءة أوله يتصدى لمخاصمة ربه وينكر قدرته على إحياء الميت بعد مارمت عظامه ثم يكون خصامه فى ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر إنشاءه من موات وهو غاية المكابرة (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا) بفته العظم (وَنَسِيَ خَلْقَهُ) من المنى فهو أغرب من إحياء العظم ، المصدر مضاف إلى المفعول أى خلقنا إياه (قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ)هو اسم لمابلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات ولهذا لم يؤنث وقد وقع خبراً لمؤنث ومن يثبت الحياة فى العظام ويقول إن عظام الميتة نجسة لأن الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها يتشبث بهذه الآية وهى عندنا طاهرة وكذا الشعر والعصب لأن الحياة لاتحلها فلايؤثر فيها الموت والمراد بإحياء العظام فى الآية ردها إلى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا) خلقها(أَوَّلَ مَرَّةٍ) أى ابتداء (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ) مخلوق (عَلِيمٌ) لاتخفى عليه أجزاؤه وإن تفرقت فى البر والبحر فيجمعه ويعيده كما كان (الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ) تقدحون ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهى الزناد التى تورى بها الأعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفى أمثالهم فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار لأن المرخ شجر سريع الورى والعفار شجر

تقدح منه النار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى أنثى فتنقدح النار بإذن الله، وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من شجرة إلا وفيها النار إلا العناب لمصلحة الدق للثياب فمن قدر على جمع الماء والنار فى الشجر قدر على المعاقبة بين الموت والحياة فى البشر وإجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب أسهل فى العقل من الجمع معا بلا ترتيب والأخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ثم بين أن من قدر على خلق السموات والأرض مع عظم شأنهما فهو على خلق الأناسى أقدر بقوله (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم) فى الصغر بالإضافة إلى السموات والأرض أو أن يعيدهم لأن المعاد مثل للمبتدأ أو ليس به (بَلَىٰ) أى قل بلى هو قادر على ذلك (وَهُوَ الْخَلَّٰقُ) الكثير المخلوقات (الْعَلِيمُ) الكثير المعلومات (إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ) شأنه (إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن) أن يكونه (فَيَكُونُ) فيحدث أى فهو كائن موجود لامحالة فالحاصل أن المكونات بتخليقه وتكوينه ولكن عبر عن إيجاده بقوله كن من غير أن كان منه كاف ونون وإنما هو بيان لسرعة الإيجاد كأنه يقول كما لا يثقل قول كن عليكم فكذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق وإعادتهم، فيكونَ شامى وعلى عطف على يقول وأما الرفع فلإنها جملة من مبتدأ وخبر لأن تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهى أمره أن يقول له كن (فَسُبْحَٰنَ) تنزيه مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ماقالوا (الَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) أى ملك كل شىء وزيادة الواو والتاء للمبالغة يعنى هو مالك كل شىء (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) تعادون بعد الموت بلا فوت، ترجعون يعقوب . قال عليه الصلاة والسلام «إن لكل شىء قلبا وإن قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة» وقال عليه السلام «من قرأ يس أمام حاجته قضيت له» وقال عليه السلام «من قرأها إن كان جائعا أشبعه الله وإن كان ظمآن أرواه الله وإن كان عريانا ألبسه الله وإن كان خائفا أمنه الله وإن كان مستوحشا آنسه الله وإن كان فقيرا أغناه الله وإن كان فى السجن أخرجه الله وإن كان أسيرا خلصه الله وإن كان ضالا هداه الله وإن كان مديونا قضى الله دينه من خزائنه» وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة والله أعلم .

﴿ سورة والصافات مكية وهى مائة وإحدى، أو اثنتان وثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها فى الصلاة فالزاجرات السحاب سوقا أو عن المعاصى بالإلهام فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد أو بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها فى التهجد وسائر الصلوات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس الغزاة فى سبيل الله التى تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك، وصفا مصدر مؤكد وكذلك زجرا والفاء تدل على ترتيب الصفات فى التفاضل فتفيد الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس وجواب القسم (إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ) قيل هو جواب قولهم أجعل الآلهة إلها واحدا (رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أى هو رب (وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ) أى مطالع الشمس وهى ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم فى مشرق منها وتغرب فى مغرب منها ولا تطلع ولا تغرب فى واحد يومين وأما رب المشرقين ورب المغربين فإنه أراد مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما وأما رب المشرق والمغرب فإنه أراد به الجهة فالمشرق جهه والمغرب جهة (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا) القربى منكم تأنيث الأدنى (بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ) حفص وحمزة على البدل من زينة والمعنى إنا زينا السماء الدنيا بالكواكب، بزينةٍ الكواكبَ أبو بكر على البدل من محل بزينة أو على إضمار أعنى أوعلى إعمال المصدر منونا فى المفعول، بزينةِ الكواكبِ غيرهم بإضافة المصدر إلى الفاعل أى بأن زانتها الكواكب وأصله بزينةٍ الكواكبُ أو على إضافته إلى المفعول أى بأن زان الله الكواكب وحسنها لأنها إنما زينت السماء لحسنها فى أنفسها وأصله بزينةٍ الكواكبَ لقراءة أبى بكر (وَحِفْظًا) محمول على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين أو الفعل المعلل مقدر كأنه قيل وحفظا من كل شيطان قد زيناها بالكواكب أو معناه حفظناها

حفظا (مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ) خارج من الطاعة والضمير فى (لَّا يَسَّمَّعُونَ) لكل شيطان لأنه فى معنى الشياطين، يسَّمَّعون كوفى غير أبى بكر وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وينبغى أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لايقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أويتسمعوا وقيل أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت فى جئتك أن تكرمنى فبقى أن لايسمعوا فحذفت أن وأهدر عملها كما فى قوله * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * وفيه تمسف يجب صون القرآن عن مثله فإن كل واحد من الحذفين غير مردود على انفراده ولكن اجتماعهما منكر والفرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت إليه يتحدث وسمعت حديثه وإلى حديثه أن المعدى بنفسه يفيد الإدراك والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك (إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ) أى الملائكة لأنهم يسكنون السموات والإنس والجن هم الملأ الأسفل لأنهم سكان الأرض (وَيُقْذَفُونَ) يرمون بالشهب (مِن كُلِّ جَانِبٍ) من جميع جوانب السماء من أى جهة صعدوا للاستراق (دُحُورًا) مفعول له أى ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لأن القذف والطرد متقاربان فى المعنى فكأنه قيل يدحرون أوقذفا (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) دائم من الوصوب أى أنهم فى الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم فى الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع ومن فى (إِلَّا مَنْ) فى محل الرفع بدل من الواو فى لا يسمعون أى لايسمع الشياطين إلا الشيطان الذى (خَطِفَ الْخَطْفَةَ) أى سلب السلبة يعنى أخذ شيئا من كلامهم بسرعة (فَأَتْبَعَهُ) لحقه (شِهَابٌ) أى نجم رجم (ثَاقِبٌ) مضىء (فَاسْتَفْتِهِمْ) فاستخبر كفار مكة (أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا) أى أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفى خلقه شدة أو أصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لإنكارهم البعث وأن من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون (أَم مَّنْ خَلَقْنَا) يريد ماذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والأرض وما بينهما وجىء بمن تغليبا للعقلاء على غيرهم ويدل عليه قراءة من قرأ أمسن عددنا بالتشديد والتخفيف (إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ)

لاصق أو لازم وقرىء به وهذا شهادة عليهم بالضعف لأن مايصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده مايتلوه من ذكر إنكارهم البعث (بَلْ عَجِبْتَ) من تكذيبهم إياك(وَيَسْخَرُونَ) هم منك ومن تعجبك أو عجبت من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث، بل عجبتُ حمزة وعلى أى استعظمت والعجب روعة تعترى الإنسان عند استعظام الشيء فجرد لمعنى الاستعظام فى حقه تعالى لأنه لايجوز عليه الروعة أو معناه قل يامحمد بل عجبتُ (وَإِذَا ذُكِّرُوا لاَ يَذْكُرُونَ) ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشيء لايتعظون به (وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً) معجزة كانشقاق القمر ونحوه (يَسْتَسْخِرُونَ) يستدعى بعضهم بعضا أن يسخر منها أو يبالغون فى السخرية (وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا) ماهذا (إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ) ظاهر (أَءِذَا) استفهام إنكار(مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ)أى أنبعث إذا كنا تراباوعظاما(أَوَءَابَاؤُنَا)معطوف على محل ان واسمها أو على الضمير فى مبعوثون والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل أو آباؤنا بسكون الواو مدنى وشامى أى أيبعث واحد منا على المبالغة فى الإنكار (الْأَوَّلُونَ) الأقدمون (قُلْ نَعَمْ) تبعثون. نعِم على وهما لغتان (وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ) صاغرون (فَإِنَّمَا هِيَ) جواب شرط مقدر تقديره إذا كان كذلك فما هى إلا (زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ) وهى لا ترجع إلى شيء إنما هى مبهمة موضحها خبرها ويجوز فإنما البعثة زجرة واحدة وهى النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعى الإبل أو الغنم إذا صاح عليها (فَإِذَاهُمْ) أحياء بصراء (يَنظُرُونَ) إلى سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يحل بهم (وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا) الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة (هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ) أى اليوم الذى ندان فيه أى نجازى بأعمالنا (هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ) يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال (الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ) ثم يحتمل أن يكون هذا يوم الدين إلى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وأن يكون يا ويلنا هذا يوم الدين من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم

(احْشُرُوا) خطاب الله للملائكة (الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (وَأَزْوَاجَهُمْ) أى وأشباههم وقرناءهم من الشياطين أو نساءهم الكافرات والواو بمعنى مع وقيل للعطف وقرىء بالرفع عطفا على الضمير فى ظلموا (وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ) أى الأصنام (فَاهْدُوهُمْ) دلوهم، عن الأصمعى هديته فى الدين هدى وفى الطريق هداية (إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) طريق النار (وَقِفُوهُمْ) احبسوهم (إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ) عن أقوالهم وأفعالهم (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ) أى لا ينصر بعضكم بعضاً وهذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا متناصرين فى الدنيا وقيل هو جواب لأبى جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر وهو فى موضع النصب على الحال أى ما لكم غير متناصرين (بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ) منقادون أو قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) أى التابع على المتبوع (يَتَسَاءَلُونَ) يتخاصمون (قَالُوا) أى الأتباع للمتبوعين (إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) عن القوة والقهر إذ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش أى أنكم كنتم تحملوننا على الضلال وتقسروننا عليه (قَالُوا) أى الرؤساء (بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) أى بل أبيتم أنتم الإيمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ) تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم (بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طَاغِينَ) بل كنتم قوماً مختارين الطغيان (فَحَقَّ عَلَيْنَا) فلزمنا جميعاً (قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ) يعنى وعيد الله بأنا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا ولو حكى الوعيد كما هو لقال إنكم لذائقون ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قوله * فقد زعمت هوازن قل مالى * ولو حكى قولها لقال قل مالك (فَأَغْوَيْنَاكُمْ) فدعوناكم إلى الغى (إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ) فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا (فَإِنَّهُمْ) فإن الأتباع والمتبوعين جميعاً (يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (فِى الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) كما كانوا مشتركين فى الغواية (إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) أى بالمشركين إنا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ) إنهم كانوا إذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبوا إلا الشرك (وَيَقُولُونَ أَئِنَّا) بهمزتين شامى وكوفى (لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ) يعنون محمداً عليه السلام (بَلْ جَاءَ

بِالْحَقِّ) رد على المشركين (وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ) كقوله: مصدقا لما بين يديه. (إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) بلا زيادة (إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ) بفتح اللام كوفى ومدنى وكذا ما بعده أى لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع (أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ فَوَٰكِهُ) فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهى كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعنى أن رزقهم كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات لأن أجسادهم محكمة مخلوقة للأبد فما يأكلونه للتلذذ ويجوز أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله: ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا. والنفس إليه أسكن (وَهُم مُّكْرَمُونَ) منعمون (فِى جَنَّٰتِ النَّعِيمِ) يجوز أن يكون ظرفاً وأن يكون حالا وأن يكون خبراً بعد خبر وكذا (عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ) التقابل أتم للسرور وآنس (يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ) بغير همز أبو عمرو وحمزة فى الوقف وغيرهما بالهمزة يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأساً وعن الأخفش كل كأس فى القرآن فهى الخمر وكذا فى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما (مِّن مَّعِينٍ) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجارى على وجه الأرض الظاهر للعيون وصف بما وصف به الماء لأنه يجرى فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء قال الله تعالى: وأنهار من خمر (بَيْضَآءَ) صفة للكأس (لَذَّةٍ) وصفت باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أوذات لذة (لِّلشَّٰرِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ) أى لا تغتال عقولهم كخمور الدنيا وهو من غاله يغوله غولا إذا أهلكه وأفسده (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ) يسكرون من نزف الشارب إذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف، يُنزِفون على وحمزة أى لا يسكرون أو لا ينزف شرابهم من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه (وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا إلى غيرهم (عِينٌ) جمع عيناء أى نجلاء واسعة العين (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ) مصون شبههن ببيض النعام المكنون فى الصفاء وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور وعطف (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ) يعنى أهل الجنة . (عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ) عطف على يطاف عليهم والمعنى يشربون ويتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال :

وما بقيت من اللذات إلا　　　أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم فى الدنيا إلا أنه جيء به ماضيا على ماعرف فى أخباره (قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ يَقُولُ أَءِنَّكَ) بهمزتين شامى و كوفى (لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ) بيوم الدين (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ) لمجزيون من الدين وهو الجزاء (قَالَ) ذلك القائل (هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ) إلى النار لأريكم ذلك القرين قيل: إن فى الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل النار. أوقال الله تعالى لأهل الجنة :هل أنتم مطلعون إلى النار فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار (فَاطَّلَعَ) المسلم (فَرَءَاهُ) أى قرينه (فِى سَوَآءِ الْجَحِيمِ) فى وسطها (قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ) إن مخففة من الثقيلة وهى تدخل على كاد كما تدخل على كان واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والإرداء الإهلاك. وبالياء فى الحالين يعقوب (وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى) وهى العصمة والتوفيق فى الاستمساك بعروة الإسلام (لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) الفاء للعطف على محذوف تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين والمعنى أن هذه حال المؤمنين وهو أن لايذوقوا إلا الموتة الأولى بخلاف الكفار فإنهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة . وقيل لحكيم ماشر من الموت قال: الذى يتمنى فيه الموت. وهذا قول يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله بمسمع من قرينه ليكون توبيخا له وزيادة تعذيب. وموتتنا نصب على المصدر والاستثناء متصل تقديره ولا نموت إلا مرة أو منقطع وتقديره لكن الموتة الأولى قدكانت فى الدنيا ثم قال لقرينه تقريعا له (إِنَّ هَٰذَا) أى الأمر الذى نحن فيه (لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ثم قال الله عز وجل (لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَٰمِلُونَ) وقيل هو أيضا من كلامه (أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا) تمييز (أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ) أى نعيم الجنة وما فيها من اللذات والطعام والشراب خير نزلا أم شجرة الزقوم خير نزلا والنزل مايقام للنازل بالمكان من الرزق. والزقوم: شجرة مر يكون بتهامة (إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ) محنة وعذابا لهم فى الآخرة أو ابتلاء لهم فى الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ) قيل منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَٰطِينِ) الطلع للنخلة فاستعير لماطلع من شجرة الزقوم من حملها وشبه برءوس الشياطين

للدلالة على تناهيه فى الكراهة وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح فى طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا (فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا) من الشجرة أى من طلعها (فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ) فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا) على أكلها (لَشَوْبًا) لخلطا ولمزاجا (مِنْ حَمِيمٍ) ماء حار يشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال فى صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم والمعنى ثم إنهم يملئون البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون إلا بعد ملىّ تعذيبا لهم بذلك العطش ثم يسقون ماهو أحرو هو الشراب المشوب بالحميم (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ) أى أنهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم وهى الدركات التى أسكنوها إلى شجرة الزقوم فيأكلون إلى أن يمتلئوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون إلى دركاتهم ومعنى التراخى فى ذلك ظاهر (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَىٰ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ) علل استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الدين واتباعهم إياهم فى الضلال وترك اتباع الدليل. والإهراع: الإسراع الشديد كأنهم يحثون حثا (وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ) قبل قومك قريش (أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ) يعنى الأمم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ) أنبياء حذروهم العواقب (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُنذَرِينَ) أى الذين أنذروا وحذروا أى أهلكوا جميعا (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أى إلا الذين آمنوا منهم وأخلصوا لله دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين ولما ذكر إرسال المنذرين فى الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين أتبع ذلك ذكر نوح ودعاءه إياه حين أيس من قومه بقوله (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ) دعانا لننجيه من الغرق وقيل أريد به قوله أنى مغلوب فانتصر (فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ) اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ولقد نادانا نوح فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى إنا أجبناه أحسن الإجابة ونصرناه على أعدائه وانتقمنا منهم بأبلغ مايكون (وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ) ومن آمن به وأولاده (مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) وهو الغرق (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) وقد فنى غيرهم قال قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان من المشرق إلى المغرب ويافث وهو أبو الترك ويأجوج ومأجوج

(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ) من الأمم هذه الكلمة وهي (سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ) يعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكى كقولك قرأت سورة أنزلناها (فِي ٱلْعَٰلَمِينَ) أى ثبت هذه التحية فيهم جميعا ولايخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه فى الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ) علل مجازاته بتلك التكرمة السنية بأنه كان محسنا (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ) ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الإيمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم (ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْأَخَرِينَ) أى الكافرين (وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ) أى من شيعة نوح أى ممن شايعه على أصول الدين أو شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة وما كان بينهما إلا نبيان هود وصالح (إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ) إذ تعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة يعنى وإن ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه (بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) من الشرك أو من آفات القلوب لإبراهيم أو بمحذوف وهو اذكر ومعنى المجىء بقلبه ربه أنه أخلص لله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجىء مثلا لذلك (إِذْ) بدل من الأولى (قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ) أئفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله إفكا وإنما قدم المفعول به على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل فى شركهم ويجوز أن يكون إفكا مفعولا به أى أتريدرن إفكا ثم فسر الإفك بقوله آلهة دون الله على أنها إفك فى نفسها أو حالا أى أتريدون آلهة من دون الله آفكين (فَمَا ظَنُّكُم) أىّ شىء ظنكم (بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) وأنتم تعبدون غيره وما رفع بالابتداء والخبر ظنكم أوفما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقدعبدتم غيره وعلمتم أنه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ) أى نظر فى النجوم راميا ببصره إلى السماء متفكرا فى نفسه كيف يحتال أو أراهم أنه ينظر فى النجوم لاعتقادهم علم النجوم فأوهمهم أنه استدل بأمارة على أنه يسقم (فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) أى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الإسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه فى بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام مافعل وقالوا علم النجوم كان حقا ثم نسخ الاشتغال بمعرفته والكذب

حرام إلا إذا عرّض والذى قاله إبراهيم عليه السلام معراض من الـكلام أى سأسقم أومن الموت فى عنقه سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء. ومات رجل فجأة فقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابى أصحيح مَن الموت فى عنقه أو أراد إنى سقيم النفس لـكفركم كما يقال أنامريض القلب من كذا(فَتَوَلَّوْا) فأعرضوا(عَنْهُ مُدْبِرِينَ) أى مولين الأدبار(فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فمال إليهم سرا (فَقَالَ) استهزاء(أَلَا تَأْكُلُونَ)وكان عندها طعام (مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ والجمع بالواو والنون لما أنه خاطبها خطاب من يعقل (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا) فأقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضربهم ضربا لأن راغ عليهم بمعنى ضربهم أوفراغ عليهم يضربهم ضربا أى ضاربا (بِالْيَمِينِ) أى ضربا شديدا بالقوة لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدها أو بالقوة والمتانة أو بسبب الحلف الذى سبق منه وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم(فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ) إلى إبراهيم(يَزِفُّونَ) يسرعون من الزفيف وهو الإسراع. يُزِفون حمزة من أزفّ إذا دخل فى الزفيف إزفافا فكأنه قد رآه بعضهم يكسرها وبعضهم لم يره فأقبل من رآه مسرعا نحوه ثم جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين فأجابوه على سبيل التعريض بقولهم سمعنافتى يذكرهم يقال له إبراهيم ثم قالوا بأجمعهم نحن نعبدها وأنت تكسرها فأجابهم بقوله (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ) بأيديكم (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) وخلق ماتعملونه من الأصنام أو مامصدرية أى وخلق أعمالـكم وهو دليلنا فى خلق الأفعال أى الله خالقكم وخالق أعمالـكم فلم تعبدون غيره (قَالُوا ابْنُوا لَهُ) أى لأجله (بُنْيَانًا) من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ) فى النار الشديدة وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم(فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا)بالقائه فى النار (فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ) المقهورين عند الإلقاء فخرج من النار (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي) إلى موضع أمرنى بالذهاب إليه (سَيَهْدِينِ) سيرشدنى إلى مافيه صلاحى فى دينى ويعصمنى ويوفقنى. سيهدينى فيهما يعقوب (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) بعض الصالحين يريد الولد لأن لفظ الهبة غلب فى الولد (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) انطوت البشارة على ثلاث على أن الولد غلام ذكر وأنه يبلغ أوان الحلم لأن الصبى لايوصف بالحلم وأنه يكون حليما وأى حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال: ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . ثم استسلم لذلك

(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) بلغ أن يسعى مع أبيه فى أشغاله وحوائجه. ومعه لايتعلق ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعى ولا بالسعى لأن صلة المصدر لاتتقدم عليه فبقى أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعى أى الحد الذى يقدر فيه على السعى قيل مع من قال مع أبيه وكان إذذاك ابن ثلاث عشرة سنة (قَالَ يَٰبُنَيَّ) حفص والباقون بكسر الياء (إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ) وبفتح الياء فيهما حجازى وأبو عمرو قيل له فى المنام اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحى كالوحى فى اليقظة وإنما لم يقل رأيت لأنه رأى مرة بعد مرة فقد قيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روّى فى ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمى يوم عرفة ثم رأى مثل ذلك فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر (فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ) من الرأى على وجه المشاورة لا من رؤية العين ولم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته ولكن ليعلم أيجزع أم يصبر. تُرِى على وحمزة أى ماذا تبصر من رأيك وتبديه (قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) أى ماتؤمر به وقرئ به (سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ) على الذبح روى أن الذبيح قال لأبيه ياأبت خذ بناصيتى واجلس بين كتفى حتى لاأوذيك إذا أصابتنى الشفرة ولا تذبحنى وأنت تنظر فى وجهى عسى أن ترحمنى واجعل وجهى إلى الأرض ويروى اذبحنى وأنا ساجد واقرأ على أمى السلام وإن رأيت أن ترد قميصى على أمى فافعل فإنه عسى أن يكون أسهل لها (فَلَمَّآ أَسْلَمَا) انقادا لأمر الله وخضعا وعن قتادة أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ) صرعه على جبينه ووضع السكين على حلقه فلم يعمل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودى ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا روى أن ذلك المكان عند الصخرة التى بمنى وجواب لما محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين (وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ) أى حققت ماأمرناك به فى المنام من تسليم الولد للذبح كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما لله وشكرهما على ماأنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله أو الجواب قبلنا منه وناديناه معطوف عليه (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ) تعليل لتخويل ماخولهما من الفرج بعد الشدة (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ) الاختبار البين الذى يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة

البينة (وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ) هو مايذبح وعن ابن عباس هو الـكبش الذى قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به إسمعيل وعنه لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس أبناءهم (عَظِيمٍ) ضخم الجثة سمين وهى السنة فى الأضاحى وروى أنه هرب من إبراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة فى الرمى وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر فقال إبراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقى سنة وقد استشهد أبو حنيفة رضى الله عنه بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة والأظهر أن الذبيح إسمعيل وهو قول أبى بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين رضى الله عنهم لقوله عليه السلام «أنا ابن الذبيحين» فأحدهما جده إسمعيل والآخر أبوه عبد الله وذلك أن عبد المطلب نذر إن بلغ بنوه عشرة أن يذبح آخر ولده تقربا وكان عبد الله آخرا ففداه بمائة من الإبل ولأن قرنى الـكبش كانا منوطين فى الـكعبة فى أيدى بنى إسمعيل إلى أن احترق البيت فى زمن الحجاج وابن الزبير وعن الأصمعى أنه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعى أين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وإنما كان إسمعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة وعن على وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين رضى الله عنهم أنه إسحق ويدل عليـه كتاب يعقوب إلى يوسف عليهما السلام من يعقوب إسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله وإنمـا قيل وفديناه وإن كان الفادى إبراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدى منه لأنه الآمر بالذبح لأنه تعالى وهب له الـكبش ليفتدى به وههنا إشكال وهو أنه لا يخلو إما أن يكون ما أتى به إبراهيم عليه السلام من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه فى حكم الذبح أم لا فإن كان فى حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء هو التخليص من الذبح ببدل وإن لم يكن فما معنى قوله قد صدقت الرؤيا وإنما كان يصدقها لو صح منه الذبح أصلا أو بدلا ولم يصح والجواب أنه عليه السلام قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح ولـكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة أن تمضى فيه وهذا لا يقدح فى فعل إبراهيم ووهب الله له الـكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة فى نفس إسمعيل بدلا منه وليس هذا بنسخ منه للحكم كما قال البعض بل ذلك الحـكم كان ثابتاً إلا أن المحل الذى أضيف إليه لم يحله الحـكم على طريق الفداء دون النسخ وكان ذلك ابتلاء ليستقر حكم

الأمر عند المخاطب فى آخر الحال على أن المبتغى منه فى حق الولد أن يصير قرباناً بنسبة الحكم إليه مكرماً بالفداء الحاصل لمرة الذبح مبتلى بالصبر والمجاهدة إلى حال المكاشفة وإنما النسخ بعد استقرار المراد بالأمر لا قبله وقد سمى فداء فى الكتاب لا نسخاً (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ) ولا وقف عليه لأن (سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ) مفعول وتركنا (كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ) ولم يقل إنا كذلك هنا كما فى غيره لأنه قد سبق فى هذه القصة فاستخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا) حال مقدرة من إسحق ولابد من تقدير مضاف محذوف أى وبشرناه بوجود إسحق نبيا أى بأن يوجد مقدرة نبوّته فالعامل فى الحال الوجود لا البشارة (مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ) حال ثانية وورودها على سبيل الثناء لأن كل نبى لابد وأن يكون من الصالحين (وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ) أى أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقيل باركنا على إبراهيم فى أولاده وعلى إسحق بأن أخرجنا من صلبه ألف نبى أولهم يعقوب وآخرهم عيسى عليهم السلام (وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ) مؤمن (وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ) كافر (مُبِينٌ) ظاهر أو محسن إلى الناس وظالم على نفسه بتعديه عن حدود الشرع وفيه تنبيه على أن الخبيث والطيب لايجرى أمرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر وعلى أن الظلم فى أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وأن المرء إنما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من أصله وفرعه (وَلَقَدْ مَنَنَّا) أنعمنا (عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ) بالنبوة (وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا) بنى إسرائيل (مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ) من الغرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم (وَنَصَرْنَٰهُمْ) أى موسى وهرون وقومهما (فَكَانُوا هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ) على فرعون وقومه (وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ) البليغ فى بيانه وهو التوراة (وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ) صراط أهل الإسلام وهى صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْآخِرِينَ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ) هو إلياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى وقيل هو إدريس النبى عليه السلام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وإن إدريس

فى موضع إلياس (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُونَ) ألا تخافون الله (أَتَدْعُونَ) أتعبدون (بَعْلًا) هو علم لصنم كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعاً وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء وكان موضعه يقال له بك فركب وصار بعلبك وهو من بلاد الشأم وقيل فى إلياس والخضر إنهما حيان وقيل إلياس وكل بالفيافى كما وكل الخضر بالبحار، والحسن يقول قد هلك إلياس والخضر ولا تقول كما يقول الناس إنهما حيان (وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) وتتركون عبادة الله الذى هو أحسن المقدرين (اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ) بنصب الكل عراق غير أبى بكر وأبى عمرو على البدل من أحسن وغيرهم بالرفع على الابتداء (فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) فى النار (إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ) من قومه (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْأَخِرِينَ سَلَٰمٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ) أى إلياس وقومه المؤمنين كقولهم الخبيبون يعنى أبا خبيب عبد الله بن الزبير وقومه آل ياسين شامى ونافع لأن ياسين اسم أبى إلياس فأضيف إليه الآل (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عَجُوزًا فِى الْغَٰبِرِينَ) فى الباقين (ثُمَّ دَمَّرْنَا) أهلكنا (الْآخَرِينَ وَإِنَّكُمْ) يا أهل مكة (لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ) داخلين فى الصباح (وَبِالَّيْلِ) والوقف عليه مطلق (أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) يعنى تمرون على منازلهم فى متاجركم إلى الشأم ليلا ونهاراً فما فيكم عقول تعتبرون بها وإنما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما لأن الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين فى آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منفرداً بالسلام (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ) الإباق : الهرب إلى حيث لايهتدى إليه الطلب، فسمى هربه من قومه بغير إذن ربه إباقاً مجازاً (إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) المملوء وكان يونس عليه السلام وعد قومه العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر وركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم البحارون أن السفينة إذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه فى الماء فذلك قوله (فَسَاهَمَ) فقارعهم مرة أو ثلاثا بالسهام والمساهمة : إلقاء السهام على جهة القرعة (فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) المغلوبين بالقرعة (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ) فابتلعه (وَهُوَ مُلِيمٌ)

داخل فى الملامة (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) من الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح أو من القائلين لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين أو من المصلين قبل ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما : كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة. ويقال إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر (لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) الظاهر لبثه حيا إلى يوم البعث وعن قتاده لكان بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة وقد لبث فى بطنه ثلاثة أيام أو سبعة أو أربعين يوما وعن الشعبي التقمه ضحوة ولفظه عشية (فَنَبَذْنَٰهُ بِالْعَرَاءِ) فألقيناه بالمكان الخالى الذى لا شجر فيه ولا نبات (وَهُوَ سَقِيمٌ) عليل مما ناله من التقام الحوت وروى أنه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد (وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً) أى أنبتناها فوقه مظلة له كما يطنّب البيت على الإنسان (مِّن يَقْطِينٍ) الجمهور على أنه القرع وفائدته أن الذباب لا يجتمع عنده وأنه أسرع الأشجار نباتاً وامتداداً وارتفاعاً وقيل لرسول الله ﷺ إنك لتحب القرع قال «أجل هى شجرة أخى يونس» (وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ) المراد به القوم الذين بعث إليهم قبل الالتقام فتكون قد مضمرة (أَوْ يَزِيدُونَ) فى مرأى الناظر أى إذا رآها الرائى قال هى مائة ألف أو أكثر وقال الزجاج قال غير واحد معناه بل يزيدون قال ذلك الفراء وأبو عبيدة ونقل عن ابن عباس كذلك (فَـَٔامَنُوا) به وبما أرسل به (فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ) إلى منتهى آجالهم (فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) معطوف على مثله فى أول السورة أى على فاستفتهم أهم أشد خلقاً وإن تباعدت بينهما المسافة. أمر رسول الله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله تعالى الإناث ولأنفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ) حاضرون تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لأنهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا بإخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر أو معناه أنهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لإفراط جهلهم كأنهم شاهدوا خلقهم (أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ) فى قولهم (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ) بفتح الهمزة للاستفهام وهو استفهام توبيخ وحذفت همزة الوصل

استغناء عنها بهمزة الاستفهام (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) هذا الحكم الفاسد (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص (أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ) حجة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بنات الله (فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ) الذى أنزل عليكم (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) فى دعواكم (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ) بين الله (وَبَيْنَ الْجِنَّةِ) الملائكة لاستتارهم (نَسَبًا) وهو زعمهم أنهم بناته أو قالوا إن الله تزوج من الجن فولدت له الملائكة (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) ولقد علمت الملائكة إن الذين قالوا هذا القول لمحضرون فى النار (سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) نزه نفسه عن الولد والصاحبة (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون من النار وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من واو يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به (فَإِنَّكُمْ) يا أهل مكة (وَمَا تَعْبُدُونَ) ومعبوديكم (مَا أَنتُمْ) وهم جميعاً (عَلَيْهِ) على الله (بِفَٰتِنِينَ) بمضلين (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) بكسر اللام أى لستم تضلون أحداً إلا أصحاب النار الذين سبق فى علمه أنهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها يقال فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وقال الحسن فإنكم أيها القائلون بهذا القول والذى تعبدونه من الأصنام ما أنتم على عبادة الأوثان بمضلين أحداً إلا من قدر عليه أن يصلى الجحيم أى يدخل النار وقيل ما أنتم بمضلين إلا من أوجبت عليه الضلال فى السابقة وما فى ما أنتم نافية ومن فى موضع النصب بفاتنين وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام ووجهه أن يكون جمعاً فحذفت النون للإضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هى واللام فى الجحيم ومن موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه (وَمَا مِنَّا) أحد (إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) فى العبادة لا يتجاوزه فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) نصف أقدامنا فى الصلاة أو نصف حول العرش داعين للمؤمنين (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم فى قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين

وبرءوهم منه وقالوا للكفرة فإذا صح ذلك فإنكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحداً من خلقه وتضلوه إلا من كان من أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة وما نحن إلا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفرا خشوعاً لعظمته ونحن الصافون أقدامنا لعبادته مسبحين ممجدين كما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله ﷺ يعنى وما من المسلمين أحد إلا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً. ثم ذكر أعمالهم وأنهم الذين يصطفون فى الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه (وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ) أى مشركو قريش قبل مبعثه عليه السلام (لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ) أى كتاباً من كتب الأولين الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل (لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) لأخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الأذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب (فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وإن مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وفى ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) الكلمة قوله (إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) وإنما سماها كلمة وهى كلمات لأنها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم فى مقام الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة وعن الحسن ما غلب نبى فى حرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى العقبى والحاصل أن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وإن وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والعبرة للغالب (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) فأعرض عنهم (حَتَّىٰ حِينٍ) إلى مدة يسيرة وهى المدة التى أمهلوا فيها أو إلى يوم بدر أو إلى فتح مكة (وَأَبْصِرْهُمْ) أى أبصر ما ينالهم يومئذ (فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) ذلك وهو للوعيد لا للتبعيد أو انظر إليهم إذا عذبوا فسوف يبصرون ما أنكروا أو أعلمهم فسوف يعلمون (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ) قبل حينه (فَإِذَا نَزَلَ) العذاب (بِسَاحَتِهِمْ) بفنائهم (فَسَاءَ صَبَاحُ

الْمُنذَرِينَ) صباحهم واللام فى المنذرين مبهم فى جنس من أنذروا لأن ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله ﷺ يوم الفتح بمكة. مثّل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصّاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وإن وقعت فى وقت آخر (وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) وإنما ثنى ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد إلى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهى إطلاق الفعلين معاً عن التقييد بالمفعول وأنه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ) أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد أنه ما من عزة لأحد إلا وهو ربها ومالكها كقوله : تعز من تشاء. (عَمَّا يَصِفُونَ) من الولد والصاحبة والشريك (وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) عم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض فى السورة لأن فى تخصيص كل بالذكر تطويلا (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون فى الله ونسبوه إليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه فى العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والمراد تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلّوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن على رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

﴿ سورة صٓ مكية وهى ثمان وثمانون آية كوفى وتسع بصري وست مدنى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(صٓ) ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدى والتنبيه على الإعجاز ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدى عليه كأنه قال (وَالْقُرْءَآنِ ذِى الذِّكْرِ) أى ذى الشرف إنه لكلام معجز ويجوز أن يكون ص خبر مبتدإ محذوف على أنه اسم للسورة كأنه قال هذه ص أى هذه السورة التى أعجزت العرب والقرآن ذى الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بص والقرآن ذى الذكر إنه لمعجز ثم قال (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ) تكبر عن الإذعان لذلك والاعتراف بالحق (وَشِقَاقٍ) خلاف لله ولرسوله والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرىء فى غرة أى فى غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كَمْ أَهْلَكْنَا) وعيد لذوى العزة والشقاق (مِن قَبْلِهِم) من قبل قومك (مِّن قَرْنٍ) من أمة (فَنَادَوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب (وَّلَاتَ) هى لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضيها إما الاسم أو الخبر وامتنع بروزها جميعاً وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الأخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفى الأحيان وقوله (حِينَ مَنَاصٍ) منجا منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم وعندهما أن النصب على تقدير ولات الحين حين مناص أى وليس الحين حين مناص (وَعَجِبُوا أَن جَآءَهُم) من أن جاءهم (مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ) رسول من أنفسهم ينذرهم يعنى استبعدوا أن يكون النبى من البشر (وَقَالَ الْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ) ولم يقل وقالوا إظهاراً للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون فى الكفر المنهمكون فى الغى إذ لا كفر أبلغ من أن يسموا من صدقه الله كاذباً ساحراً ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الأبلج

ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج وروى أن عمر رضى الله عنه لما أسلم فرح به المؤمنون وشق على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفساً من صناديدهم ومشوا إلى أبى طالب وقالوا أنت كبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا فى الإسلام وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبوطالب رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك. فقال عليه السلام: ماذا يسألوننى؟ فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال عليه السلام: أتعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم . قالوا نعم وعشراً أى نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله . فقاموا وقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً أى أصيّر إن هذا لشىء عجاب أى بليغ فى العجب وقيل العجيب ما له مثل والعجاب ما لا مثل له (وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا) وانطلق أشراف قريش عن مجلس أبى طالب بعد ما بكتهم رسول الله ﷺ بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض أن امشوا وأن بمعنى أى لأن المنطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمناً معنى القول (وَاصْبِرُوا عَلَىٰ) عبادة (ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا) الأمر (لَشَىْءٌ يُرَادُ) أى يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر أو إن هذا الأمر لشىء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه (مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا) بالتوحيد (فِى الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ) فى ملة عيسى التى هى آخر الملل لأن النصارى مثلثه غير موحدة أو فى ملة قريش التى أدركنا عليها آباءنا (إِنْ هَٰذَا) ما هذا (إِلَّا اخْتِلَٰقٌ) كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه (أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) القرآن (مِن بَيْنِنَا) أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم حسدا (بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى) من القرآن (بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ) بل لم يذوقوا عذابى بعد فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ أى أنهم لا يصدقون به إلا أن يمسهم العذاب فيصدقون حينئذ (أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ) يعنى ماهم بمالكى خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عمن شاءوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد وإنما الذى يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذى يقسمها

على ما تقتضيه حكمته ثم رشح هذا المعنى فقال (أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) حتى يتكلموا فى الأمور الربانية والتدابير الإلهية التى يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف فى قسمة الرحمة (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَٰبِ) فليصعدوا فى المعارج والطرق التى يتوصل بها إلى السماء حتى يدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحى إلى من يختارون ثم وعد نبيه عليه السلام النصرة عليهم بقوله (جُندٌ) مبتدأ (مَّا) صلة مقوية للنكرة المبتدأة (هُنَالِكَ) إشارة إلى بدر ومصارعهم أو إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك خبر المبتدا (مَهْزُومٌ) مكسور (مِّنَ الْأَحْزَابِ) متعلق بجند أو بمهزوم يريد ما هم إلا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ) قبل أهل مكة (قَوْمُ نُوحٍ) نوحاً (وَعَادٌ) هودا (وَفِرْعَوْنُ) موسى (ذُو الْأَوْتَادِ) قيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب بأربعة أوتاد فى يديه ورجليه (وَثَمُودُ) وهم قوم صالح صالحا (وَقَوْمُ لُوطٍ) لوطا (وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ) الغيضة شعيبا (أُوْلَٰٓئِكَ الْأَحْزَابُ) أراد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب (إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ) ذكر تكذيبهم أولا فى الجملة الخبرية على وجه الإبهام حيث لم يبين المكذب ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها وبيّن المكذب وهم الرسل وذكر أن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأن فى تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد دعوتهم وفى تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع فى تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانياً وما فى الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه ثم قال (فَحَقَّ عِقَابِ) أى فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم . عذابى وعقابى فى الحالين يعقوب (وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ) وما ينتظر أهل مكة ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب (إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً) أى النفخة الأولى وهى الفزع الأكبر (مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ) وبالضم حمزة وعلى أى ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتى الحالب أى إذا جاء

وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما لها من رجوع وترداد من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا) حظنا من الجنة لأنه عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو نصيبنا من العذاب الذى وعدته كقوله: ويستعجلونك بالعذاب . وأصل القط القسط من الشيء لأنه قطعة منه من قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس (قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) فيك وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ) وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقى من عتاب الله ما لقى (ذَا الْأَيْدِ) ذا القوة فى الدين وما يدل على أن الأيد القوة فى الدين قوله (إِنَّهُ أَوَّابٌ) أى رجاع إلى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لذى الأيد روى أنه كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل (إِنَّا سَخَّرْنَا) ذللنا (الْجِبَالَ مَعَهُ) قيل كان تسخيرها أنها تسير معه إذا أراد سيرها إلى حيث يريد (يُسَبِّحْنَ) فى معنى مسبحات على الحال واختار يسبحن على مسبحات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال (بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) أى فى طرفى النهار والعشى وقته العصر إلى الليل والإشراق وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضيء وهو وقته الضحى وأما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولمّا تُشْرِق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية (وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً) وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت فذلك حشرها (كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ) كل واحد من الجبال والطير لأجل داود أى لأجل تسبيحه مسبح لأنها كانت تسبح لتسبيحه ووضع الأواب موضع المسبح لأن الأواب وهو التواب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أى كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبح مرجّع للتسبيح (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) قويناه قيل كان يبيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو

حكمة (وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل والفصل هو التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الأمير وفصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه وجاز أن يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذى يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل وهو كلامه فى القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات. وعن على رضى الله عنه هو الحكم بالبينة على المدعى واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل وعن الشعبى هو قوله أما بعد وهو أول من قال أما بعد فإن من تكلم فى الأمر الذى له شأن يفتتح بذكر الله وتحميده فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد (وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأنباء العجيبة والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع لأنه مصدر فى الأصل تقول خصمه خصما وانتصاب (إِذْ) بمحذوف تقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل (تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ) تصعدوا سوره ونزلوا إليه والسور الحائط المرتفع والمحراب الغرفة أو المسجد أو صدر المسجد (إِذْ) بدل من الأولى (دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ) روى أن الله تعالى بعث إليه ملكين فى صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لأنهم دخلوا عليه المحراب فى غير يوم القضاء ولأنهم نزلوا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه (قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ) خبر مبتدإ محذوف أى نحن خصمان (بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ) تعدى وظلم (فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ) ولا تجر من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق (وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ) وأرشدنا إلى وسط الطريق ومحجته والمراد عين الحق ومحضه . روى أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته وكان لهم عادة فى المواساة بذلك وكان الأنصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة أوريا فأحبها فسأله النزول له عنها فاستحى أن يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان فقيل له إنك مع عظم

منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكانت زلته أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وما يحكى أنه بعث مرة بعد مرة أوريا إلى غزوة البلقاء وأحب أن يقتل ليتزوجها فلا يليق من المتسمين بالصلاح من أفنـاء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء وقال على رضى الله عنه من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال إن كانت القصة على ما فى كتاب الله فما ينبغى أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغى إظهارها عليه فقال عمر لسماعى هذا الكلام أحب إلى مما طلعت عليه الشمس والذى يدل عليه المثل الذى ضربه الله بقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب وإنما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ فى التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرّض به كان أوقع فى نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثراً فيه مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة (إِنَّ هَٰذَا أَخِي) هو بدل من هذا أو خبر لإن والمراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والألفة أو أخوة الشركة والخلطة لقوله وإن كثيراً من الخلطاء (لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ) ولىَ حفص والنعجة كناية عن المرأة ولما كان هذا تصويراً للمسئلة وفرضاً لها لا يمتنع أن يفرض الملائكة فى أنفسهم كما تقول لى أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها وما لكما من الأربعين أربعة ولا ربعها (فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا) ملكنيها وحقيقته اجعلنى أكفلها كما أكفل ما تحت يدى وعن ابن عباس رضى الله عنهما اجعلها كفلى أى نصيبى (وَعَزَّنِي) وغلبنى يقال عزه يعزه (فِي الْخِطَابِ) فى الخصومة أى أنه كان أقدر على الاحتجاج منى وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطاباً أى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى ووجه التمثيل أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع فى نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه وحاجّة فى

ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده وإنما كان ذلك على وجه التحاكم إليه ليحكم بما حكم به من قوله (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ) حتى يكون محجوجاً بحكمه وهذا جواب قسم محذوف وفى ذلك استنكار لفعل خليطه والسؤال مصدر مضاف إلى المفعول وقد ضمن معنى الإضافة فعدى تعديتها كأنه قيل بإضافة نعجتك إلى نعاجه على وجه السؤال والطلب وإنما ظلّم الآخر بعد ما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك فى القرآن لأنه معلوم ويروى أنه قال أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجى مائة فقال داود إن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار إلى طرف الأنف والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ) الشركاء والأصحاب (لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) المستثنى منصوب وهو من الجنس والمستثنى منه بعضهم (وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) ما للابهام وهم مبتدأ وقليل خبره (وَظَنَّ دَاوُودُ) أى علم وأيقن وإنما استعير له لأن الظن الغالب يدانى العلم (أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) ابتليناه (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ) لزلته (وَخَرَّ رَاكِعًا) أى سقط على وجهه ساجداً لله وفيه دليل على أن الركوع يقوم مقام السجود فى الصلاة إذا نوى لأن المراد مجرد ما يصلح تواضعاً عند هذه التلاوة والركوع فى الصلاة يعمل هذا العمل بخلاف الركوع فى غير الصلاة (وَأَنَابَ) ورجع إلى الله بالتوبة وقيل إنه بقى ساجداً أربعين يوماً وليلة لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة أو ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه ولم يشرب ماء إلا وثلثاه دمع (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ) أى زلته (وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ) لقربة (وَحُسْنَ مَآبٍ) مرجع وهو الجنة (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) أى استخلفناك على الملك فى الأرض أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ) أى بحكم الله إذ كنت خليفته أو بالعدل (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ) أى هوى النفس فى قضائك (فَيُضِلَّكَ) الهوى (عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) دينه (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) أى بنسيانهم يوم الحساب (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) من الخلق (بَاطِلًا) خلقا باطلا لا لحكمة

بلغة أو مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين وتقديره ذوى باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه أى ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو أنا خلقنا نفوساً أودعناها العقل ومنحناها التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم (ذَٰلِكَ) إشارة إلى خلقها باطلا (ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا) الظن بمعنى المظنون أى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا وإنما جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة مع إقرارهم بأنه خالق السموات والأرض وما بينهما لقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله لأنه لما كان إنكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا إلى أن خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لأن الجزاء هو الذى سبقت إليه الحكمة فى خلق العالم فمن جحده فقد جحد الحكمة فى خلق العالم (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ) أم منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الإنكار والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر. ومن سوّى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما (كِتَٰبٌ) أى هذا كتاب (أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ) يعنى القرآن (مُبَٰرَكٌ) صفة أخرى (لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَٰتِهِ) وأصله ليتدبروا قرىء به ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويعملوا به وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده لتدبّروا على الخطاب بحذف إحدى التاءين يزيد (وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ) وليتعظ بالقرآن أولو العقول (وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ) أى سليمان وقيل داود وليس بالوجه فالمخصوص بالمدح محذوف (إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ) وعلل كونه ممدوحاً بكونه أواباً أى كثير الرجوع إلى الله تعالى (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ) على سليمان (بِٱلْعَشِىِّ) بعد الظهر (ٱلصَّٰفِنَٰتُ) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف حافر (ٱلْجِيَادُ) السراع جمع جواد لأنه يجود بالركض وصفها بالصفون لأنه لا يكون فى الهجان وإنما هو فى العراب وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعنى إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى

مواقفها وإذا جرت كانت سراعاً خفافاً فى جريها وقيل الجيـاد الطوال الأعناق من الجيد وروى أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوماً بعد ما صلى الظهر على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وكانت فرضاً عليه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا لله فبقى مائة، فما فى أيدى الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيراً منها وهى الريح تجرى بأمره (فَقَالَ إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى) أى آثرت حب الخيل عن ذكر ربى كذا عن الزجاج فأحببت بمعنى آثرت كقوله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى وعن بمعنى على وسمى الخيل خيراً كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها كما قال عليه السلام «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة» وقال أبو على: أحببت بمعنى جلست من إحباب البعير وهو بروكه. حب الخير أى المال مفعول له مضاف إلى المفعول (حَتَّىٰ تَوَارَتْ) الشمس (بِالْحِجَابِ) والذى دل على أن الضمير للشمس مرور ذكر العشى ولابد للضمير من جرى ذكر أو دليل ذكر أو الضمير للصافنات أى حتى توارت بحجاب الليل يعنى الظلام (رُدُّوهَا عَلَىَّ) أى قال للملائكة ردوا الشمس على لأصلى العصر فردت الشمس له وصلى العصر أو ردوا الصافنات (فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ) فجعل يمسح مسحاً أى يمسح السيف بسوقها وهى جمع ساق كدار ودور وأعناقها يعنى يقطعها لأنها منعته عن الصلاة تقول مسح علاوته إذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب إذا قطع أطرافه بسيفه وقيل إنما فعل ذلك كفارة لها أو شكرا لرد الشمس وكانت الخيل مأكولة فى شريعته فلم يكن إتلافاً وقيل مسحها بيده استحساناً لها وإعجاباً بها (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ) ابتليناه (وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ) سرير ملكه (جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ) رجع إلى الله قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إن عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم ذلك سليمان عليه السلام فكان يغذوه فى السحابة خوفاً من مضرة الشياطين فألفى ولده ميتاً على كرسيه فتنبه على زلته فى أن لم يتوكل فيه على ربه وروى عن النبى ﷺ «قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل إن شاء الله

فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجىء به على كرسيه فوضع فى حجره فوالذى نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرساناً أجمعون» وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا) قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الأنبياء عليهم السلام والصالحين فى تقديم الاستغفار على السؤال (لَّا يَنبَغِي) لا يتسهل ولا يكون (لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي) أى دونى . وبفتح الياء مدنى وأبو عمرو، وإنما سأل بهذه الصفة ليكون معجزة له لا حسداً وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح والشياطين فلما دعا بذلك سخرت له الريح والشياطين ولن يكون معجزة حتى يخرق العادات (إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ) الرياح أبو جعفر (تَجْرِي) حال من الريح (بِأَمْرِهِ) بأمر سليمان (رُخَاءً) لينة طيبة لاتزعزع وهو حال من ضمير تجرى (حَيْثُ) ظرف تجرى (أَصَابَ) قصد وأراد. والعرب تقول أصاب الصواب فأخطأ الجواب (وَالشَّيَاطِينَ) عطف على الريح أى سخرنا له الشياطين (كُلَّ بَنَّاءٍ) بدل من الشياطين كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية (وَغَوَّاصٍ) أى ويغوصون له فى البحر لإخراج اللؤلؤ وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر والمعنى وسخرنا له كل بناء وغواص من الشياطين (وَآخَرِينَ) عطف على كل بناء داخل فى حكم البدل (مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض فى القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد. والصفد: القيد وسمى به العطاء لأنه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول على رضى الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك (هَٰذَا) الذى أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ) فأعط منه ما شئت من المنة وهى العطاء (أَوْ أَمْسِكْ) عن العطاء وكان إذا أعطى أجر وإن منع لم يأثم بخلاف غيره (بِغَيْرِ حِسَابٍ) متعلق بعطاؤنا وقيل هو حال أى هذا عطاؤنا جما كثيراً لا يكاد يقدر على حصره أو هذه التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالإطلاق أو أمسك من شئت منهم فى الوثاق بغير حساب أى لا حساب عليك فى ذلك (وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ) لزلفى اسم إن والخبر له والعامل فى عند الخبر (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ) هو بدل من عبدنا أو عطف بيان (إِذْ) بدل اشتمال منه (نَادَىٰ رَبَّهُ) دعاه (أَنِّي مَسَّنِيَ) بأنى

منسى حكاية لكلامة الذى ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بأنه مسه لأنه غائب (الشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ) قراءة العامة بنُصُب، يزيد تثقيل نُصْب بنَصَب كرشد ورشد، يعقوب بِنصْب على أصل المصدرهبيرة- والمعنى واحد وهو التعب والمشقة (وَعَذَابٍ) يريد مرضه وما كان يقاسى فيه من أنواع الوصب وقيل أراد ما كان يوسوس به إليه فى مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ إلى الله فى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق فى دفعه ورده بالصبر الجميل وروى أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل : ألقى إليه الشيطان أن الله لا يبتلى الأنبياء والصالحين وذكر فى سبب بلائه أنه ذبح شاة فأكلها وجاره جائع أو رأى منكراً فسكت عنه أو ابتلاه الله لرفع الدرجات بلا زلة سبقت منه (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) حكاية ما أجيب به أيوب عليه السلام أى أرسلنا إليه جبريل عليه السلام فقال له اركض برجلك أى اضرب برجلك الأرض وهى أرض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل (هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) أى هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله تعالى (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ) قيل أحياهم الله تعالى بأعيانهم وزاده مثلهم (رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَٰبِ) مفعول لهما أى الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الألباب لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم فى الصبر على البلاء (وَخُذْ) معطوف على اركض (بِيَدِكَ ضِغْثًا) حزمة صغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر (فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ) وكان حلف فى مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ فحلل الله يمينه بأهون شىء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه وهذه الرخصة باقية ويجب أن يصيب المضروب كل واحدة من المائة والسبب فى يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة فى حاجة فخرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب عليه السلام إذا قام (إِنَّا وَجَدْنَٰهُ) علمناه (صَابِرًا) على البلاء نعم قد شكا إلى الله ما به واسترحمه لكن الشكوى إلى الله لا تسمى جزعا فقد قال يعقوب عليه السلام إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله على أنه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم

أنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وإرادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان (نِّعْمَ الْعَبْدُ) أيوب (إِنَّهُ أَوَّابٌ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا) عبدنا مكى (إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) فمن جمع فابراهيم ومن بعده عطف بيان على عبادنا ومن وحد فابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا ولما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدى غلبت فقيل فى كل عمل هذا مما عملت أيديهم وإن كان عملا لا تتأتى فيه المباشرة بالأيدى أو كان العمال جذماً لا أيدى لهم وعلى هذا ورد قوله (أُوْلِى الْأَيْدِى وَالْأَبْصَارِ) أى أولى الأعمال الظاهرة والفكر الباطنة كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون فى الله ولا يتفكرون أفكار ذوى الديانات فى حكم الزمنى الذين لا يقدرون على إعمال جوارحهم والمسلوبى العقول الذين لا استبصار لهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين فى دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم) جعلناهم لنا خالصين (بِخَالِصَةٍ) بخصلة خالصة لا شوب فيها (ذِكْرَى الدَّارِ) ذكرى فى محل النصب أو الرفع بإضمار أعنى أو هى أو الجر على البدل من خالصة والمعنى إنا أخلصناهم بذكرى الدار، والدار هنا: الدار الآخرة يعنى جعلناهم لنا خالصين بأن جعلناهم يذكرون الناس الدار الآخرة ويزهدونهم فى الدنيا كما هو ديدن الأنبياء عليهم السلام أو معناه أنهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع إلى الله وينسون ذكر الدنيا بخالصة ذكرى الدار، على الإضافة مدنى ونافع وهى من إضافة الشىء إلى ما يبينه لأن الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى وذكرى مصدر مضاف إلى المفعول أى بإخلاصهم ذكرى الدار وقيل خالصة بمعنى خلوص فهى مضافة إلى الفاعل أى بأن خلصت لهم ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر إنما همهم ذكرى الدار لاغير وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا وهذا شىء قد أخلصهم به فليس يذكر غيرهم فى الدنيا بمثل ما يذكرون به يقويه قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا (وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ) المختارين من بين أبناء جنسهم (الْأَخْيَارِ) جمع خير أو خير على التخفيف كأموات فى جمع ميت أو ميت (وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ) كأن حرف التعريف دخل على يسع (وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ) التنوين عوض عن المضاف إليه أى وكلهم (مِّنَ الْأَخْيَارِ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ

مَـَٔابٍ) أى هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبداً . إذ لهم مع ذلك لحسن مرجع يعنى يذكرون فى الدنيا بالجميل ويرجعون فى الآخرة إلى مغفرة رب جليل ثم بين كيفية حسن ذلك المرجع فقال (جَنَّـٰتِ عَدْنٍ) بدل من حسن مآب (مُّفَتَّحَةً) حال من جنات لأنها معرفة لإضافتها إلى عدن وهو علم والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل (لَّهُمُ ٱلْأَبْوَابُ) ارتفاع الأبواب بأنها فاعل مفتحة والعائد محذوف أى مفتحة لهم الأبواب منها فحذف كما حذف فى قوله فإن الجحيم هى المأوى أى لهم أو أبوابها إلا أن الأول أجود أو هى بدل من الضمير فى مفتحة وهو ضمير الجنات تقديره مفتحة هى الأبواب وهو من بدل الاشتمال (مُتَّكِـِٔينَ) حال من المجرور فى لهم والعامل مفتحة (فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ) أى وشراب كثير فحذف اكتفاء بالأول (وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ) أى قصرن طرفهن على أزواجهن (أَتْرَابٌ) لدات أسنانهن كأسنانهم لأن التحاب بين الأقران أثبت كأن اللدات سمين أتراباً لأن التراب مسهن فى وقت واحد (هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ) وبالياء مكى وأبو عمرو (لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ) أى ليوم تجزى كل نفس بما عملت (إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ) من انقطاع والجملة حال من الرزق والعامل الإشارة (هَـٰذَا) خبر والمبتدأ محذوف أى الأمر هذا أو هذا كما ذكر (وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ) مرجع (جَهَنَّمَ) بدل منه (يَصْلَوْنَهَا) يدخلونها (فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ) شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذى يفترشه النائم (هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) أى هذا حميم وغساق فليذوقوه فهذا مبتدأ وحميم خبره وغساق بالتشديد حمزة وعلى وحفص والغساق بالتشديد والتخفيف ما يغسق من صديد أهل النار، يقال: غسقت العين إذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده (وَءَاخَرُ) أى وعذاب آخر أو مذوق آخر (مِن شَكْلِهِۦ) من مثل العذاب المذكور وأخر بصرى أى ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق فى الشدة والفظاعة (أَزْوَٰجٌ) صفة لآخر لأنه يجوز أن يكون ضروباً (هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أى دخل النار فى صحبتكم والاقتحام: الدخول فى الشىء بشدة ، والقحمة: الشدة، وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أى يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ) دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن

تدعو له مرحباً أى أتيت رحباً من البلاد لا ضيقاً أو رحبت بلادك رحباً ثم تدخل عليه لا فى دعاء السوء، وبهم بيان للمدعو عليهم (إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ) أى داخلوها وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم وقيل هذا فوج مقتحم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى أتباعهم، ولا مرحباً بهم إنهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قَالُوا) أى الأتباع (بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ) أى الدعاء الذى دعوتم به علينا أنتم أحق به، وعللوا ذلك بقوله (أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا) والضمير للعذاب أو لصليهم أى انكم دعوتمونا إليه فكفرنا باتباعكم (فَبِئْسَ الْقَرَارُ) أى النار (قَالُوا) أى الأتباع (رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا) أى مضاعفاً (فِى النَّارِ) ومعناه ذا ضعف. ونحوه قوله ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً وهو أن يزيد على عذابه مثله (وَقَالُوا) الضمير لرؤساء الكفرة (مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا) يعنون فقراء المسلمين (كُنَّا نَعُدُّهُم) فى الدنيا (مِّنَ الْأَشْرَارِ) من الأرذال الذين لا خير فيهم ولا جدوى (أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا) بلفظ الإخبار عراقى غير عاصم على أنه صفة لرجالا مثل كنا نعدهم من الأشرار، وبهمزة الاستفهام غيرهم على أنه إنكار على أنفسهم فى الاستسخار منهم، سُخريا مدنى وحمزة وعلى وخلف والمفضل (أَمْ زَاغَتْ) مالت (عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ) هو متصل بقوله ما لنا أى ما لنا لا نراهم فى النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا أنه خفى عليهم مكانهم (إِنَّ ذَٰلِكَ) الذى حكينا عنهم (لَحَقٌّ) لصدق كائن لا محالة لابد أن يتكلموا به ثم بين ماهو فقال: هو (تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) ولما شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين سماه تخاصما ولأن قول الرؤساء: لا مرحباً بهم، وقول أتباعهم : بل أنتم لا مرحباً بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاشتماله على ذلك (قُلْ) يامحمد لمشركى مكة (إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ) ما أنا إلا رسول منذر أنذركم عذاب الله تعالى (وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ) وأقول لكم إن دين الحق توحيد الله وأن تعتقدوا أن لا إله إلا الله (الْوَاحِدُ) بلا ند ولا شريك (الْقَهَّارُ) لكل شىء (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) له الملك والربوبيه فى العالم كله (الْعَزِيزُ) الذى لا يغلب إذا عاقب (الْغَفَّارُ) لذنوب من التجأ إليه (قُلْ هُوَ) أى هذا الذى أنبأتكم به من كونى رسولا منذراً وأن الله واحد

لا شريك له (نَبَؤٌا عَظِيمٌ) لا يعرض عن مثله إلا غافل شديد الغفلة ثم (أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) غافلون (مَا كَانَ لِيَ) حفص (مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) احتج لصحة نبوته بأن ما ينبىء به عن الملإ الأعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذى يسلكه الناس فى علم ما لم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل له إلا بالوحى من الله تعالى (إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) أى لأنما أنا نذير مبين ومعناه ما يوحى إلى إلا للإنذار فحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل إليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى إلى إلا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط فى ذلك أى ما أومر إلا بهذا الأمر وحده وليس لى غير ذلك وبكسر إنما يزيد على الحكاية أى إلا هذا القول وهو أن أقول لكم إنما أنا نذير مبين ولا أدعى شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم والإنباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس رضى الله عنهما القرآن وعن الحسن يوم القيامة والمراد بالملإ الأعلى أصحاب القصة: الملائكة وآدم وإبليس لأنهم كانوا فى السماء وكان التقاول بينهم وإذ يختصمون متعلق بمحذوف إذ المعنى ما كان لى من علم بكلام الملإ الأعلى وقت اختصامهم (إِذْ قَالَ رَبُّكَ) بدل من إذ يختصمون أى فى شأن آدم حين قال تعالى على لسان ملك (لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ) وقال إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها (فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ) فإذا أتممت خلقته وعدلته (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى) الذى خلقته وأضافه إليه تخصيصاً كبيت الله وناقة الله والمعنى أحييته وجعلته حساسا متنفساً (فَقَعُوا) أمر من وقع يقع أى اسقطوا على الأرض والمعنى اسجدوا (لَهُۥ سَٰجِدِينَ) قيل كان انحناء يدل على التواضع وقيل كان سجدة لله أو كان سجدة التحية (فَسَجَدَ الْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) كل للإحاطة وأجمعون للاجتماع فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم جميعهم فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات (إِلَّآ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ) تعظم عن السجود (وَكَانَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ) وصار من الكافرين بإباء الأمر (قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ) ما منعك عن السجود (لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ) أى بلا واسطة امتثالا لأمرى وإعظاماً لخطابى وقد مر أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيده فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب هو ما عملت

يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك أوكتا وفوك نفخ . وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله مما عملت أيدينا ولما خلقت بيدى (أَسْتَكْبَرْتَ) استفهام إنكار (أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ) ممن علوت وفقت وقيل أستكبرت الآن أم لم تزل مذ كنت من المستكبرين (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) يعنى لو كان مخلوقاً من نار لما سجدت له لأنه مخلوق مثلى فكيف أسجد لمن هو دونى لأنه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الأولى وهى خلقتنى من نار مجرى المعطوف عطف البيان والإيضاح (قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا) من الجنة أو من السموات أو من الخلقة التى أنت فيها لأنه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسناً وأظلم بعد ما كان نورانيا (فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) مرجوم أى مطرود تكبر إبليس أن يسجد لمن خلق من طين وزل عنه أن الله أمر به ملائكته واتبعوا أمره إجلالا لخطابه وتعظيما لأمره فصار مرجوماً ملعوناً بترك أمره (وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي) بفتح الياء مدنى أى إبعادى من كل الخير (إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ) أى يوم الجزاء ولا يظن أن لعنته غايتها يوم الدين ثم تنقطع لأن معناه أن عليه اللعنة فى الدنيا وحدها فإذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الانفراد أو لما كان عليه اللعنة فى أوان الرحمة فأولى أن تكون عليه فى غير أوانها وكيف تنقطع وقد قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين (قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي) فأمهلنى (إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) الوقت المعلوم الوقت الذى تقع فيه النفخة الأولى ويومه اليوم الذى وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يتقدم ولا يتأخر (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) أى أقسم بعزة الله وهى سلطانه وقهره (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) وبكسر اللام مكى وبصرى وشامى (قَالَ فَالْحَقُّ) بالرفع كوفى غير علىّ على الابتداء أى الحق قسمى أو على الخبر أى أنا الحق وغيرهم بالنصب على أنه مقسم به كقولك الله لأفعلن كذا يعنى حذف عنه الباء فانتصب وجوابه لأملأن (وَالْحَقَّ أَقُولُ) اعتراض بين المقسم والمقسم عليه وهو منصوب بأقول ومعناه ولا أقول إلا الحق والمراد بالحق إما اسمه عز وجل الذى فى قوله إن الله هو الحق أو الحق الذى هو نقيض الباطل عظمه الله بإقسامه به (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ)

من جنسك وهم الشياطين (وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ) من ذرية آدم (أَجْمَعِينَ) أى لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحداً (قُلْ مَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) الضمير للقرآن أو للوحى (وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله وما عرفتمونى قط متصنعاً ولا مدعياً بما ليس عندى حتى أنتحل النبوة وأتقوّل القرآن (إِنْ هُوَ) ما القرآن (إِلاَّ ذِكْرٌ) من الله (لِّلْعَـٰلَمِينَ) للثقلين أوحى إلىّ فأنا أبلغه. وعن رسول الله ﷺ «المتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم» (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ) نبأ القرآن وما فيه من الوعد والوعيد وذكر البعث والنشور (بَعْدَ حِينٍ) بعد الموت أو يوم بدر أو يوم القيامة ختم السورة بالذكر كما افتتحها بالذكر والله الموفق .

﴿ سورة الزمر مكية وهى خمس وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تَنزِيلُ الْكِتَـٰبِ) أى القرآن مبتدأ خبره (مِنَ اللَّهِ) أى نزل من الله أو خبر مبتدإ محذوف والجار صلة التنزيل أو غير صلة بل هو خبر بعد خبر أو خبر مبتدإ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله (الْعَزِيزِ) فى سلطانه (الْحَكِيمِ) فى تدبيره (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَـٰبَ بِالْحَقِّ) هذا ليس بتكرار لأن الأول كالعنوان للكتاب والثانى لبيان ما فى الكتاب (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا) حال (لَّهُ الدِّينَ) أى ممحضاً له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر فالدين منصوب بمخلصاً وقرىء الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصاً (أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) أى هو الذى وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والأسرار وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله وعن الحسن الإسلام (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ) أى آلهة وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره والذين عبدوا الأصنام يقولون (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ) مصدر أى تقريباً (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) بين المسلمين والمشركين (فِي مَا هُمْ

فيه يختلفون) قيل : كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السموات والأرض قالوا الله ، فإذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الأصنام قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين (إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) أى لا يهدى من هو فى علمه أنه يختار الكفر يعنى لا يوفقه للهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكنه يخذله ، وكذبهم قولهم فى بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ، ولذا عقبه محتجا عليهم بقوله (لَوْ أَرَادَ اللهُ أن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) أى لو جاز اتخاذ الولد على ما تظنون لاختار مما يخلق ما يشاء لا ما تختارون أنتم وتشاءون (سُبْحَانَهُ) نزه ذاته عن أن يكون له أخذ ما نسبوا إليه من الأولياء والأولاد ، ودل على ذلك بقوله (هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) يعنى أنه واحد متبرئ عن انضمام الأعداد متعال عن التجزؤ والولاد قهار غلاب لكل شىء ومن الأشياء آلهتهم فأنى يكون له أولياء وشركاء ، ثم دل بخلق السموات والأرض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لأجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الأنعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب بقوله (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) والتكوير اللف واللى يقال : كار العمامة على رأسه وكورها ، والمعنى أن كل واحد منهما يغيّب الآخر إذا طرأ عليه ، فشبه فى تغييبه إياه بشىء ظاهر لف عليه ما غيّبه عن مطامح الأبصار أو أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا ، فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على أثر بعض (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) أى يوم القيامة (أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ) الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمسخرهما (الْغَفَّارُ) لمن فكر واعتبر فآمن بمدبرهما (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ) أى آدم عليه السلام (ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) أى حواء من قصيراه قيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء (وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ) أى جعل عن الحسن أوخلقها فى الجنة مع آدم عليه السلام ثم أنزلها أو لأنها لا تعيش إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) ذكرا وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز كما بين فى سورة الأنعام ، والزوج اسم

اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو فرد ووتر (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِّن بَعْدِ خَلْقٍ) نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم إلى تمام الخلق (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو ظلمة الصلب والبطن والرحم (ذَٰلِكُمُ) الذى هذه مفعولاته هو (اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ) فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره ثم بين أنه غنى عنهم بقوله (إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ) عن إيمانكم وأنتم محتاجون إليه لتضرركم بالكفر وانتفاعكم بالإيمان (وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) لأن الكفر ليس برضا الله تعالى وإن كان بإرادته (وَإِن تَشْكُرُوا) فتؤمنوا (يَرْضَهُ لَكُمْ) أى يرض الشكر لكم لأنه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة يرضهُ بضم الهاء والإشباع مكى وعلى يرضه بضم الهاء بدون الإشباع نافع وهشام وعاصم غير يحيى وحماد وغيرهم يرضه (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) أى لا يؤاخذ أحد بذنب آخر (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ) إلى جزاء ربكم رجوعكم (فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فيخبركم بأعمالكم ويجازيكم عليها (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بخفيات القلوب (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ) هو أبو جهل أوكل كافر (ضُرٌّ) بلاء وشدة والمس فى الأعراض مجاز (دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ) راجعاً إلى الله بالدعاء لا يدعو غيره (ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ) أعطاه (نِعْمَةً مِّنْهُ) من الله عز وجل (نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ) أى نسى ربه الذى كان يتضرع إليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والأنثى أو نسى الضر الذى كان يدعو الله إلى كشفه (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا) أمثالا (لِّيُضِلَّ) ليَضِل مكى وأبو عمرو ويعقوب (عَن سَبِيلِهِ) أى الإسلام (قُلْ) يا محمد (تَمَتَّعْ) أمر تهديد (بِكُفْرِكَ قَلِيلاً) أى فى الدنيا (إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) من أهلها (أَمَّنْ) قرأ بالتخفيف مكى ونافع وحمزة على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد غيرهم على إدخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن (هُوَ قَانِتٌ) كغيره أى أمن هو مطيع كمن هو عاص والقانت المطيع لله وإنما حذف لدلالة الكلام عليـــه وهو جرى ذكر الكافر قبله ، وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (آنَاءَ اللَّيْلِ) ساعاته (سَاجِدًا وَقَائِماً) حالان من الضمير فى قانت (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ) أى عذاب الآخرة (وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ) أى الجنة ، ودلت الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف

والرجاء يرجو رحمته لاعمله ويحذر عقابه لتقصيره فى عمله ثم الرجاء إذا جاوز حده يكون أمنا والخوف إذا جاوز حده يكون اياسا وقد قال الله تعالى فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وقال إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، فيجب أن لا يجاوز أحدهما حده (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أى يعلمون ويعملون به كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنّون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء أو أريد به التشبيه أى كما لا يستوى العالم والجاهل كذلك لايستوى المطيع والعاصى (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ) جمع لب أى إنما يتعظ بوعظ الله أولو العقول (قُلْ يَٰعِبَادِ الَّذِينَ ءامَنُوا) بلا ياء عند الأكثر (اتَّقُوا رَبَّكُمْ) بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) أى أطاعوا الله فى الدنيا وفى يتعلق بأحسنوا لا بحسنة ، معناه الذين أحسنوا فى هذه الدنيا فلهم حسنة فى الآخرة وهى دخول الجنة أى حسنة لاتوصف وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية ومعنى (وَأَرْضُ اللهِ وَٰسِعَةٌ) أى لاعذر للمفرطين فى الإحسان البتة حتى إن اعتلوا بأنهم لا يتمكنون فى أوطانهم من التوفر على الإحسان قيل لهم فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة ، فتحولوا إلى بلاد أخر . واقتدوا بالأنبياء والصالحين فى مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحسانا إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّٰبِرُونَ) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا فى طاعة الله وازدياد الخير (أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) عن ابن عباس رضى الله عنهما لايهتدى إليه حساب الحسّاب ولا يعرف. وهو حال من الأجر أى موفرا (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ) بأن أعبد الله (مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) أى أمرت بإخلاص الدين (وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين أى مقدمهم وسابقهم فى الدنيا والآخرة والمعنى أن الإخلاص له السُّبقة فى الدين فمن أخلص كان سابقاً ، فالأول أمر بالعبادة مع الإخلاص والثانى بالسبق فلاختلاف جهتيهما نزلا منزلة المختلفين ، فصح عطف أحدهما على الآخر (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) لمن دعاك بالرجوع إلى دين آبائك وذلك أن كفار قريش قالوا له عليه السلام : ألا تنظر إلى أبيك وجدك

وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فنزلت ردا عليهم (قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي) وهذه الآية إخبار بأنه يخص الله وحده بعبادته مخلصاً له دينه دون غيره والأولى إخبار بأنه مأمور بالعبادة والإخلاص فالكلام أولا واقع فى نفس الفعل وإثباته وثانياً فيما يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله (فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ) وهذا أمر تهديد وقيل له عليه السلام : إن خالفت دين آبائك فقد خسرت فنزلت (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ) أى الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ) بإهلا كها فى النار (وَأَهْلِيهِمْ) أى وخسروا أهليهم (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) لأنهم أضلوهم فصاروا إلى النار ، ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة فى قوله : (أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) حيث صدر الجملة بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين ، وذلك لأنهم استبدلوا بالجنة ناراً وبالدرجات دركات (لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ) أطباق (مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) أطباق من النار وهى ظلل لآخرين أى النار محيطة بهم (ذَٰلِكَ) الذى وصف من العذاب أو ذلك الظلل (يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ) ليؤمنوا به ويجتنبوا مناهيه (يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى خوفهم بالنار ثم حذرهم نفسه (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ) الشياطين فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت إلا أن فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت مصدراً ، وفيها مبالغات وهى التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص ، إذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت (أَن يَعْبُدُوهَا) بدل الاشتمال من الطاغوت أى عبادتها (وَأَنَابُوا) رجعوا (إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ) هى البشارة بالثواب تتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون (فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) هم الذين اجتنبوا وأنابوا وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير أراد أن يكونوا نقاداً فى الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل ، فإذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذا المباح والندب حراصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثواباً ، أو يستمعون

القرآن وغيره فيتبعون القرآن أو يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو ونحو ذلك أو يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساو فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه (أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَٰهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَٰئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَٰبِ) أى المنتفعون بعقولهم (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ) أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب أى وجب أفأنت تنقذه جملة شرطية دخلت عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التى فى أولها للعطف على محذوف تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية هى الأولى كررت لتوكيد معنى الانكار ووضع من فى النار موضع الضمير أى تنقذه فالآية على هذا جملة واحدة أو معناه أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه أفأنت تنقذه أى لايقدر أحد أن ينقذ من أضله الله وسبق فى علمه أنه من أهل النار (لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ) أى لهم منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها يعنى للكفار ظلل من النار وللمتقين غرف (مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ) أى من تحت منازلها (وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ) وعد الله مصدر مؤكد ، لأن قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً) يعنى المطر وقيل كل ماء فى الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله (فَسَلَكَهُ) فأدخله (يَنَٰبِيعَ فِي الْأَرْضِ) عيوناً ومسالك ومجارى كالعروق فى الأجساد وينابيع نصب على الحال أو على الظرف وفى الأرض صفة لينابيع (ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ) بالماء (زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُ) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض أو أصنافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك (ثُمَّ يَهِيجُ) يجف (فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا) بعد نضارته وحسنه (ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَٰمًا) فتاتاً متكسرا ، فالحطام ما تفتت وتكسر من النبت وغيره (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) فى إنزال الماء وإخراج الزرع (لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي الْأَلْبَٰبِ) لتذكيراً وتنبيها على أنه لابد من صانع حكيم ، وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن إهمال وتعطيل (أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ) أى وسع صدره (لِلْإِسْلَٰمِ) فاهتدى ، وسئل رسول الله ﷺ عن الشرح فقال : إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل : فهل لذلك من علامة ؟ قال نعم الانابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (فَهُوَ عَلَىٰ

نُورٍ مِّن رَّبِّهِ) بيان وبصيرة والمعنى أفمن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه فحذف لأن قوله (فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم) يدل عليه (مِّن ذِكْرِ اللَّهِ) أى من ترك ذكر الله أو من أجل ذكر الله أى إذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجساً إلى رجسهم (أُوْلَٰئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ) غواية ظاهرة (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ) فى إيقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لأحسن الحديث (كِتَٰبًا) بدل من أحسن الحديث أوحال منه (مُّتَشَٰبِهًا) يشبه بعضه بعضاً فى الصدق والبيان والوعظ والحكمة والإعجاز وغير ذلك (مَّثَانِىَ) نعت كتاباً جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه فهو بيان لكونه متشابها لأن القصص المكررة وغيرها لا تكون إلا متشابهة وقيل لأنه يثنى فى التلاوة فلايمل وإنما جاز وصف الواحد بالجمع لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشىء هى جملته ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات فكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات أو منصوب على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسناً شمائل والمعنى متشابهة مثانيه (تَقْشَعِرُّ) تضطرب وتتحرك (مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) يقال اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضاً شديداً والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم وفى الحديث إذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ) أى إذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة. وعدى بإلى لتضمنه معنى فعل متعد بإلى كأنه قيل اطمأنت إلى ذكر الله لينة غير متقبضة واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لأن رحمته سبقت غضبه فلأصالة رحمته إذا ذكر الله لم يخطر بالبال إلا كونه رءوفا رحيما وذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا لأن محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب (ذَٰلِكَ) إشارة إلى الكتاب وهو (هُدَى اللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَن يَشَاءُ) من عباده وهو من علم منهم اختيار الاهتداء (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ) يخلق الضلالة فيه (فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) إلى الحق (أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِ سُوٓءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ) كمن أمن من العذاب فحذف الخبر كما حذف فى نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه

أن الإنسان إذا لقى مخوفاً من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقى بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه والذى يلقى فى النار يلقى مغلولة يداه إلى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقى النار إلا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه (وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ) أى تقول لهم خزنة النار (ذُوقُوا) وبال (مَا كُنتُمْ تَـكْسِبُونَ) أى كسبكم (كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) من قبل قريش (فَأَتَـٰهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون إذ فوجئوا من مأمنهم (فَأَذَاقَهُمُ اللهُ الْخِزْىَ) الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء ونحو ذلك من عذاب الله (فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ) من عذاب الدنيا (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) لآمنوا (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) ليتعظوا (قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) حال مؤكدة كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحاً وإنساناً عاقلا فتذكر رجلا أو إنساناً توكيداً أو نصب على المدح (غَيْرَ ذِى عِوَجٍ) مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف ولم يقل مستقيما للإشعار بأن لا يكون فيه عوج قط وقيل المراد بالعوج الشك (لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الكفر (ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَّجُلًا) بدل (فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَـٰكِسُونَ) متنازعون ومختلفون (وَرَجُلًا سَلَمًا) مصدر سلم والمعنى ذا سلامة (لِّرَجُلٍ) أى ذا خلوص له من الشركة . سالماً مكى وأبو عمرو أى خالصاً له (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) صفة وهو تمييز والمعنى هل تستوى صفتاهما وحالاهما وإنما اقتصر فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرىء مثلين (الْحَمْدُ لِلَّهِ) الذى لا إله إلا هو (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) فيشركون به غيره. مثل الكافر ومعبوديه بعبد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع واختلاف وكل واحد منهم يدعى أنه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهن شتى وهو متحير لا يدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع والمؤمن بعبد له سيد واحد فهمّه واحد وقلبه مجتمع (إِنَّكَ مَيِّتٌ) أى ستموت (وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) وبالتخفيف من حل به الموت قال الخليل أنشد أبو عمرو :

وتسألنى تفسير ميت وميّت ... فدونك قد فسرت إن كنت تعقل
فمن كان ذا روح فذلك ميت ... وما الميت إلا من إلى القبر يحمل

كانوا يتربصون برسول الله ﷺ موته فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى ، وعن قتادة نعى إلى نبيه نفسه ونعى إليكم أنفسكم أى إنك وإياهم فى عداد الموتى لأن ما هو كائن فكأن قد كان (ثُمَّ إِنَّكُمْ) أى إنك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا واجتهدت فى الدعوة فلجّوا فى العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الأتباع أطعنا ساداتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون قال الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ما خصومتنا ونحن إخوان فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبى العالية نزلت فى أهل القبلة وذلك فى الدماء والمظالم التى بينهم والوجه هو الأول ألا ترى إلى قوله (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ) وقوله والذى جاء بالصدق وصدق به وما هو إلا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة . كذب على الله افترى عليه بإضافة الولد والشريك إليه (وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ) بالأمر الذى هو الصدق بعينه وهوماجاءبه محمد ﷺ (إِذْ جَاءَهُ) فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لإعمال روية أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ) أى لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام فى للكافرين إشارة إليهم (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) هو رسول الله ﷺ جاء بالحق وآمن به وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذا قال تعالى (أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) وقال الزجاج روى عن على رضى الله عنه أنه قال والذى جاء بالصدق محمد رسول الله ﷺ والذى صدق به أبو بكر الصديق رضى الله عنه وروى أن الذى جاء بالصدق محمدرسول الله ﷺ والذى صدق بهالمؤمنون والكل صحيح كذاقاله.قالواوالوجه فى العربية أن يكون جاء وصدق لفاعل واحد لأن التغاير يستدعى إضمار الذى وذا غير جائز أو إضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) إضافة أسوأ وأحسن من إضافة الشىء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الأشج أعدل بنى مروان (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ) أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفى فأفيد معنى

إثبات الكفاية وتقريرها (عَبْدَهُ) أى محمداً ﷺ . عباده حمزة وعلى أى الأنبياء والمؤمنين وهو مثل إنا كفيناك المستهزئين (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ) أى بالأوثان التى اتخذوها آلهة من دونه ، وذلك أن قريشاً قالت لرسول الله ﷺ إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا وإنا نخشى عليك مضرتها لعيبك إياها (وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَن يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ) بغالب منيع (ذِى انتِقَامٍ) ينتقم من أعدائه ، وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ، ثم أعلم بأنهم مع عبادتهم الأوثان مقرون بأن الله تعالى خلق السموات والأرض بقوله (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِىَ اللهُ) بفتح الياء سوى حمزة (بِضُرٍّ) مرض أو فقر أو غير ذلك (هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ) دافعات شدته عنى (أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ) صحة أو غنى أو نحوها (هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ) كاشفات ضره ، وممسكات رحمته بالتنوين على الأصل بصرى ، وفرض المسئلة فى نفسه دونهم لأنهم خوفوه معرة الأوثان وتخبيلها فأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فإن أرادنى خالق العالم الذى أقررتم به بضر أو برحمة هل يقدرون على خلاف ذلك ، فلما ألجمهم قال الله تعالى : (قُلْ حَسْبِىَ اللهُ) كافياً لمعرة أوثانكم (عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) يروى أن النبى ﷺ سألهم فسكتوا فنزل قل حسبى الله ، وإنما قال كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه لأنهن إناث وهن اللات والعزى ومناة ، وفيه تهكم بهم وبمعبوديهم (قُلْ يَٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) على حالكم التى أنتم عليها وجهتكم من العداوة التى تمكنتم منها ، والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان (إِنِّى عَٰمِلٌ) أى على مكانتى وحذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والإيذان بأن حالته تزداد كل يوم قوة لأن الله تعالى ناصره ومعينه ألا ترى إلى قوله : (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) كيف توعدهم بكونه منصوراً عليهم غالبا عليهم فى الدنيا والآخرة لأنهم إذا أتاهم الخزى والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث إن الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه وبذل ذليل من أعدائه ، ويخزيه صفة للعذاب كمقيم أى

عذاب مخز له وهو يوم بدر ، وعذاب دائم وهو عذاب النار . مكاناتكم أبو بكر وحماد (إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ) القرآن (لِلنَّاسِ) لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم إلى اختيار الطاعة على المعصية (بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ) فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه (وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) ومن اختار الضلالة فقد ضرها (وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ) بحفيظ ثم أخبر بأنه الحفيظ القدير عليهم بقوله (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) الأنفس الجمل كما هي وتوفيها إماتتها وهو أن يسلب ما هي به حية حساسة دراكة (وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما أن الموتى كذلك ، ومنه قوله تعالى : وهو الذى يتوفاكم بالليل (فَيُمْسِكُ) الأنفس (الَّتِي قَضَىٰ) قُضِيَ حمزة وعلى (عَلَيْهَا الْمَوْتَ) الحقيقى أى لا يردها فى وقتها حية (وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ) النائمة (إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الأنفس أى يستوفيها ويقبضها وهى الأنفس التى تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الأنفس التى لم تمت فى منامها وهى أنفس التميز قالوا فالتى تتوفى فى المنام هى نفس التميز لا نفس الحياة لأن نفس الحياة إذا زالت زال معها النفَس والنائم يتنفس ، ولكل إنسان نفسان إحداها نفس الحياة وهى التى تفارق عند الموت ، والأخرى نفس التميز وهى التى تفارقه إذا نام ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ابن آدم نفس وروح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس ، فالنفس هى التى بها العقل والتميز والروح هى التى بها النفس والتحرك ، فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه ، وعن على رضى الله عنه قال : تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة ، وعنه مارأت نفس النائم فى السماء فهى الرؤيا الصادقة وما رأت بعد الإرسال فيلقنها الشيطان فهى كاذبة ، وعن سعيد بن جبير أن أرواح الأحياء وأرواح الأموات تلتقى فى المنام فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف ، فيمسك التى قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها ، وروى أن أرواح المؤمنين تعرج عند النوم فى السماء فمن كان منهم طاهراً أذن له فى السجود ومن لم يكن منهم طاهرا لم يؤذن له فيه (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) إن فى توفى الأنفس مائتة

ونائمة وإمسا كها وإرسالها إلى أجل (لَآيَاتٍ) على قدرة الله وعلمه (لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون (أَمِ اتَّخَذُوا) بل اتخذ قريش والهمزة للإنكار (مِن دُونِ اللهِ) من دون إذنه (شُفَعَاءَ) حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه (قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ) معناه أيشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئاً قط ولا عقل لهم (قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً) أى هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة إلا بإذنه وانتصب جميعاً على الحال (لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لأنه إذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) متصل بما يليه معناه له ملك السموات والأرض اليوم ثم إليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك فى ذلك اليوم إلا له فله ملك الدنيا والآخرة (وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ) مدار المعنى على قوله وحده أى إذا أفرد الله بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم (اشْمَأَزَّتْ) أى نفرت وانقبضت (قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ) يعنى آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر (إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) لافتتانهم بها ، وإذا قيل لا إله إلا الله وحده لا شريك له نفروا لأن فيه نفياً لآلهتهم ، ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد منهما غاية فى بابه ، فالاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل ، والاشمئزاز أن يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض فى أديم وجهه ، والعامل فى إذا ذكر هو العامل فى إذا المفاجأة. تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجئوا وقت الاستبشار (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى يا فاطر وليس بوصف كما يقوله المبرد والفراء (عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) السر والعلانية (أَنتَ تَحْكُمُ) تقضى (بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من الهدى والضلالة ، وقيل هذه محاكمة من النبي للمشركين إلى الله وعن ابن المسيب لا أعرف آية قرئت فدعى عندها إلا أجيب سواها وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه وقالوا الآن يتكلم فما زاد أن قال : آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية ، وروى أنه قال على أثره قتل من كان ﷺ يجلسه فى حجره ويضع فاه على فيه (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ) الهاء تعود إلى ما (لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ) شدته (يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللهِ مَا لَمْ

يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط فى حسبانهم ولا يحدثون به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فإذا هى سيئات ، وعن سفيان الثورى أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء. وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فأنا أخشى أن يبدو لى ون الله ما لم أحتسبه (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أى سيئات أعمالهم التى كسبوها أو سيئات كسبهم حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك (وَحَاقَ بِهِم) ونزل بهم وأحاط (مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) جزاء هزئهم (فَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ) أى أعطيناه تفضلا يقال خولنى إذا أعطاك على غير جزاء (نِعْمَةً مِّنَّا) ولا تقف عليه لأن جواب إذا (قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) منى أنى سأعطاه لما فىّ من فضل واستحقاق أو على علم منى بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندى وإنما ذكر الضمير فى أوتيته وهو للنعمة نظرا إلى المعنى لأن قوله نعمة منا شيئاً من النعمة وقسما منها وقيل ما فى إنما موصولة لا كافة فيرجع الضمير إليها أى إن الذى أوتيته على علم (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ) إنكار له كأنه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة أى ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر ولما كان الخبر مؤنثا أعنى فتنة ساغ تأنيث المبتدإ لأجله ، وقرئ بل هو فتنة على وفق إنما أوتيته (وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أنها فتنة ، والسبب فى عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها فى أول السورة بالواو أن هذه وقعت مسببة عن قوله وإذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى أنهم يشمئزون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة ، فإذا مس أحدهم ضر دعا من اشمأز بذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآى اعتراض ، فان قلت حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما فى الاعتراض من دعاء الرسول ﷺ ربه بأمر من الله وقوله أنت تحكم بين عبادك ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لإنكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله فى الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يارب لا يحكم بينى وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجراءة إلا أنت، وقوله: ولو أن للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم إن جعل عاما أو إياهم خاصة إن عنيتهم به كأنه قيل : ولو أن لهؤلاء الظالمين ما فى الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به حين حكم عليهم بسوء العذاب ، وأما الآية

الأولى لم تقع مسببة وما هي إلا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو نحو قام زيد وقعد عمرو وبيان وقوعها مسببة أنك تقول : زيد يؤمن بالله فإذا مسه ضر التجأ إليه ، فهذا تسبيب ظاهر ، ثم تقول : زيد كافر بالله فإذ مسه ضر التجأ إليه ، فتجيء بالفاء مجيئك بها ثمة كأن الكافر حين التجأ إلى الله التجاء المؤمن إليه مقيم كفره مقام الإيمان فى جعله سببا فى الالتجاء (قَدْ قَالَهَا) هذه المقالة وهى قوله إنما أوتيته على علم (الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) أى قارون وقومه حيث قال : إنما أوتيته على علم عندى وقومه راضون بها ، فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون فى الأمم الخالية آخرون قائلون مثلها (فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من متاع الدنيا وما يجمعون منها (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أى جزاء سيئات كسبهم ، أو سمى جزاء السيئة سيئة للازدواج كقوله : وجزاء سيئة سيئة مثلها . (وَالَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (مِنْ هَٰؤُلَاءِ) أى من مشركى قومك (سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أى سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك ، فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين (وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ) بفائتين من عذاب الله ، ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) ويضيق وقيل يجعله على قدر القوت (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) بأنه لا قابض ولا باسط إلا الله عز وجل (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ) وبسكون الياء بصرى وحمزة وعلى (أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) جنوا عليها بالإسراف فى المعاصى والغلو فيها (لَا تَقْنَطُوا) لا تيأسوا، وبكسر النون على وبصرى (مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) بالعفو عنها إلا الشرك ، وفى قراءة النبي عليه السلام يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالى ، ونظير نفى المبالاة نفى الخوف فى قوله ولا يخاف عقباها . قيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه ، وعن رسول الله ﷺ : «ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية» (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ) بستر عظائم الذنوب (الرَّحِيمُ) بكشف فظائع الكروب (وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ) وتوبوا إليه (وَأَسْلِمُوا لَهُ) وأخلصوا له العمل (مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) إن لم تتوبوا قبل نزول العقاب (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم) مثل قوله : الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وقوله (مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)

أى يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيئاً لفرط غفلتكم (أَن تَقُولَ) لئلا تقول (نَفْسٌ) إنما نكرت لأن المراد بها بعض الأنفس وهى نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس إما بلجاج فى الكفر شديد أو بعذاب عظيم، ويجوز أن يراد التكثير (يَٰحَسْرَتَىٰ) الألف بدل من ياء المتكلم، وقرئ: يا حسرتِى على الأصل وياحسرتاى على الجمع بين العوض والمعوض منه (عَلَىٰ مَافَرَّطْتُ) قصرت وما مصدرية مثلها فى بما رحبت (فِى جَنبِ ٱللَّهِ) فى أمر الله أو فى طاعة الله أو فى ذاته، وفى حرف عبد الله فى ذكر الله والجنب الجانب يقال: أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته، وفلان لين الجانب والجنب، ثم قالوا: فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه، وهذا من باب الكناية لأنك إذا أثبت الأمر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه، ومنه الحديث: من الشرك الخفى أن يصلى الرجل لمكان الرجل، أى لأجله، وقال الزجاج: معناه فرط فى طريق الله وهو توحيده والإقرار بنبوة محمد ﷺ (وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ) المستهزئين. قال قتادة: لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها، ومحل وإن كنت النصب على الحال كأنه قال. فرطت وأنا ساخر أى فرطت فى حال سخريتى (أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى) أى أعطانى الهداية (لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ) من الذين يتقون الشرك. قال الشيخ الامام أبو منصور رحمه الله تعالى: هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة، وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لأتباعهم: لو هدانا الله لهديناكم. يقولون: لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم إليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا، والمعتزلة يقولون: بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا والحاصل أن عند الله لطفا من أعطى ذلك اهتدى، وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى، وكان استحبابه العذاب وتضييعه الحق بعد ما مكن من تحصيله لذلك (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا (فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ) من الموحدين (بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ) بلى رد من الله عليه كأنه يقول: بلى قد جاءتك آياتى وبينت لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وضيعته واستكبرت عن قبوله، وآثرت الضلالة على

الهدى ، واشتغلت بضد ماأمرت به فإنما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك، وبلى جواب لنفى تقديرى لأن المعنى لو أن الله هدانى ماهديت وإنما لم يقرن الجواب به ، لأنه لا بد من حكاية أقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ) وصفوه بما لا يجوز عليه من إضافة الشريك والولد إليه ، ونفى الصفات عنه (وُجُوهُهُم) مبتدأ (مُسْوَدَّةٌ) خبر والجملة فى محل النصب على الحال إن كان ترى من رؤية البصر وإن كان من رؤية القلب فمفعول ثان (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى) منزل (لِلْمُتَكَبِّرِينَ) هو إشارة إلى قوله واستكبرت (وَيُنَجِّي اللهُ) وينجى روح (الَّذِينَ اتَّقَوْا) من الشرك (بِمَفَازَتِهِمْ) بفلاحهم يقال : فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة (لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ) النار (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) كأنه قيل : وما مفازتهم ؟ فقيل : لا يمسهم السوء أى ينجيهم بنفى السوء والحزن عنهم . أى لا يمس أبدانهم أذى ولا قلوبهم خزى أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى : فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب . أى بمنجاة منه ؛ لأن النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ، ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما المفازة بالأعمال الحسنة ، ويجوز بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ، ويجوز أن يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لأنه سببها ، ولامحل للا يمسهم على التفسير الأول لأنه كلام مستأنف ومحله النصب على الحال على الثانى بمفازاتهم كوفى غير حفص (اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) رد على المعتزلة والثنوية (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) حافظ (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذى يملك مقاليدها ، ومنه قولهم: فلان ألقيت إليه مقاليد الملك وهى المفاتيح واحدها مقليد ، وقيل لا واحد لها من لفظها ، والكلمة أصلها فارسية (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) هو متصل بقوله وينجى الله الذين اتقوا أى ينجى الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون . واعترض بينهما بأنه خالق كل شىء ، فهو مهيمن عليه ، فلا يخفى عليه شىء من أعمال المكلفين فيها وما يجزون عليها أو بمايليه على أن كل شىء فى السموات والأرض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا أن يكون الأمر كذلك أولئك هم الخاسرون ، وقيل سأل

عثمان رسول الله ﷺ عن تفسير قوله : له مقاليد السموات والأرض فقال: يا عثمان ما سألنى عنها أحد قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولاحول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير. وتأويله على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه ، والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون (قُلْ) لمن دعاك إلى دين آبائك (أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّيَ أَعْبُدُ) تأمرونّيَ مكي، تأمرونني على الأصل شامي، تأمرونِيَ مدنى ، وانتصب أفغير الله بأعبد وتأمرونّى اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم بعد هذا البيان (أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) بتوحيد الله (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ) من الأنبياء عليهم السلام (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) الذى عملت قبل الشرك (وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) وإنما قال لئن أشركت على التوحيد والموحى إليهم جماعة لأن معناه أوحى إليك لئن أشركت ليحبطنّ عملك وإلى الذين من قبلك مثله واللام الأولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب ، وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعنى جوابى القسم والشرط وإنما صح هذا الكلام مع علمه تعالى بأن رسله لايشركون لأن الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به غيره ولأنه على سبيل الفرض. والمحالات يصح فرضها ، وقيل لئن طالعت غيرى فى السر ليحبطن ما بينى وبينك من السر (بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ) رد لما أمروه به من عبادة آلهتهم كأنه قال : لا تعبد ما أمروك بعبادته بل إن عبدت فاعبد الله ؛ فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه (وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ) على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) وما عظموه حق عظمته إذ دعوك إلى عبادة غيره ، ولما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حق معرفته وقدره فى نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وماقدروا الله حق قدره ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال : (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) والمراد بهذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه

تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز والمراد بالأرض الأرضون السبع يشهد لذلك قوله جميعاً ، وقوله والسموات ولأن الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة والأرض مبتدأ وقبضته الخبر وجميعا منصوب على الحال أى والأرضُ إذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة ، والقَبضة: المرة من القبض . والقُبضة: المقدار المقبوض بالكف ، ويقال : أعطنى قبضة من كذا تريد معنى القُبضة تسمية بالمصدر وكلا المعنين محتمل والمعنى والأرضون جميعاً قبضته أى ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعنى أن الأرضين مع عظمهن وبسطهن لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضهاقبضة بكف واحدة كما تقول الجزور أكلة لقمان أى لا تفى إلا بأكلة فذة من أكلاته وإذا أريد معنى القبضة فظاهر لأن المعنى أن الأرضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة ، والمطويات من الطى الذى هوضد النشر كما قال: يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب. وعادة طاوى السجل أن يطويه بيمينه ، وقيل : قبضته ملكه بلا مدافع ولامنازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها (سُبْحَـٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف إليه من الشركاء (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ) مات (مَن فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ اللَّهُ) أى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، وقيل هم حملة العرش أو رضوان والحور العين ومالك والزبانية (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ) هى فى محل الرفع لأن المعنى ونفخ فى الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه نفخة أخرى ، وإنماحذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها فى غير مكان (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ) يقلبون أبصارهم فى الجهات نظر المبهوت إذا فاجأه خطب أو ينظرون أمر الله فيهم ، ودلت الآية على أن النفخة اثنتان : الأولى للموت والثانيةللبعث والجمهور على أنها ثلاث : الأولى للفزع ، كما قال : ونفخ فى الصور ففزع ، والثانية للموت والثالثة للإعادة (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ) أضاءت (بِنُورِ رَبِّهَا) أى بعدله بطريق الاستعارة . يقال للملك العادل : أشرقت الآفاق بعدلك ، وأضاءت الدنيا بقسطك . كما يقال أظلمت البلاد بجور فلان ، وقال عليه الصلاة والسلام : الظلم ظلمات يوم القيامة . وإضافة اسمه إلى الأرض لأنه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها

ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لهـا منه ، وقال الإمام أبو منصور رحمه الله : يجوز أن يخلق الله نوراً فينور به أرض الموقف ، وإضافته إليه تعالى للتخصيص كبيت الله وناقة الله (وَوُضِعَ الْكِتَٰبُ) أى صحائف الأعمال ، ولـكنه اكتفى باسم الجنس أو اللوح المحفوظ (وَجِاىٓءَ بِالنَّبِيِّينَ) ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة وما أجابهم قومهم (وَالشُّهَدَاءِ) الحفظة وقيل هم الأبرار فى كل زمان يشهدون على أهل ذلك الزمان (وَقُضِيَ بَيْنَهُم) بين العباد (بِالْحَقِّ) بالعدل (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ختم الآية بنفى الظلم كما افتتحها بإثبات العدل (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ) أى جزاءه (وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ) من غير كتاب ولا شاهد ، وقيل هذه الآية تفسير قوله وهم لا يظلمون . أى ووفيت كل نفس ما عملت من خير وشر لا يزاد فى شر ولا ينقص من خير (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ) سوقا عنيفاً ، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل (زُمَرًا) حال أى أفواجاً متفرقة بعضها فى أثر بعض (حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ) بالتخفيف فيهما كوفى (أَبْوَٰبُهَا) وهى سبعة (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا) أى حفظة جهنم وهم الملائـكة الموكلون بتعذيب أهلها (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ) من بنى آدم (يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا) أى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة (قَالُوا بَلَىٰ) أتونا وتلوا علينا (وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَٰفِرِينَ) أى ولـكن وجبت علينا كلمة الله لأملأن جهنم بسوء أعمالنا كما قالوا: غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ، فذكروا عملهم الموجب لـكلمة العذاب وهو الـكفر والضلال (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا) حال مقدرة أى مقدرين الخلود (فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) اللام فيه للجنس لأن مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف إلى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) المراد سوق مراكبهم ، لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين إلى دار الـكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم ويشرف من الوافدين على بعض الملوك (حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا) هى التى تحكى بعدها الجمل والجملة المحـكية بعدها هى الشرطية إلا أن جزاءها محذوف ، وإنمـا حذف لأنه فى صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به

الوصف ، وقال الزجاج : تقديره حتى إذا جاءوها (وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ) دخلوها فحذف دخلوها ؛ لأن فى الكلام دليلا عليه وقال قوم حتى إذا جاءوها جاءوها وفتحت أبوابها فعندهم جاءوها محذوف ، والمعنى : حتى إذا جاءوها وقع مجيئهم مع فتح أبوابها ، وقيل أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها ، وأما أبواب الجنة فتقدم فتحها لقوله تعالى : جنات عدن مفتحة لهم الأبواب . فلذلك جيء بالواو كأنه قال : حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها طبتم من دنس المعاصى ، وطهرتم من خبث الخطايا ، وقال الزجاج : أى كنتم طيبين فى الدنيا ولم تكونوا خبيثين أى لم تكونوا أصحاب خبائث ، وقال ابن عباس : طاب لكم المقام ، وجعل دخول الجنة مسبباً عن الطيب والطهارة لأنها دار الطيبين ومثوى الطاهرين قد طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر ، فلا يدخلها إلا مناسب لها موصوف بصفتها (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ) أنجزنا ما وعدنا فى الدنيا من نعيم العقبى (وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ) أرض الجنة وقد أورثوها أى ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق تصرفهم فيها كما يشاءون تشبيهاً بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه (نَتَبَوَّأُ) حال (مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) أى يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ أى فيتخذ متبوأ ومقرا من جنته حيث يشاء (فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَٰمِلِينَ) فى الدنيا الجنة (وَتَرَى الْمَلَٰئِكَةَ حَآفِّينَ) حال من الملائكة (مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) أى محدقين من حوله ومن لابتداء الغاية أى ابتداء حفوفهم من حول العرش إلى حيث شاء الله (يُسَبِّحُونَ) حال من الضمير فى حافين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أى يقولون : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، وذلك للتلذذ دون التعبد لزوال التكليف (وَقُضِىَ بَيْنَهُم) بين الأنبياء والأمم أو بين أهل الجنة والنار (بِالْحَقِّ) بالعدل (وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ) أى يقول أهل الجنة شكراً حين دخولها ، وتم وعد الله لهم كما قال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ، وكان رسول الله ﷺ يقرأ كل ليلة بنى إسرائيل والزمر.

[الحواميم السبع كلهـا مكية عن ابن عباس رضى الله عنهما]

﴿سورة المؤمن مكية وهى خمس وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حمٓ) وما بعده بالإمالة حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد ، وبين الفتح والكسر مدنى، وغيرهم بالتفخيم ، وعن ابن عباس أنه اسم الله الأعظم (تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ) أى هذا تنزيل الكتاب (مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ) أى المنيع بسلطانه عن أن يتقول عليه متقول (ٱلْعَلِيمِ) بمن صدق به وكذب ، فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين (غَافِرِ ٱلذَّنبِ) ساتر ذنب المؤمنين (وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ) قابل توبة الراجعين (شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ) على المخالفين (ذِى ٱلطَّوْلِ) ذى الفضل على العارفين أو ذى الغنى عن الكل ، وعن ابن عباس: غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا إله إلا الله ، شديد العقاب لمن لا يقول لا إله إلا الله . والتوب والثوب والأوب أخوات فى معنى الرجوع ، والطول الغنى والفضل ، فإن قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتنكيراً والموصوف معرفة، قلت: أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين حتى يكونا فى تقدير الانفصال فتكون إضافتهما غير حقيقية ، وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه ، وأما شديد العقاب فهو فى تقدير شديد عقابه فتكون نكرة ، فقيل هو بدل وقيل لما وجدت هذه النكرة بين هذه المعارف آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف وإدخال الواو فى وقابل التوب لنكتة وهى إفادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات ، وأن يجعلها محّاءة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال: جامع المغفرة والقبول ، وروى أن عمر رضى الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام ، فقيل له تتابع فى هذا الشراب ، فقال عمر لكاتبه: اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله إليه المصير . وختم الكتاب قال لرسوله لا تدفعه إليه حتى تجده صاحياً ، ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة . فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدنى الله أن يغفر لى وحذرنى عقابه ، فلم يبرح يرددها حتى بكى . ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته . فلما بلغ عمر أمره قال: هكذا

فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه ووقفوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ، ولا تكونوا أعواناً للشياطين عليه (لَآ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ) صفة أيضاً لذى الطول ويجوز أن يكون مستأنفا (إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) المرجع (مَا يُجَٰدِلُ فِي ءَايَٰتِ اللهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) ما يخاصم فيها بالتكذيب بها والإنكار لها ، وقد دل على ذلك فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها واستنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها فأعظم جهاد فى سبيل الله (فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة سالمين غانمين فإن عاقبة أمرهم إلى العذاب ، ثم بين كيف ذلك فأعلم أن الأمم الذين كذبت قبلهم أهلكت فقال (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) نوحا (وَالْأَحْزَابُ) أى الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (مِن بَعْدِهِمْ) من بعد قوم نوح (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ) من هذه الأمم التى هى قوم نوح والأحزاب (بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) ليتمكنوا منه فيقتلوه . والأخيذ : الأسير (وَجَٰدَلُوا بِالْبَٰطِلِ) بالكفر (لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) ليبطلوا به الإيمان (فَأَخَذْتُهُمْ) مظهر مكى وحفص يعنى أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على ارادة أخذ الرسل أن أخذتهم فعاقبتهم (فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) وبالياء يعقوب . أى فإنكم تمرون على بلادهم فتعاينون أثر ذلك ، وهذا تقرير فيه معنى التعجيب (وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) كلمات ربك مدنى وشامى (أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ النَّارِ) فى محل الرفع بدل من كلمة ربك أى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ، ومعناه كما وجب إهلاكهم فى الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار فى الآخرة . أو فى محل النصب بحذف لام التعليل وإيصال الفعل والذين كفروا قريش ، ومعناه كما وجب إهلاك أولئك الأمم كذلك وجب إهلاك هؤلاء ؛ لأن علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار ، ويلزم الوقف على النار ، لأنه لو وصل لصار (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ) يعنى حاملى العرش والحافين حوله وهم الكروبيون سادة الملائكة صفة لأصحاب النار وفساده ظاهر . روى أن حملة العرش أرجلهم فى الأرض السفلى ورءوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم ، وفى الحديث «إن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر

الملائكة » وقيل : حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف من الملائكة قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم يهللون ويكبرون ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر (يُسَبِّحُونَ) خبر المبتدأ وهو الذين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أى مع حمده إذ الباء تدل على أن تسبيحهم بالحمدلة (وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) وفائدته مع علمنا بأن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الأنبياء فى غير موضع بالصلاح لذلك ، وكما عقب أعمال الخير بقوله : ثم كان من الذين آمنوا . فأبان بذلك فضل الإيمان ، وقد روعى التناسب فى قوله : ويؤمنون به (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا) كأنه قيل ويؤمنون به ويستغفرون لمن فى مثل حالهم ، وفيه دليل على أن الاشتراك فى الإيمان يجب أن يكون أدعى شىء إلى النصيحة والشفقة ، وإن تباعدت الأجناس والأماكن (رَبَّنَا) أى يقولون ربنا وهذا المحذوف حال (وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً) والرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شىء فى المعنى ، إذ الأصل وسع كل شىء رحمتك وعلمك ، ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز مبالغة فى وصفه بالرحمة والعلم (فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا) أى للذين علمت منهم التوبة لتناسب ذكر الرحمة والعلم (وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) أى طريق الهدى الذى دعوت إليه (وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ) من فى موضع نصب عطف على هم فى وأدخلهم أو فى وعدتهم ، والمعنى وعدتهم ووعدت من صلح من آبائهم (وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) أى الملك الذى لا يغلب ، وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئاً خالياً عن الحكمة وموجب حكمتك أن تفى بوعدك (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) أى جزاء السيئات وهو عذاب النار (وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ) أى رفع العذاب (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ) أى يوم القيامة إذا دخلوا النار ومقتوا أنفسهم فيناديهم خزنة النار (لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ) أى لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم ، فاستغنى بذكرها مرة ، والمقت أشد البغض ، وانتصاب (إِذْ

تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ) بالمقت الأول عند الزمخشرى ، والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة : كان الله يمقت أنفسكم الأمارة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم فى النار إذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن ، وقيل معناه لمقت الله إياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله : ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ، وإذ تدعون تعليل ، وقال جامع العلوم وغيره إذ منصوب بفعل مضمر دل عليه لمقت الله أى يمقتهم الله حين دعوا إلى الإيمان فكفروا ولا ينتصب بالمقت الأول لأن قوله لمقت الله مبتدأ وهو مصدر وخبره أكبر من مقتكم أنفسكم ، فلا يعمل فى إذ تدعون ؛ لأن المصدر إذا أخبر عنه لم يجز أن يتعلق به شيء يكون فى صلته لأن الإخبار عنه يؤذن بتمامه ، وما يتعلق به يؤذن بنقصانه ، ولا بالثانى لاختلاف الزمانين ، وهذا لأنهم مقتوا أنفسهم فى النار وقد دعوا إلى الإيمان فى الدنيا (فَتَكْفُرُونَ) فتصرون على الكفر (قَالُوا رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ) أى إماتتين وإحياءتين أو موتتين وحياتين ، وأراد بالإماتتين خلقهم أمواتاً أولا وإماتتهم عند انقضاء آجالهم ، وصح أن يسمى خلقهم أمواتاً إماتة ، كما صح أن يقال : سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل ، وليس ثمة نقل من كبر إلى صغر ، ولا من صغر إلى كبر ، والسبب فيه أن الصغر والكبر جائزان على المصنوع الواحد ، فإذا اختار الصانع أحد الجائزين فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر ، فجعل صرفه عنه كنقله منه وبالإحياءتين : الإحياءة الأولى فى الدنيا ، والإحياءة الثانية البعث ، ويدل عليه قوله : وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم . وقيل : الموتة الأولى فى الدنيا ، والثانية فى القبر بعد الإحياء للسؤال ، والإحياء الأول إحياؤه فى القبر بعد موته للسؤال ، والثانى للبعث (فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا) لما رأوا الإماتة والإحياء قد تكررا عليهم علموا أن الله قادر على الإعادة كما هو قادر على الإنشاء ، فاعترفوا بذنوبهم التى اقترفوها من إنكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ) من النار . أى إلى نوع من الخروج سريع أو بطيء لنتخلص (مِّن سَبِيلٍ) قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وإنما يقولون ذلك تحيراً ، ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك

وهو قوله (ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِىَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا) أى ذلكم الذى أنتم فيه وأن لاسبيل لكم إلى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به (فَالْحُكْمُ لِلَّهِ) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد (الْعَلِىِّ) شأنه ، فلا يرد قضاؤه (الْكَبِيرِ) العظيم سلطانه ، فلا يحد جزاؤه ، وقيل كأن الحرورية أخذوا قولهم : لاحكم إلا لله من هذا . وقال قتادة : لما خرج أهل حروراء قال على رضى الله عنه : من هؤلاء قيل المحكمون . أى يقولون : لا حكم إلا لله ، فقال على رضى الله عنه : كلمة حق أريد بها باطل (هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِ) من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها (وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ) وبالتخفيف مكى وبصرى (رِزْقًا) مطراً ؛ لأنه سبب الرزق (وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ) وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله إلا من يتوب من الشرك ويرجع إلى الله فإن المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ، ثم قال للمنيبين : (فَادْعُوا اللَّهَ) فاعبدوه (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (وَلَوْ كَرِهَ الْكَـٰفِرُونَ) وإن غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِى الرُّوحَ) ثلاثة أخبار لقوله هو مرتبة على قوله : الذى يريكم . أو أخبار مبتدأ محذوف ، ومعنى رفيع الدرجات رافع السموات بعضها فوق بعض أو رافع درجات عباده فى الدنيا بالمنزلة أو رافع منازلهم فى الجنة وذو العرش مالك عرشه الذى فوق السموات خلقه مطافاً للملائكة إظهاراً لعظمته مع استغنائه فى مملكته والروح جبريل عليه السلام ، أو الوحى الذى تحيا به القلوب (مِنْ أَمْرِهِ) من أجل أمره أو بأمره (عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ) أى الله أو الملقى عليه وهو النبى عليه السلام ويدل عليه قراءة يعقوب لتنذر (يَوْمَ التَّلَاقِ) يوم القيامة لأنه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض والأولون والآخرون . التلاقى : مكى ويعقوب (يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ) ظاهرون لا يسترهم شىء من جبل أو أكمة أو بناء (لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ) أى من أعمالهم وأحوالهم (لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) أى يقول الله تعالى ذلك حين لا أحد يجيبه ، ثم يجيب نفسه بقوله (لِلَّهِ الْوَٰحِدِ الْقَهَّارِ) أى الذى قهر الخلق بالموت ، وينتصب اليوم بمدلول لمن أى لمن ثبت الملك فى هذا اليوم ، وقيل ينادى مناد فيقول : لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار (الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ

الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) لما قرر أن الملك لله وحده فى ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهى أن كل نفس تجزى بما كسبت عملت فى الدنيا من خير وشر ، وأن الظلم مأمون منه لأنه ليس بظلام للعبيد ، وأن الحساب لا يبطئ لأنه لا يشغله حساب عن حساب ، فيحاسب الخلق كله فى وقت واحد وهو أسرع الحاسبين (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ) أى القيامة سميت بها لأزوفها أى لقربها ، ويبدل من يوم الآزفة (إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ) أى التراقى يعنى ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هى تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروّحوا (كَاظِمِينَ) ممسكين بحناجرهم . من كظم القربة شد رأسها وهو حال من القلوب محمول على أصحابها ، وإنما جمع الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذى هو من أفعال العقلاء (مَا لِلظَّالِمِينَ) الكافرين (مِنْ حَمِيمٍ) محب مشفق (وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) أى يشفع وهو مجاز عن الطاعة لأن الطاعة حقيقة لا تكون إلا لمن فوقك ، والمراد نفى الشفاعة والطاعة كما فى قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * يريد نفى الضب وانجحاره ، وإن احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون الشفاعة ، فعن الحسن : والله ما يكون لهم شفيع البتة (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاه والمراد استراق النظر إلى ما لا يحل (وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ) وما تسره من أمانة وخيانة ، وقيل هو أن ينظر إلى أجنبية بشهوة مسارقة ، ثم يتفكر بقلبه فى جمالها ولا يعلم بنظرته وفكرته من بحضرته والله يعلم ذلك كله ويعلم خائنة الأعين خبر من أخبار هو فى قوله : هو الذى يريكم آياته . مثل يلقى الروح ولكن يلقى الروح قد علل بقوله : لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن أخواته (وَاللَّهُ يَقْضِى بِالْحَقِّ) أى والذى هذه صفاته لا يحكم إلا بالعدل (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ) وآلهتهم لا يقضون بشىء ، وهذا تهكم بهم لأن ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضى أو لا يقضى. تدعون نافع (إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) تقرير لقوله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ووعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون ، وأنه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دونه وأنها لا تسمع ولا تبصر (أَوَلَمْ يَسِيرُوا

فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ) أى آخر أمر الذين كذبوا الرسل من قبلهم (كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) هم فصل ، وحقه أن يقع بين معرفتين إلا أن أشد منهم ضارع المعرفة فى أنه لا تدخله الألف واللام، فأجرى مجراه. منكم شامى (وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ) أى حصوناً وقصوراً (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ) عاقبهم بسبب ذنوبهم (وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ) ولم يكن لهم شىء يقيهم من عذاب الله (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ) أى الأخذ بسبب أنهم (كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِىٌّ) قادر على كل شىء (شَدِيدُ الْعِقَابِ) إذا عاقب (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَـٰتِنَا) التسع (وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ) وحجة ظاهرة (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا) هو (سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ) فسموا السلطان المبين سحراً وكذبا (فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْحَقِّ) بالنبوة (مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَآءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ) أى أعيدوا عليهم القتل كالذى كان أولا (وَاسْتَحْيُوا نِسَآءَهُمْ) للخدمة (وَمَا كَيْدُ الْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَـٰلٍ) ضياع يعنى أنهم باشروا قتلهم أولا فما أغنى عنهم ، ونفذ قضاء الله بإظهار من خافوه فما يغنى عنهم هذا القتل الثانى ، وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان ، فلما بعث موسى عليه السلام وأحس بأنه قد وقع أعاده عليهم غيظاً وظنا منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم أن كيده ضائع فى الكرتين جميعاً (وَقَالَ فِرْعَوْنُ) لملئه (ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ) كان إذا همّ بقتله كفوه بقولهم : ليس بالذى تخافه وهو أقل من ذلك ، وما هو إلا ساحر ، وإذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة ، والظاهر أن فرعون قد استيقن أنه نبى وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر ، ولكن كان فيه خب ، وكان قتالا سفاكا للدماء فى أهون شىء ، فكيف لا يقتل من أحس بأنه هو الذى يهدم ملكه ، ولكن كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك ، وقوله (وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه ، وكان قوله : ذرونى أقتل موسى تمويهاً على قومه وإيهاماً أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه إلا ما فى نفسه من هول الفزع (إِنِّىٓ أَخَافُ) إن لم أقتله (أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ) أن يغير ما أنتم عليه . وكانوا يعبدونه

ويعبدون الأصنام (أَوْ أَن يُظْهِرَ) موسى (فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ) بضم الياء ونصب الدال مدنى وبصرى وحفص وغيرهم بفتح الياء ورفع الدال ، والأول أولى لموافقة يبدل. والفساد فى الأرض التقاتل والتهايج الذى يذهب معه الأمن ، وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعاً كأنه قال إنى أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه ، وقرأ غير أهل الكوفة وأن ، ومعناه إنى أخاف فساد دينكم ودنياكم معا (وَقَالَ مُوسَىٰٓ) لما سمع بما أجراه فرعون من حديث قتله لقومه (إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ) وفى قوله وربكم بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ، ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه ، وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة ، وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ ، وأراد بالتكبر الاستكبار عن الإذعان للحق ، وهو أقبح استكبار ، وأدل على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه ، وقال : لا يؤمن بيوم الحساب ؛ لأنه إذا اجتمع فى الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ، ولم يترك عظيمة إلا ارتكبها ، وعذت ولذت أخوان. وعت بالإدغام أبو عمرو وحمزة وعلى (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ) قيل : كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا ، ومن آل فرعون صفة لرجل ، وقيل : كان إسرائيليا ومن آل فرعون صلة ليكتم أى يكتم إيمانه من آل فرعون واسمه سمعان أو حبيب أو خربيل أو حزبيل ، والظاهر الأول (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ) لأن يقول وهذا إنكار منه عظيم كأنه قيل أترتكبون الفعلة الشنعاء التى هى قتل نفس محرمة وما لكم علة فى ارتكابها إلا كلمة الحق ، وهى قوله (رَبِّىَ ٱللَّهُ) وهو ربكم أيضا لا ربه وحده (وَقَدْ جَآءَكُم) الجملة حال (بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ) يعنى أنه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند من نسب إليه الربوبية وهو استدراج لهم إلى الاعتراف به (وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ) احتج عليهم بطريق التقسيم فإنه لا يخلو من أن يكون كاذباً أو صادقاً ، فإن يك كاذباً فعليه وبال كذبه ولا يتخطاه ، وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذى يعدكم من العذاب ، ولم يقل

كل الذى يعدكم مع أنه وعد من نبى صادق القول مداراة لهم وسلوكا لطريق الإنصاف فجاء بما هو أقرب إلى تسليمهم له وليس فيه نفى إصابة الكل ، فكأنه قال لهم أقل ما يكون فى صدقه أن يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العذاب العاجل وفى ذلك هلاككم ، وكان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة ، وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل أيضا ، وتفسير البعض بالكل مزيف (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ) مجاوز للحد (كَذَّابٌ) فى ادعائه ، وهذا أيضاً من باب المجاملة ، والمعنى أنه إن كان مسرفا كذاباً خذله الله وأهلكه فتتخلصون منه ، أو لو كان مسرفا كذاباً لما هداه الله بالنبوة ولما عضده بالبينات ، وقيل أوهم أنه عنى بالمسرف موسى وهو يعنى به فرعون (يَـٰقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ) عالين وهو حال من كم فى لكم (فِى الْأَرْضِ) فى أرض مصر (فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَآءَنَا) يعنى أن لكم ملك مصر ، وقد علوتم الناس وقهرتموهم ، فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ، ولا تتعرضوا لبأس الله أى عذابه ، فإنه لا طاقة لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه أحد ، وقال ينصرنا وجاءنا لأنه منهم فى القرابة ، وليعلمهم بأن الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه (قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَى) أى ما أشير عليكم برأى إلا بما أرى من قتله يعنى لا أستصوب إلا قتله ، وهذا الذى تقولونه غير صواب (وَمَآ أَهْدِيكُمْ) بهذا الرأى (إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) طريق الصواب والصلاح ، أوما أعلمكم إلا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيئاً ولا أسر عنكم خلاف ماأظهر . يعنى أن لسانه وقلبه متواطئان على مايقول ، وقد كذب فقد كان مستشعراً للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام ، ولكنه كان يتجلد ، ولولا استشعاره لم يستشر أحداً ولم يقف الأمر على الإشارة (وَقَالَ الَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ) أى مثل أيامهم ؛ لأنه لما أضافه إلى الأحزاب وفسرهم بقوله (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ) ولم يلتبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع ، ودأب هؤلاء دءوبهم فى عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى وكون ذلك دائباً دائما منهم لا يفترون عنه ، ولا بد من حذف مضاف ، أى مثل جزاء دأبهم وانتصاب مثل الثانى بأنه عطف بيان لمثل الأول (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ) أى وما يريد الله أن يظلم عباده

فيعذبهم بغير ذنب أو يزيد على قدر ما يستحقون من العذاب . يعنى أن تدميرهم كان عدلا لأنهم استحقوه بأعمالهم ، وهو أبلغ من قوله : وما ربك بظلام للعبيد، حيث جعل المنفى إرادة ظلم منكّر ومن بعد عن إرادة ظلم مّا لعباده كان عن الظلم أبعد وأبعد ، وتفسير المعتزلة بأنه لا يريد لهم أن يظلموا بعيد ، لأن أهل اللغة قالوا إذا قال الرجل لآخر لا أريد ظلماً لك معناه لا أريد أن أظلمك ، وهذا تخويف بعذاب الدنيا ، ثم خوفهم من عذاب الآخرة بقوله (وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ) أى يوم القيامة . التنادى مكى ويعقوب فى الحالين وإثبات الياء هو الأصل وحذفها حسن لأن الكسرة تدل على الياء وآخر هذه الآى على الدال ، وهو ما حكى الله تعالى فى سورة الأعراف : ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار . ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة . ونادى أصحاب الأعراف . وقيل ينادى مناد : ألا إن فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، ألا إن فلاناً شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً (يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ) منحرفين عن موقف الحساب إلى النار (مَالَكُم مِّنَ اللَّهِ) من عذاب الله (مِنْ عَاصِمٍ) مانع ودافع (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) مرشد (وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَـٰتِ) هو يوسف بن يعقوب ، وقيل يوسف بن أفرايم بن يوسف ابن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة ، وقيل إن فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر إلى زمنه وقيل هو فرعون آخر وبخهم بأن يوسف أتاكم من قبل موسى بالمعجزات (فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِ) فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين (حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان . أى أقمتم على كفركم وظننتم أنه لا يجدد عليكم إيجاب الحجة (كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ) أى مثل هـذا الإضلال يضل الله كل مسرف فى عصياته مرتاب شاك فى دينه (الَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ) بدل من مَن هو مسرف وجاز إبداله منه وهو جمع لأنه لا يريد مسرفا واحداً بل كل مسرف (فِىٓ ءَايَـٰتِ اللَّهِ) فى دفعها وإبطالها (بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ) حجة (أَتَـٰهُمْ كَبُرَ مَقْتاً) أى عظم بغضاً ، وفاعل كبر ضمير من هو مسرف وهو جمع معنى وموحد لفظا فحمل البدل على معناه والضمير الراجع إليه على لفظه ، ويجوز أن يرفع الذين على

الابتداء ، ولا بد فى هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير فى كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتاً (عِندَ اللهِ وَعِندَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ). قلب بالتنوين أبو عمرو وإنما وصف القلب بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما كما تقول : سمعت الأذن وهو كقوله : فإنه آثم قلبه ، وإن كان الآثم هو الجملة (وَقَالَ فِرْعَوْنُ) تمويهاً على قومه أو جهلا منه (يَٰهَٰمَٰنُ ابْنِ لِي صَرْحًا) أى قصراً . وقيل الصرح : البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وإن بعد ، ومنه يقال : صرّح الشيء إذا ظهر (لَّعَلِّيٓ) وبفتح الياء حجازى وشامى وأبو عمرو (أَبْلُغُ الْأَسْبَٰبَ) ثم أبدل منها تفخيما لشأنها وإبانة أنه يقصد أمراً عظيما (أَسْبَٰبَ السَّمَٰوَٰتِ) أى طرقها وأبوابها وما يؤدى إليها وكل ما أداك إلى شيء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه (فَأَطَّلِعَ) بالنصب حفص على جواب الترجى تشبيهاً للترجى بالتمنى. وغيره بالرفع عطفاً على أبلغ (إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ) والمعنى فأنظر إليه (وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ) أى موسى (كَٰذِبًا) فى قوله له إله غيرى (وَكَذَٰلِكَ) ومثل ذلك التزيين وذلك الصد (زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) المستقيم. وبفتح الصاد كوفى[1] ويعقوب أى غيره صدا أو هو بنفسه صدوداً والمزين الشيطان بوسوسته كقوله : وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل . أو الله تعالى ، ومثله : زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) خسران وهلاك (وَقَالَ الَّذِى ءَامَنَ يَٰقَوْمِ اتَّبِعُونِ) اتبعونى فى الحالين مكى ويعقوب وسهل (أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) وهو نقيض الغى وو ، تعريض شبيه بالتصريح أن ما عليه فرعون وقومه سبيل الغى. أجمل أولا ، ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها بقوله (يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا مَتَٰعٌ) تمتع يسير ، فالإخلاد إليها أصل الشر ومنبع الفتن وثنى بتعظيم الآخرة وبين أنها هى الوطن والمستقر بقوله (وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) ثم ذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف بقوله (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) يُدخلون مكى وبصرى ويزيد وأبو بكر ، ثم وازن

(١) الذى بغيث النفع : قرأ الكوفيون بضم الصاد والباقون بالفتح .

بين الدعوتين دعوته إلى دين الله الذى ثمرته الجنات ، ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذى عاقبته النار بقوله (وَيَـٰقَوْمِ مَالِيَ) وبفتح الياء حجازى وأبو عمرو (أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَوٰةِ) أى الجنة (وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ) هو بدل من تدعوننى الأول يقال: دعاه إلى كذا ودعاه له كما يقال هداه إلى الطريق وهداه له (وَأُشْرِكَ بِهِ مَالَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ) أى بربوبيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كأنه قال : وأشرك به ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يصح أن يعلم إلها (وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّـٰرِ) وهو الله سبحانه وتعالى ، وتكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والإيقاظ عن سنة الغفلة ، وفيه أنهم قومه وأنه من آل فرعون وجىء بالواو فى النداء الثالث دون الثانى ، لأن الثانى داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له بخلاف الثالث (لَا جَرَمَ) عند البصريين لارد لما دعاه إليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن مع مافى حيزه فاعله أى حق ووجب بطلان دعوته (أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ) معناه أن ماتدعوننى إليه ليس له دعوة إلى نفسه قط أى من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد إلى طاعته وماتدعون إليه وإلى عبادته لايدعو هو إلى ذلك ، ولا يدعى الربوبية أو معناه ليس له استجابة دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة أودعوة مستجابة جعلت الدعوة التى لااستجابة لها ولامنفعة كلادعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمى الفعل المجازى عليه بالجزاء فى قوله: كما تدين تدان (وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ) وأن رجوعنا إليه (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ) وأن المشركين (هُمْ أَصْحَـٰبُ النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ) أى من النصيحة عند نزول العذاب (وَأُفَوِّضُ) وأسلم (أَمْرِي) وبفتح الياء مدنى وأبو عمرو (إِلَى اللَّهِ) لأنهم توعدوه (إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) بأعمالهم ومآلهم (فَوَقَـٰهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَامَكَرُوا) شدائد مكرهم وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم ، وقيل إنه خرج من عندهم هاربا إلى جبل فبعث قريباً من ألف فى طلبه فمنهم من أكلته السباع ومن رجع منهم صلبه فرعون (وَحَاقَ) ونزل (بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ) بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل : ماسوء العذاب ؟ فقيل هو النار أو مبتدأ خبره (يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) وعرضهم عليها إحراقهم بها يقال : عرض الامام الأسارى على السيف إذا قتلهم به (غُدُوًّا وَعَشِيًّا) أى فى هذين الوقتين يعذبون بالنار ،

وفيما بين ذلك إما أن يعذبوا بجنس آخر أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا فى الدنيا (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) يقال لخزنة جهنم (أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ) من الإدخال مدنى وحمزة وعلى وحفص وخلف ويعقوب وغيرهم ادخلوا أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (أَشَدَّ الْعَذَابِ) أى عذاب جهنم وهذه الآية دليل على عذاب القبر (وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ) واذكر وقت تخاصمهم (فِى النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَٰٓؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) يعنى الرؤساء (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) تباعا كخدم فى جمع خادم (فَهَلْ أَنْتُم مُّغْنُونَ) دافعون (عَنَّا نَصِيبًا) جزءا (مِّنَ النَّارِ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا) التنوين عوض من المضاف إليه أى إنا كلنا فيها لايغنى أحد عن أحد (إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ) قضى بينهم بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (وَقَالَ الَّذِينَ فِى النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ) للقوّام بتعذيب أهلها وإنما لم يقل لخزنتها لأن فى ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل أن جهنم هى أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنّام بعيدة القعر وفيها أعتى الكفار وأطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا) بقدر يوم من الدنيا (مِّنَ الْعَذَابِ قَالُوا) أى الخزنة توبيخا لهم بعد مدة طويلة (أَوَلَمْ تَكُ) أى أولم تك قصة وقوله (تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم) تفسير للقصة (بِالْبَيِّنَٰتِ) بالمعجزات (قَالُوا) أى الكفار (بَلَىٰ قَالُوا) أى الخزنة تهكما بهم (فَادْعُوا) أنتم ولا استجابة لدعائكم (وَمَا دُعَٰٓؤُا الْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ) بطلان وهو من قول الله تعالى ويحتمل أن يكون من كلام الخزنة (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ) أى فى الدنيا والآخرة يعنى أنه يغلبهم فى الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وإن غلبوا فى الدنيا فى بعض الأحايين امتحانا من الله والعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين ويوم نصب محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول جئتك فى أمس واليوم، والأشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الأنبياء والحفظة، فالأنبياء يشهدون عند رب العزة على الكفرة بالتكذيب والحفظة يشهدون

على بنى آدم بما عملوا من الأعمال. تقوم بالتاء الرازى عن هشام (يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ) هذا بدل من يوم يقوم أى لا يقبل عذرهم. لا ينفع كوفى ونافع (وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ) البعد من رحمة الله (وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ) أى سوء دار الآخرة وهو عذابها (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ) يريد به جميع ما أتى به فى باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَٰبَ) أى التوراة والإنجيل والزبور لأن الكتاب جنس أى تركنا الكتاب من بعد هذا إلى هذا (هُدًى وَذِكْرَىٰ) إرشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له أو على الحال (لِأُولِى الْأَلْبَٰبِ) لذوى العقول (فَاصْبِرْ) على ما يجرعك قومك من الغصص (إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ) يعنى إن ما سبق به وعدى من نصرتك وإعلاء كلمتك حق (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ) أى لذنب أمتك (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِىِّ وَالْإِبْكَٰرِ) أى دم على عبادة ربك والثناء عليه وقيل هما صلاتا العصر والفجر وقيل قل سبحان الله وبحمده (إِنَّ الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ) لا وقف عليه لأن خبر إن (إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ) تعظم وهو إرادة التقدم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم فلهذا عادوك ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسة أو إرادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله: لو كان خيرا ما سبقونا إليه. أو إرادة دفع الآيات بالجدل (مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ) ببالغى موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق إرادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات (فَاسْتَعِذْ بِاللهِ) فالتجىء إليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ) لما تقول ويقولون (الْبَصِيرُ) بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم (لَخَلْقُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) لما كانت مجادلتهم فى آيات الله مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها حجوا بخلق السموات الأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها فإن من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته أقدر (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) لأنهم لا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم (وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَلَا الْمُسِىٓءُ) لا زائدة (قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ) تتعظون بتاءين كوفى، وبياء وتاء غيرهم، وقليلا صفة مصدر محذوف أى تذكرا قليلا يتذكرون وما صلة زائدة (إِنَّ السَّاعَةَ

لَآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا)لابد من مجيئها وليس بمرتاب فيهالأنه لابد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة (وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) لايصدقون بها (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي)اعبدوني (أَسْتَجِبْ لَكُمْ)أثبكم فالدعاء بمعنى العبادة كثير فى القرآن ويدل عليه قوله (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) وقال عليه السلام: «الدعاءهو العبادة» وقرأهذه الآية ﷺ وعن ابن عباس رضى الله عنهما وحدونى أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد وقيل سلونى أعطكم (سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ) سيُدخلون مكى وأبو عمرو (دَاخِرِينَ) صاغرين (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) هو من الإسناد المجازى أى مبصرا فيه لأن الإبصار فى الحقيقة لأهل النهار وقرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال ولم يكونا حالين أو مفعولا لهما رعاية لحق المقابلة لأنهما متقابلان معنى لأن كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر ولأنه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التى فى الإسناد المجازى ولو قيل ساكنا لم تتميز الحقيقة من المجاز إذ الليل يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى إلى قولهم ليل ساج أى ساكن لاريح فيه (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) ولم يقل لمفضل أو لمتفضل لأن المراد تنكير الفضل وأن يجعل فضلا لايوازيه فضل وذلك إنما يكون بالإضافة(وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) ولم يقل ولكن أكثرهم حتى لايتكرر ذكر الناس لأن فى هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولايشكرونه كقوله: إن الإنسان لكفور. وقوله: إن الإنسان لظلوم كفار (ذَٰلِكُمُ)الذى خلق لكم الليل والنهار (اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ) أخبار مترادفة أى هو الجامع لهذه الأوصاف من الربوبية والإلهية وخلق كل شىء والوحدانية (فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأوثان(كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) أى كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يطلب الحق أفك كما أفكوا (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا) مستقرا (وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) سقفا فوقكم (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ) قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الإنسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم (وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) اللذيذات(ذَٰلِكُمُ

اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ هُوَ الْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ) فاعبدوه (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) أى الطاعة من الشرك والرياء قائلين (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ) وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمدلله رب العالمين ولما طلب الكفار منه عليه السلام عبادة الأوثان نزل(قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَمَّا جَآءَنِىَ الْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى) هى القرآن وقيل العقل والوحى (وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ) أستقيم وأنقاد (لِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم) أى أصلكم (مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا)اقتصر على الواحد لأن المراد بيان الجنس (ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) متعلق بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك(ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا) وبكسر الشين مكى وحمزة وعلى وحماد ويحيى والأعشى (وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ) أى من قبل بلوغ الأشد أو من قبل الشيوخة (وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى) ومعناه ويفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت أو يوم القيامة (وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) مافى ذلك من العبر والحجج (هُوَ الَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) أى فإنما يكونه سريعا من غير كلفة(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ اللهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ) ذكر الجدال فى هذه السورة فى ثلاثة مواضع فجاز أن يكون فى ثلاثة أقوام أو ثلاثة أصناف أوللتأكيد(الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَٰبِ)بالقرآن(وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا) من الكتاب (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ) إذ ظرف زمان ماض والمراد به هنا الاستقبال كقوله: فسوف يعلمون. وهذا لأن الأمور المستقبلة لما كانت فى أخبار الله تعالى مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد، والمعنى على الاستقبال (وَالسَّلَٰسِلُ) عطف على الأغلال والخبر فى أعناقهم والمعنى إذ الأغلال والسلاسل فى أعناقهم (يُسْحَبُونَ فِى الْحَمِيمِ) يجرون فى الماء الحار (ثُمَّ فِى النَّارِ يُسْجَرُونَ) من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومعناه أنهم فى النار فهى محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم(ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ) أى تقول لهم الخزنة (أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ مِن دُونِ اللهِ)يعنى الأصنام التى تعبدونها(قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا

أى تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت أن فلانا شيء فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم تر عنده خيرا (كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ) مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا أو كما أضل هؤلاء المجادلين يضل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين (ذَٰلِكُم) العذاب الذى نزل بكم (بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ) بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الأوثان فيقال لهم (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ) السبعة المقسومة لكم. قال الله تعالى: لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم. (خَالِدِينَ فِيهَا) مقدرين الخلود (فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) عن الحق جهنم (فَاصْبِرْ) يا محمد (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بإهلاك الكفار (حَقٌّ) كائن (فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ) أصله فإن نريك وما مزيدة لتوكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول إن تكرمنى أكرمك ولكن إما تكرمنى أكرمك (بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) هذا الجزاء متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف وتقديره وإما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك أو إن نتوفينك قبل يوم بدر فإلينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ) إلى أممهم (مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) قيل بعث الله ثمانية آلاف نبى: أربعة آلاف من بنى إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس. وعن على رضى الله عنه إن الله تعالى بعث نبيا أسود فهو ممن لم تذكر قصته فى القرآن (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) وهذا جواب اقتراحهم الآيات عنادا يعنى إنا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتى بآية إلا بإذن الله فمن أين لى بأن آتى بآية مما تقترحونه إلا أن يشاء الله ويأذن فى الإتيان بها (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) أى يوم القيامة وهو وعيد ورد عقيب اقتراحهم الآيات (قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) المعاندون الذين اقترحوا الآيات عنادا (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ) خلق (لَكُمُ الْأَنْعَامَ) الإبل (لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) أى لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها (وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) أى الألبان والأوبار (وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ) أى لتبلغوا عليها

ما تحتاجون إليه من الأمور (وَعَلَيْهَا)وعلى الأنعام (وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ) أى على الأنعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك فى البر والبحر(وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِ فَأَىَّ ءَايَٰتِ اللهِ تُنكِرُونَ) أنها من عند الله وأى نصب بتنكرون وقد جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى أى أغرب لإبهامه (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ) عددا (وَأَشَدَّ قُوَّةً) بدنا (وَءَاثَارًا فِى الْأَرْضِ) قصورا ومصانع (فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم) مانافية (مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ) يريد علمهم بأمور الدنياومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهى أبعد شىء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا إليها وصغروها واستهزءوا بها واعتقدوا أنه لاعلم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به أو علم الفلاسفة والدهريين فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم. وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت إليه فقال نحن قوم مهذبون فلاحاجة بنا إلى من يهذبنا، أوالمراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزءوا بالبينات وبما جاءوا به من علم الوحى فرحين مرحين ويدل عليه قوله (وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُون) أو الفرح للرسل أى الرسل لما رأوا جهلهم واستهزاءهم بالحق وعلموا سوءعاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا)شدة عذابنا(قَالُوا ءَامَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) أى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم (سُنَّتَ اللهِ) بمنزلة وعدالله ونحوه من المصادر المؤكدة (الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ)أن الإيمان عند نزول العذاب لاينفع وأن العذاب نازل بمكذبى الرسل (وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَٰفِرُونَ) هنالك مكان مستعار للزمان والكافرون خاسرون فى كل أوان ولكن يتبين خسرانهم إذا

عاينوا العذاب، وفائدة ترادف الفاءات فى هذه الآيات أن فما أغنى عنهم نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وفلما جاءتهم رسلهم كالبيان والتفسير لقوله فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء، وفلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم إيمانهم تابع لإيمانهم لما رأوا بأس الله والله أعلم .

﴿ سورة فصلت مكية وهى ثلاث وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حٓمٓ) إن جعلته اسما للسورة كان مبتدأ (تَنزِيلٌ) خبره وإن جعلته تعديدا للحروف كان تنزيل خبراً لمبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل أو خبر بعدخبر أوخبر مبتدأ محذوف أو تنزيل مبتدأ (مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) صفته (كِتَٰبٌ) خبره (فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُ) ميزت وجعلت تفاصيل فى معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك (قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) نصب على الاختصاص والمدح أى أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت أو على الحال أى فصلت آياته فى حال كونه قرآنا عربيا (لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أى لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربى ولقوم يتعلق بتنزيل أو بفصلت أى تنزيل من الله لأجلهم أوفصلت آياته لهم والأظهر أن يكون صفة مثل ماقبله وما بعده أى قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب (بَشِيرًا وَنَذِيرًا) صفتان لقرآنا (فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) أى لايقبلون من قولك تشفعت إلى فلان فلم يسمع قولى ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ) من التوحيد (وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ) ثقل يمنع من استماع قولك (وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) ستر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها فى غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها ومج إسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وماهم عليه وبين رسول الله ﷺ وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاق ولا ترائى (فَاعْمَلْ) على دينك (إِنَّنَا عَٰمِلُونَ) على ديننا أو فاعمل فى إبطال أمرنا إننا عاملون فى إبطال أمرك وفائدة زيادة من أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ

منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لافراغ فيها ولو قيل بينا وبينك حجاب لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين (قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ) هذا جواب لقولهم قلوبنا فى أكنة ووجهه أنه قال لهم: إنى لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحى إلى دونكم فصحت نبوتى بالوحى إلى وأنا بشر وإذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى وفيما يوحى إلى أن إلهكم إله واحد (فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ) فاستووا إليه بالتوحيد وإخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين إلى مايسول لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء والشفعاء (وَٱسْتَغْفِرُوهُ) من الشرك (وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ) لايؤمنون بوجوب الزكاة ولايعطونها أولايفعلون مايكونون به أزكياء وهو الإيمان (وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ) بالبعث والثواب والعقاب (هُمْ كَٰفِرُونَ) وإنما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه فإذا بذله فى سبيل الله فذلك أقوى دليل على استقامته وصدق نيته ونصوع طويته وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وما ارتدت بنو حنيفة إلا بمنع الزكاة وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) مقطوع قيل نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ) الأحد والاثنين تعليما للأناة ولو أراد أن يخلقها فى لحظة لفعل (وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا) شركاء وأشباها (ذَٰلِكَ) الذى خلق ماسبق (رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ) خالق جميع الموجودات وسيدها ومربيها (وَجَعَلَ فِيهَا) فى الأرض (رَوَٰسِىَ) جبالا ثوابت (مِن فَوْقِهَا) إنما اختار إرساءها فوق الأرض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها وليبصر أن الأرض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة إلى ممسك وهو الله عزوجل (وَبَٰرَكَ) بالماء والزرع والشجر والثمر (فِيهَا) فى الأرض وقيل وبارك فيها وأكثر خيرها (وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا) أرزاق أهلها ومعايشهم ومايصلحهم، وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وقسم فيها أقواتها (فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) فى تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين تقول: سرت

من البصرة إلى بغداد فى عشرة وإلى الكوفة فى خمسة عشر أى تتمة خمسة عشر ولا بد من هذا التقدير لأنه لو أجرى على الظاهر لكانت ثمانية أيام لأنه قال خلق الأرض فى يومين ثم قال وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ثم قال فقضاهن سبع سموات فى يومين فيكون خلاف قوله فى ستة أيام فى موضع آخر، وفى الحديث: إن الله تعالى خلق الأرض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والعمران والخراب فتلك أربعة أيام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة وخلق آدم عليه السلام فى آخر ساعة من يوم الجمعة قيل هى الساعة التى تقوم فيها القيامة (سَوَآءً) ـ سواء ـ يعقوب صفة للأيام أى فى أربعة أيام مستويات تامات، سواء بالرفع يزيد أى هى سواء، غيرهما سواء على المصدر أى استوت سواء أى استواء أو على الحال (لِّلسَّآئِلِينَ) متعلق بقدر أى قدر فيها الأقوات لأجل الطالبين لها والمحتاجين إليها لأن كلا يطلب القوت ويسأله أو بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل فى كم خلقت الأرض وما فيها (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَآئِعِينَ) هو مجاز عن إيجاد الله تعالى السماء على ما أراد، تقول العرب: فعل فلان كذا. ثم استوى إلى عمل كذا يريدون أنه أكمل الأول وابتدأ الثانى ويفهم منه أن خلق السماء كان بعد خلق الأرض وبه قال ابن عباس رضى الله عنهما وعنه أنه قال أول ما خلق الله تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة ألف سنة فى مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر إليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان بتسليط النار عليها فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد أرضا والدخان سماء ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما أنه أراد أن يكونهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا فى ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وإنما ذكر الأرض مع السماء فى الأمر بالإتيان والأرض مخلوقة قبل السماء بيومين لأنه قد خلق جرم الأرض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال: والأرض بعد ذلك دحاها. فالمعنى ائتيا على ما ينبغى أن تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتى ياأرض مدحوة قرارا ومهادا لأهلك وائتى ياسماء مقببة سقفا لهم ومعنى الإتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيا، وقوله طوعا وكرها لبيان تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما تقول لمن تحت يدك. لتفعلن هذا شئت

أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين وإنما لم يقل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لأنهما سموات وأرضون لأنهن لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين فى موضع طائعات كقوله ساجدين (فَقَضَاهُنَّ) فأحكم خلقهن. قال: * وعليهما مسرودتان قضاهما * والضمير يرجع إلى السماء لأن السماء للجنس ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بقوله (سَبْعَ سَمَوَاتٍ) والفرق بين النصبين فى سبع سموات أن الأول على الحال والثانى على التمييز (فِي يَوْمَيْنِ) فى يوم الخميس والجمعة (وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيران وغير ذلك (وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا) القريبة من الأرض (بِمَصَابِيحَ) بكواكب (وَحِفْظًا) وحفظناها من المسترقة بالكواكب حفظا (ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) الغالب غير المغلوب (الْعَلِيمِ) بمواقع الأمور (فَإِنْ أَعْرَضُوا) عن الإيمان بعد هذا البيان (فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ) خوفتكم (صَاعِقَةً) عذابا شديد الوقع كأنه صاعقة وأصلها رعد معه نار (مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ) أى أتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا الإعراض وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة (أَن) بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة أصله بأنه (لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا) أى القوم (لَوْ شَاءَ رَبُّنَا) إرسال الرسل فمفعول شاء محذوف (لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ) معناه فإذا أنتم بشر ولستم بملائكة فإنا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقوله أرسلتم به ليس بإقرار بالإرسال وإنما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون: إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون. وقولهم: فإنا بما أرسلتم به كافرون. خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الأنبياء الذين دعوا إلى الإيمان بهم روى أن قريشا بعثوا عتبة بن ربيعة وكان أحسنهم حديثا ليكلم رسول الله ﷺ وينظر ما يريد فأتاه وهو فى الحطيم فلم يسأل شيئا إلا أجابه ثم قرأ عليه السلام السورة إلى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فناشده بالرحم وأمسك على فيه ووثب مخافة أن يصب عليهم العذاب فأخبرهم به وقال لقد عرفت السحر والشعر فوالله ما هو بساحر ولا بشاعر فقالوا لقد صبأت أما فهمت منه كلمة فقال لا ولم أهتد إلى جوابه فقال عثمان بن مظعون ذلك والله لتعلموا أنه من رب العالمين ثم بين ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال (فَأَمَّا عَادٌ

فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)أى تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الأجرام أو استولوا على الأرض بغير استحقاق للولاية (وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده (أَوَلَمْ يَرَوْا) أولم يعلموا علما يقوم مقام العيان(أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً)أوسع منهم قدرة لأنه قادر على كل شيء وهم قادرون على بعض الأشياء بإقداره(وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) معطوف على فاستكبروا أى كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) عاصفة تصرصر أى تصوت فى هبوبها من الصرير أو باردة تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد قيل إنها الدبور (فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ)مشئومات عليهم. نحْسات مكى وبصرى ونافع ونَحِس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس وأما نحس فإما مخفف نحس أو صفة على فعل أو وصف بمصدر وكانت من الأربعاء فى آخر شوال إلى الأربعاء وما عذب قوم إلا فى الأربعاء (لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)أضاف العذاب إلى الخزى وهو الذل على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب خزى كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء ويدل عليه قوله (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ)وهو من الإسناد المجازى ووصف العذاب بالخزى أبلغ من وصفهم به فشتان ما بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر (وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ) من الأصنام التى عبدوها على رجاء النصر لهم (وَأَمَّا ثَمُودُ) بالرفع على الابتداء وهو الفصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء والخبر (فَهَدَيْنَاهُمْ) وبالنصب المفضّل بإضمار فعل يفسره فهديناهم أى بينا لهم الرشد (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ) فاختاروا الكفر على الإيمان (فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ) داهية العذاب (الْهُونِ) الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) بكسبهم وهو شركهم ومعاصيهم، وقال الشيخ أبو منصور يحتمل ما ذكر من الهداية التبيين كما بينا ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة لأن الهدى المضاف إلى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء فأما الهدى المضاف إلى الخلق يكون بمعنى البيان لا غير، وقال صاحب الكشاف فيه: فإن قلت أليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى

تحصيل البغية وحصولها كما تقول: ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله فى الدلالة المجردة قلت للدلالة على أنه مكنهم فأزاح عللهم ولم يبق لهم عذر فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل مايوجبها ويقتضيها وإنما تمحل بهذا لأنه لايتمكن من أن يفسره بخلق الاهتداء لأنه يخالف مذهبه الفاسد (وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) أى اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) اختيار العمى على الهدى (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ) أى الكفار من الأولين والآخرين. نحشر أعداء نافع ويعقوب (فَهُمْ يُوزَعُونَ) يحبس أولهم على آخرهم أى يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهى عبارة عن كثرة أهل النار وأصله من وزعته أى كففته (حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا) صاروا بحضرتها ومامزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد أن وقت مجيئهم النار لامحالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها (شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) شهادة الجلود بملامسة الحرام وقيل هى كناية عن الفروج (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا) لما تعاظمهم من شهادتها عليهم (قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ) من الحيوان والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذى قدر على إنطاق كل حيوان (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) وهو قادر على إنشائكم أول مرة وعلى إعادتكم ورجوعكم إلى جزائه (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) أى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوارحكم لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا (وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ) ولكنكم إنما استترتم لظنكم أن الله لايعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم (وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ) وذلك الظن هو الذى أهلككم، وذلكم مبتدأ وظنكم خبر والذى ظننتم بربكم صفته وأرداكم خبر ثان أو ظنكم بدل من ذلكم وأرداكم الخبر (فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَٰسِرِينَ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ) أى فإن يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء فى النار (وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ) وإن يطلبوا الرضا فماهم من المرضيين أو إن يسألوا العتبى وهى الرجوع لهم إلى مايحبون جزعا مماهم فيه لم يعتبوا

لم يعطوا العتبى ولم يجابوا إليها (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ) أى قدرنا لمشركى مكة ، يقال هذان ثوبان قيضان أى مثلان والمقايضة المعاوضة، وقيل سلطنا عليهم (قُرَنَآءَ) أخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أى ماتقدم من أعمالهم وماهم عازمون عليها أو مابين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لابعث ولا حساب (وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) كلمة العذاب (فِيٓ أُمَمٍ) فى جملة أمم ومحله النصب على الحال من الضمير فى عليهم أى حق عليهم القول كائنين فى جملة أمم (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم) قبل أهل مكة (مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَٰسِرِينَ) هو تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْءَانِ) إذا قرئ (وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) وعارضوه بكلام غير مفهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته واللغو الساقط من الكلام الذى لاطائل تحته (فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا) يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة ولكن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى أعظم عقوبة على أسوأ أعمالهم وهو الكفر (ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ اللهِ) ذلك إشارة إلى الأسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذى كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الإشارة (النَّارُ) عطف بيان للجزاء أوخبر مبتدأ محذوف (لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ) أى النار فى نفسها دار الخلد كما تقول لك فى هذه الدار دار السرور وأنت تعنى الدار بعينها (جَزَآءً) أى جوزوا بذلك جزاء (بِمَا كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَآ أَرِنَا) وبسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا فى فخذ فخذ، مكى وشامى وأبو بكر . وبالاختلاس أبو عمرو (الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا) أى الشيطانين اللذين أضلانا (مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ) لأن الشيطان على ضربين جنى وإنسى، قال تعالى: وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن (نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) فى النار جزاء إضلالهم إيانا (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ) أى نطقوا بالتوحيد (ثُمَّ اسْتَقَٰمُوا) ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته، وعن الصديق رضى الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه أنه تلاها ثم قال ماتقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الأمر على أشده قالوا فما تقول

قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان ، وعن عمر رضى الله عنه لم يروغوا روغان الثعالب أى لم ينافقوا وعن عثمان رضى الله عنه أخلصوا العمل وعن على رضى الله عنه أدوا الفرائض وعن الفضيل زهدوا فى الفانية ورغبوا فى الباقية وقيل حقيقة الاستقامة القرار بعد الإقرار لا الفرار بعد الإقرار (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ) عند الموت (أَن) بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه (لَا تَخَافُوا) والهاء ضمير الشأن أى لا تخافوا ماتقدمون عليه (وَلَا تَحْزَنُوا) على ما خلفتم فالخوف غم يلحق الإنسان لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أوحصول ضار والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه (وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ) فى الدنيا، وقال محمد بن على الترمذى: تتنزل عليهم ملائكة الرحمن عند مفارقة الأرواح الأبدان أن لا تخافوا سلب الإيمان ولا تحزنوا على ما كان من العصيان وأبشروا بدخول الجنان التى كنتم توعدون فى سالف الزمان (نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ) كما أن الشياطين قرناء العصاة وإخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم فى الدارين (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ) من النعيم (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) تتمنون (نُزُلًا) هو رزق نزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال من الهاء المحذوفة أو من ما (مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ) نعت له (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ) إلى عبادته هو رسول الله دعا إلى التوحيد (وَعَمِلَ صَٰلِحًا) خالصا (وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ) تفاخرا بالإسلام ومعتقدا له أو أصحابه عليه السلام أو المؤذنون أو جميع الهداة والدعاة إلى الله (وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) يعنى أن الحسنة والسيئة متفاوتتان فى أنفسهما فخذ بالحسنة التى هى أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التى ترد عليك من بعض أعدائك كما لو أساء إليك رجل إساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتى هى أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك مثل أن يذمك فتمدحه أو يقتل ولدك فتفتدى ولده من يد عدوه (فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ) فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولى الحميم مصافاة لك ثم قال (وَمَا يُلَقَّىٰهَآ) أى وما يلقى هذه الخصلة التى هى مقابلة الإساءة بالإحسان (إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا) إلا أهل الصبر

(وَمَا يُلَقَّـٰهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) إلا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وإنما لم يقل فادفع بالتى هى أحسن لأنه على تقدير قائل قال فـكيف أصنع فقيل ادفع بالتى هى أحسن وقيل لامزيدة للتأكيد والمعنى لاتستوى الحسنة والسيئة وكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتى هى حسنة ولـكن وضع التى هى أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ فى الدفع بالحسنة لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها، وعن ابن عباس رضى الله عنهما: بالتى هى أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة وفسر الحظ بالثواب، وعن الحسن: والله ماعظم حظ دون الجنة، وقيل نزلت فى أبى سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا للنبى ﷺ فصار وليا مصافيا (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ)النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه يبعثه على مالا ينبغى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد وإما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فَاسْتَعِذْ بِاللهِ)من شره وامض على حلمك ولا تطعه (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لاستعاذتك (الْعَلِيمُ) بنزغ الشيطان (وَمِنْ ءَايَٰتِهِ) الدالة على وحدانيته (الَّيلُ وَالنَّهَارُ) فى تعاقبهما على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) فى اختصاصهما بسير مقدر ونور مقرر (لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ) فإنهما مخلوقان وإن كثرت منافعهما (وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) الضمير فى خلقهن للآيات أو الليل والنهار والشمس والقمر لأن حكم جماعة مالا يعقل حكم الأنثى أو الإناث، تقول الأقلام بريتها وبريتهن ولعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس و القمر كالصابئين فى عبادتهم الـكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لها السجود لله تعالى فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا إن كانوا إياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فإن من عبد مع الله غيره لايكون عابدا لله (فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ) أى الملائـكة (يُسَبِّحُونَ لَهُ بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْئَمُونَ) لا يملون والمعنى فإن استـكبروا ولم يمتثلوا ماأمروا به وأبوا إلا الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا فدعهم وشأنهم فإن الله تعالى لايعدم عابدا وساجدا بالإخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الأنداد وعند ربك عبارة عن الزلفى والمـكانة والـكرامة

وموضع السجدة عندنا لايسئمون وعند الشافعي رحمه الله عند تعبدون والأول أحوط (وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَٰشِعَةً) يابسة مغبرة والخشوع التذلل فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لانبات فيها (فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ) المطر (اهْتَزَّتْ) تحركت بالنبات (وَرَبَتْ) انتفخت (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فيكون قادرا على البعث ضرورة (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَٰتِنَا) يميلون عن الحق فى أدلتنا بالطعن، يقال ألحد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة فحفر فى شق فاستعير لحال الأرض إذا كانت ملحودة فاستعير للانحراف فى تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة. يلحدون حمزة (لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) وعيد لهم على التحريف (أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ) هذا تمثيل للكافر والمؤمن (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) هذا نهاية فى التهديد ومبالغة فى الوعيد (إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم عليه (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ) بالقرآن لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله (لَمَّا جَآءَهُمْ) حين جاءهم وخبر إن محذوف أى يعذبون أو هالكون أو أولئك ينادون من مكان بعيد وما بينهما اعتراض (وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ) أى منيع محمى بحماية الله (لَّا يَأْتِيهِ الْبَٰطِلُ) التبديل أو التناقض (مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) أى بوجه من الوجوه (تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) مستحق للحمد (مَّا يُقَالُ لَكَ) مايقول لك كفار قومك (إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ) إلا مثل ماقال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن فى الكتب المنزلة (إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ) ورحمة لأنبيائه (وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ) لأعدائهم ويجوز أن يكون مايقول لك الله إلا مثل ماقال للرسل من قبلك، والمقول هو قوله إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم (وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ) أى الذكر (قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا) أى بلغة العجم كانوا لتعنتهم يقولون: هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل فى جوابهم لو كان كما يقترحون (لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ) أى بينت بلسان العرب حتى نفهمها تعنتا (ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) بهمزتين كوفى غير حفص والهمزة للإنكار يعنى لأنكروا وقالوا: أقرآن أعجمى ورسول عربى أو مرسل إليه عربى. الباقون بهمزة واحدة ممدودة مستفهمة والأعجمى الذى لايفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العجم أو العرب والعجمى منسوب إلى أمة العجم فصيحا كان أو غير فصيح، والمعنى أن آيات الله على أى طريقة جاءتهم وجدوا

فيها متمنتا لأنهم غير طالبين للحق وإنما يتبعون أهواءهم وفيه إشارة إلى أنه لو أنزله بلسان العجم لكان قرآنا فيكون دليلا لأبى حنيفة رضى الله عنه فى جواز الصلاة إذا قرأ بالفارسية (قُلْ هُوَ) أى القرآن (لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى) إرشاد إلى الحق (وَشِفَاءٌ) لما فى الصدور من الشك إذ الشك مرض (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ) فى موضع الجر لكونه معطوفا على للذين آمنوا أى هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر أى صمم إلا أن فيه عطفا على عاملين وهو جائز عند الأخفش أو الرفع وتقديره والذين لا يؤمنون هو فى آذانهم وقر على حذف المبتدأ أو فى آذانهم منه وقر (وَهُوَ) أى القرآن (عَلَيْهِمْ عَمًى) ظلمة وشبهة (أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) يعنى أنهم لعدم قبولهم وانتفاعهم كأنهم ينادون إلى الإيمان بالقرآن من حيث لا يسمعون لبعد المسافة وقيل ينادون فى القيامة من مكان بعيد بأقبح الأسماء (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ) فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك فى كتابك (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ) بتأخير العذاب (لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ) لأهلكهم إهلاك استئصال وقيل الكلمة السابقة هى العدة بالقيامة وأن الخصومات تفصل فى ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم فى الدنيا (وَإِنَّهُمْ) وإن الكفار (لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ) موقع فى الريبة (مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِ) فنفسه نفع (وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا) فنفسه ضر (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ) فيعذب غير المسىء (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ) أى علم قيامها يرد إليه أى يجب على المسئول أن يقول الله يعلم ذلك (وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ) مدنى وشامى وحفص وغيرهم بغير ألف (مِّنْ أَكْمَامِهَا) أوعيتها قبل أن تنشق جمع كم (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ) حملها (وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) أى ما يحدث شىء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع إلا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى) أضافهم إلى نفسه على زعمهم وبيانه فى قوله أين شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع (قَالُوٓا ءَاذَنَّٰكَ) أعلمناك وقيل أخبرناك وهو الأظهر إذ الله تعالى كان عالما بذلك

وإعلام العالم محال أما الإخبار للعالم بالشيء فيتحقق بما علم به إلا أن يكون المعنى إنك علمت من قلوبنا الآن إنا لنشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه (مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ) أى مامنا أحد اليوم يشهد بأن لك شريكا ومامنا إلا من هو موحد لك أو مامنا من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لايبصرونها فى ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أى مامنا من شهيد يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة (وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ) يعبدون (مِن قَبْلُ) فى الدنيا (وَظَنُّوا) وأيقنوا (مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ) مهرب (لَّا يَسْئَمُ) لايمل (الْإِنسَانُ) الكافر بدليل قوله وما أظن الساعة قائمة (مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ) من طلب السعة فى المال والنعمة والتقدير من دعائه الخير فحذف الفاعل وأضيف إلى المفعول (وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ) الفقر (فَيَئُوسٌ) من الخير (قَنُوطٌ) من الرحمة بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر بدليل قوله تعالى إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي) وإذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أو سعة بعد ضيق قال هذا لى أى هذا حق وصل إلىّ لأنى استوجبته بما عندى من خير وفضل وأعمال بر أو هذا لى لايزول عنى (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) أى ماأظنها تكون قائمة (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي) كما يقول المسلمون (إِنَّ لِي عِندَهُ) عند الله (لَلْحُسْنَىٰ) أى الجنة أو الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا (فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا) فلنخبرنهم بحقيقة ماعملوا من الأعمال الموجبة للعذاب (وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) شديد لايفتر عنهم (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ) هذا ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة فنسى المنعم وأعرض عن شكره (وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ) وتباعد عن ذكر الله ودعائه أو ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وتحقيقه أن يوضع جانبه موضع نفسه لأن مكان الشيء وجهته ينزل منزلة نفسه ومنه قول الكتاب كتبت إلى جهته وإلى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ) الضر والفقر (فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) كثير أى أقبل على دوام الدعاء وأخذ فى الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء

ودوامه وهو من صفة الأجرام كما استعير الغلظ لشدة العذاب ولا منافاة بين قوله فيئوس قنوط وبين قوله فذو دعاء عريض لأن الأول فى قوم والثانى فى قوم أو قنوط فى البر وذو دعاء عريض فى البحر أو قنوط بالقلب ذو دعاء عريض باللسان أو قنوط من الصنم ذو دعاء لله تعالى (قُلْ أَرَءَيْتُمْ) أخبرونى (إِن كَانَ) القرآن (مِنْ عِندِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ) ثم جحدتم أنه من عند الله (مَنْ أَضَلُّ) منكم إلا أنه وضع قوله (مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم (سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي الْآفَاقِ) من فتح البلاد شرقا وغربا (وَفِي أَنفُسِهِمْ) فتح مكة (حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) أى القرآن أو الإسلام (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ) موضع بربك الرفع على أنه فاعل والمفعول محذوف وقوله (أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) بدل منه تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شىء شهيد أى أولم تكفهم شهادة ربك على كل شىء ومعناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شىء شهيد (أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ) شك (مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ) عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية فيجازيهم على كفرهم ومريتهم فى لقاء ربهم .

﴿ سورة شورى مكية وهى ثلاث وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فصل (حٰمٓ) من (عٓسٓقٓ) كتابة مخالفا لكهيعص تلفيقا بأخواتها ولأنه آيتان وكهيعص آية واحدة (كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ) أى مثل ذلك الوحى أو مثل ذلك الكتاب يوحى إليك (وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ) وإلى الرسل من قبلك (اللهُ) يعنى أن ماتضمنته هذه السورة من المعانى قد أوحى الله إليك مثله وفى غيرها من السور وأوحاه إلى من قبلك يعنى إلى رسله والمعنى أن الله كرر هذه المعانى فى القرآن وفى جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من نبى صاحب كتاب إلا أوحى إليه بحم عسق . يوحى بفتح الحاء مكى . ورافع اسم الله على هذه القراءة مادل عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحى فقيل الله (الْعَزِيزُ) الغالب بقهره (الْحَكِيمُ) المصيب فى فعله

وقوله (لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)ملكاوملكا (وَهُوَ الْعَلِيُّ) شأنه (الْعَظِيمُ) برهانه (تَكَادُ السَّمَٰوَاتُ) وبالياء نافع وعلى (يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ) يتشققن ، ينفطرن بصرى وأبو بكر ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد قوله العلى العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه ومعنى من فوقهن أى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وكان القياس أن يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التى جاءت منها كلمة الكفر لأنها جاءت من الذين تحت السموات ولكنه بولغ فى ذلك فجعلت مؤثرة فى جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن وقيل من فوقهن من فوق الأرض فالكناية راجعة إلى الأرض لأنه بمعنى الأرضين وقيل يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة، قال عليه السلام «أطت السماء أطا وحق لها أن تئط مافيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد » (وَالْمَلَٰئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) خضوعا لما يرون من عظمته (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ) أى للمؤمنين منهم كقوله : ويستغفرون للذين آمنوا . خوفا عليهم من سطواته أو يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات حامدين له على ما أولاهم من ألطافه متعجبين مما رأوا من تعرضهم لسخط الله تعالى ويستغفرون لمؤمنى أهل الأرض الذين تبرءوا من تلك الكلمة أو يطلبون إلى ربهم أن يحلم عن أهل الأرض ولا يعاجلهم بالعقاب (أَلَآ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) لهم (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ) أى جعلوا له شركاء وأندادا (اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ) رقيب على أقوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شىء فيجازيهم عليها (وَمَآ أَنتَ) يا محمد (عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ) بموكل عليهم ولا مفوض إليك أمرهم إنما أنت منذر فحسب (وَكَذَٰلِكَ) ومثل ذلك (أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ) وذلك إشارة إلى معنى الآية التى قبلها من أن الله رقيب عليهم لا أنت بل أنت منذر لأن هذا المعنى كرره الله فى كتابه أو هو مفعول به لأوحينا (قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) حال من المفعول به أى أوحيناه إليك وهو قرآن عربى بين (لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ) أى مكة لأن الأرض دحيت من تحتها أو لأنها أشرف البقاع والمراد أهل أم القرى (وَمَنْ حَوْلَهَا) من العرب (وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ) يوم القيامة لأن الخلائق تجتمع فيه (لَا رَيْبَ فِيهِ) اعتراض لا محل له، يقال: أنذرته كذا

وأنذرته بكذا وقد عدى لتنذر أم القرى إلى المفعول الأول وتنذر يوم الجمع إلى المفعول الثانى (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) أى منهم فريق فى الجنة ومنهم فريق فى السعير والضمير للمجموعين لأن المعنى يوم جمع الخلائق (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) أى مؤمنين كلهم (وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) أى يكرم من يشاء بالإسلام (وَالظَّالِمُونَ) والكافرون (مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ) شافع (وَلَا نَصِيرٍ) دافع (أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ) الفاء لجواب شرط مقدر كأنه قيل بعد إنكار كل ولى سواه إن أرادوا أولياء بحق فالله هو الولى بالحق وهو الذى يجب أن يتولى وحده لا ولى سواه (وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فهو الحقيق بأن يتخذ وليا دون من لا يقدر على شىء (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ) حكاية قول رسول الله ﷺ للمؤمنين أى ما خالفتكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين (فَحُكْمُهُ) أى حكم ذلك المختلف فيه مفوض (إِلَى اللَّهِ) وهو إثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذَٰلِكُمُ) الحاكم بينكم (اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) فيه رد كيد أعداء الدين (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) أرجع فى كفاية شرهم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح وغيره (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ارتفاعه على أنه أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدا محذوف (جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ) خلق لكم من جنسكم من الناس (أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا) أى وخلق للأنعام أيضا من أنفسها أزواجا (يَذْرَؤُكُمْ) يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم (فِيهِ) فى هذا التدبير وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل، واختير فيه على به لأنه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير والضمير فى يذرؤكم يرجع إلى المخاطبين والأنعام مغلباً فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) قيل إن كلمة التشبيه كررت لتأكيد نفى التماثل وتقديره ليس مثله شىء وقيل المثل زيادة وتقديره ليس كهو شىء كقوله تعالى: فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به. وهذا لأن المراد نفى المثلية وإذا لم تجعل الكاف أو المثل زيادة كان إثبات المثل وقيل المراد ليس كذاته شىء لأنهم يقولون مثلك لا يبخل يريدون به نفى البخل عن ذاته

ويقصدون المبالغة فى ذلك بسلوك طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عمن يسد مسده فقد نفوه عنه فإذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته ونحوه بل يداه مبسوطتان فمعناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لأنها وقعت عبارة عن الجود حتى إنهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له (وَهُوَ السَّمِيعُ) لجميع المسموعات بلا أذن (الْبَصِيرُ) لجميع المرئيات بلاحدقة، وكأنه ذكرهما لئلا يتوهم أنه لاصفة له كالامثل له (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مر فى الزمر (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) أى يضيق (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ شَرَعَ) بين وأظهر (لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ) أى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء عليهم السلام ، ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) والمراد إقامة دين الإسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون المرء بإقامته مسلماً ولم يرد به الشرائع فإنها مختلفة قال الله تعالى: لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا . ومحل أن أقيموا نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو إقامة الدين (وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) ولا تختلفوا فى الدين قال على رضى الله عنه: لا تتفرقوا فالجماعة رحمة والفرقة عذاب. (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ) عظم عليهم وشق عليهم (مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) من إقامة دين الله والتوحيد (اللَّهُ يَجْتَبِي) يجتلب ويجمع (إِلَيْهِ) إلى الدين بالتوفيق والتسديد (مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ) يقبل على طاعته (وَمَا تَفَرَّقُوا) أى أهل الكتاب بعد أنبيائهم (إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) إلا من بعد أن علموا أن الفرقة ضلال وأمر متوعد عليه على ألسنة الأنبياء عليهم السلام (بَغْيًا بَيْنَهُمْ) حسداً وطلباً للرياسة والاستطالة بغير حق (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) وهى بل الساعة موعدهم (لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ) لأهلكوا حين افترقوا لعظم ما اقترفوا (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا

الْـكِتَـٰبَ مِن بَعْدِهِمْ) هم أهل الـكتاب الذين كانوا فى عهد رسول الله ﷺ (لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ) من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان (مُرِيبٍ) مدخل فى الريبة وقيل وما تفرق أهل الـكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم ببعث رسول الله ﷺ كقوله تعالى: وما تفرق الذين أوتوا الـكتاب إلامن بعد ماجاءتهم البينة، وإن الذين أورثوا الـكتاب من بعدهم. هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والإنجيل (فَلِذَٰلِكَ) فلأجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الـكفر شعبا (فَادْعُ) إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القوية (وَاسْتَقِمْ) عليها وعلى الدعوة إليها (كَمَا أُمِرْتَ) كما أمرك الله (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ) المختلفة الباطلة (وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَـٰبٍ) بأى كتاب صح أن الله تعالى أنزله يعنى الإيمان بجميع الـكتب المنزلة لأن المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله : ويقولون نؤمن ببعض ونـكفر ببعض إلى قوله أولئك هم الـكافرون حقا (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَـكُمُ) فى الحكم إذا تخاصمتم فتحاكمتم إلىّ (اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّـكُم) أى كلنا عبيده (لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَـكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ) هو كقوله لـكم دينـكم ولى دين ويجوز أن يكون معناه إنا لانؤاخذ بأعمالـكم وأنتم لاتؤاخذون بأعمالنا (لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَـكُمُ) أى لا خصومة لأن الحق قد ظهر وصرتم محجوبين به فلا حاجة إلى المحاجة ومعناه لاإيراد حجة بيننا لأن المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته (اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا) يوم القيامة (وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وينتقم لنا منـكم (وَالَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى اللهِ) يخاصمون فى دينه (مِن بَعْدِ مَااسْتُجِيبَ لَهُ) من بعد مااستجاب له الناس ودخلوا فى الإسلام ليردوهم إلى دين الجاهلية كقوله: ود كثير من أهل الـكتاب لو يردونـكم من بعد إيمانـكم كفارا . كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منـكم وأولى بالحق وقيل من بعد مااستجيب لمحمد عليه السلام دعاؤه على المشركين يوم بدر (حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ) باطلة وسماها حجة وإن كانت شبهة لزعمهم أنها حجة (عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ) بكفرهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) فى الآخرة (اللهُ الَّذِىٓ أَنزَلَ الْـكِتَـٰبَ) أى جنس الـكتاب (بِالْحَقِّ) بالصدق أو ملتبسا به (وَالْمِيزَانَ) والعدل والتسوية ومعنى إنزال العدل أنه أنزله فى كتبه المنزلة وقيل هو عين الميزان أنزله فى زمن نوح

عليه السلام (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ) أى لعل الساعة قريب منك وأنت لاتدرى والمراد مجىء الساعة والساعة فى تأويل البعث ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع إنزال الكتب والميزان أن الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكأنه قيل أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع فاعملوا بالكتاب والعدل قبل أن يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا) استهزاء (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ) خائفون (مِنْهَا) وجلون لهولها (وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ) الكائن لامحالة (أَلَآ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ) المماراة الملاحّة لأن كل واحد منهما يمرى ماعند صاحبه (لَفِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ) عن الحق لأن قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها والعقول تشهد على أنه لابد من دار جزاء (اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ) فى إيصال المنافع وصرف البلاء من وجه يلطف إدراكه وهو بر بليغ البر بهم قد توصل بره إلى جميعهم وقيل هو من لطف بالغوامض علمه وعظم عن الجرائم حلمه أومن ينشر المناقب ويستر المثالب أويعفو عمن يهفو أو يعطى العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة . وعن الجنيد : لطف بأوليائه فعرفوه ولو لطف بأعدائه ماجحدوه (يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ) أى يوسع رزق من يشاء إذا علم مصلحته فيه، فى الحديث إن من عبادى المؤمنين من لايصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين من لايصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك (وَهُوَ الْقَوِيُّ) الباهر القدرة الغالب على كل شىء (الْعَزِيزُ) المنيع الذى لايغلب (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ) سمى مايعمله العامل مما يبتغى به الفائدة حرثا مجازا (نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ) بالتوفيق فى عمله أو التضعيف فى إحسانه أو بأن ينال به الدنيا والآخرة (وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا) أى من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة (نُؤْتِهِ مِنْهَا) أى شيئا منها لأن من للتبعيض وهو رزقه الذى قسم له لا مايريده ويبتغيه (وَمَا لَهُ فِى الْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ) وماله نصيب قط فى الآخرة وله فى الدنيا نصيب ولم يذكر فى عامل الآخرة أن رزقه المقسوم يصل إليه للاستهانة بذلك إلى جنب ماهو بصدده من زكاء عمله وفوزه فى المآب (أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا) قيل هى أم المنقطعة وتقديره بل ألهم شركاء وقيل هى المعادلة لألف الاستفهام وفى الكلام إضمار تقديره أيقبلون ماشرع الله من الدين أم لهم آلهة (شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ

مَالَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) أى لم يأمر به (وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ) أى القضاء السابق بتأجيل الجزاء أى ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) بين الكافرين والمؤمنين أو لعجلت لهم العقوبة (وَإِنَّ الظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وإن المشركين لهم عذاب أليم فى الآخرة وإن أخر عنهم فى دار الدنيا (تَرَى الظَّـٰلِمِينَ) المشركين فى الآخرة (مُشْفِقِينَ) خائفين (مِمَّا كَسَبُوا) من جزاء كفرهم (وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ) نازل بهم لامحالة أشفقوا أو لم يشفقوا (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ) كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ) عند نصب بالظرف لابيشاؤن (ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) على العمل القليل (ذَٰلِكَ) أى الفضل الكبير (الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ) يَبْشُر مكى وأبو عمرو وحمزة وعلى (عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ) أى به عباده الذين آمنوا فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع إلى الموصول كقوله أهذا الذى بعث الله رسولا. ولما قال المشركون: أيبتغى محمد على تبليغ الرسالة أجرا نزل (قُل لَّا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ) على التبليغ (أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) يجوز أن يكون استثناء متصلا أى لاأسألكم عليه أجرا إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتى ويجوز أن يكون منقطعا أى لاأسألكم أجرا قط ولكنى أسألكم أن تودوا قرابتى الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم ولم يقل إلا مودة القربى أو المودة للقربى لأنهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى آل فلان مودة ولى فيهم حب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبى ومحله وليست فى بصلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى إنما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك المال فى الكيس وتقديره إلا المودة ثابتة فى القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد فى أهل القربى وروى أنه لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال: على وفاطمة وابناها. وقيل معناه إلا أن تودونى لقرابتى فيكم ولا تؤذونى ولا تهيجوا على اذ لم يكن من بطون قريش إلا بين رسول الله وبينهم قرابة وقيل القربى التقرب إلى الله تعالى أى إلا أن تحبوا الله ورسوله فى تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح (وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً) يكتسب طاعة عن السدى: أنها المودة فى آل رسول الله ﷺ نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه

ومودته فيهم والظاهر العموم فى أى حسنة كانت إلا أنها تتناول المودة تناولا أوليا لذكرها عقيب ذكر المودة فى القربى (نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) أى نضاعفها كقوله من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة وقرىء حسنى وهو مصدر كالبشرى والضمير يعود إلى الحسنة أو إلى الجنة (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لمن أذنب بطوله (شَكُورٌ) لمن أطاع بفضله وقيل قابل للتوبة حامل عليها وقيل الشكور فى صفة الله تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله إلى الافتراء ثم إلى الافتراء على الله الذى هو أعظم الفرى وأفحشها (فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ) قال مجاهد أى يربط على قلبك بالصبر على أذاهم وعلى قولهم افترى على الله كذبا لئلا تدخله مشقة بتكذيبهم (وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ) أى الشرك وهو كلام مبتدأ غير معطوف على يختم لأن محو الباطل غير متعلق بالشرط بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالى ورفع ويحق وإنما سقطت الواو فى الخط كما سقطت فى ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وسندع الزبانية على أنها مثبتة فى مصحف نافع (وَيُحِقُّ الْحَقَّ) ويظهر الإسلام ويثبته (بِكَلِمَاتِهِ) بما أنزل من كتابه على لسان نبيه عليه السلام وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم وأظهر الإسلام (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) أى عليم بما فى صدرك وصدورهم فيجرى الأمر على حسب ذلك (وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) يقال قبلت منه الشىء إذا أخذته منه وجعلته مبدأ قبولى ويقال قبلته عنه أى عزلته عنه وأبنته عنه والتوبة أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على أن لا يعود وإن كان لعبد فيه حق لم يكن بد من التفصى على طريقه وقال على رضى الله عنه: هو اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ، ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته. وعن السدى: هو صدق العزيمة على ترك الذنوب والإنابة بالقلب إلى علام الغيوب. وعن غيره: هو أن لا يجد حلاوة الذنب فى القلب عند ذكره. وعن سهل: هو الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة. وعن الجنيد: هو الإعراض عما دون الله (وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ) وهو ما دون الشرك، يعفو

لمن يشاء بلا توبة (وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) بالتاء كوفى غير أبى بكر أى من التوبة والمعصية ولا وقف عليه للعطف عليه واتصال المعنى (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ) أى إذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ماطلبوه وزادهم على مطلوبهم واستجاب وأجاب بمعنى والسين فى مثله لتوكيد الفعل كقولك تعظم واستعظم والتقدير ويجيب الله الذين آمنوا وقيل معناه ويستجيب للذين فحذف اللام. مَنّ عليهم بأن يقبل توبتهم إذاتابوا ويعفو عن سيآتهم ويستجيب لهم إذا دعوه ويزيدهم على ماسألوه، وعن إبراهيم بن أدهم أنه قيل له مابالنا ندعوه فلا نجاب قال لأنه دعا كم فلم تجيبوه (وَالْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) فى الآخرة (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ) أى لو أغناهم جميعا (لَبَغَوْا فِى الْأَرْضِ) من البغى وهو الظلم أى لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لأن الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون وفرعون عبرة أو من البغى وهو الكبر أى لتكبّروا فى الأرض (وَلَٰكِن يُنَزِّلُ) بالتخفيف مكى وأبو عمرو (بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ) بتقدير يقال قدره قدْرا وقدَرا (إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) يعلم أحوالهم فيقدر لهم ماتقتضيه حكمته فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وما ترى من البسط على من يبغى ومن البغى بدون البسط فهو قليل ولا شك أن البغى مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب (وهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ) بالتشديد مدنى وشامى وعاصم (مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا) وقرئ قنِطوا (وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ) أى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وقيل لعمر رضى الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا إذاً أراد هذه الآية أو أراد رحمته فى كل شىء (وَهُوَ الْوَلِىُّ) الذى يتولى عباده بإحسانه (الْحَمِيدُ) المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته (وَمِنْ ءَايَٰتِهِ) أى علامات قدرته (خَلْقُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) مع عظمهما (وَمَا بَثَّ) فرق وما يجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف أو المضاف إليه (فِيهِمَا) من السموات والأرض (مِن دَابَّةٍ) الدواب تكون فى الأرض وحدها لكن يجوز أن ينسب الشىء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد وإنما هو فى فخذ من أفخاذهم ومنه قوله تعالى: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان. وإنما يخرج من الملح ولا يبعد أن يخلق فى السموات حيوانات يمشون فيها مشى الأناسى على الأرض أو

يكون للملائكة مشى مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف به الأناسى (وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ) يوم القيامة (إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ) إذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضى، قال الله تعالى: والليل إذا يغشى (وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ) غم وألم ومكروه (فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) أى بجناية كسبتموها عقوبة عليكم. بما كسبت بغير الفاء مدنى وشامى على أن مامبتدأ وبما كسبت خبره من غير تضمين معنى الشرط ومن أثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط. وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لو لم يكن للأطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا وقلنا الآية مخصومة بالمكلفين بالسباق والسياق وهو (وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ) أى من الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة، وقال ابن عطاء: من لم يعلم أن ماوصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ماعفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر فى إحسان ربه إليه، وقال محمد بن حامد: العبد ملازم للجنايات فى كل أو ان وجناياته فى طاعته أكثر من جناياته فى معاصيه لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله فى القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك فى أول خطوة، وعن على رضى الله تعالى عنه: هذه أرجى آية للمؤمنين فى القرآن لأن الكريم إذا عاقب مرة لايعاقب ثانيا وإذا عفا لايعود (وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى الْأَرْضِ) أى بفائتين ما قضى عليكم من المصائب (وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِن وَلِىٍّ) متول بالرحمة (وَلَا نَصِيرٍ) ناصر يدفع عنكم العذاب إذا حل بكم (وَمِنْ ءَايَٰتِهِ الْجَوَارِ) جمع جارية وهى السفينة الجوارى فى الحالين مكى وسهل ويعقوب وافقهم مدنى وأبو عمر فى الوصل (فِى الْبَحْرِ كَالْأَعْلَٰمِ) كالجبال (إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ) الرياح مدنى (فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ) ثوابت لا تجرى (عَلَىٰ ظَهْرِهِ) على ظهر البحر (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ) على بلائه (شَكُورٍ) لنعمائه أى لكل مؤمن مخلص فالإيمان نصفان نصف شكر ونصف صبر أو صبار على طاعته شكور لنعمته (أَوْ يُوبِقْهُنَّ) يهلكهن فهو عطف على يسكن والمعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها (بِمَا كَسَبُوا) من الذنوب (وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ) منها فلا يجازى عليها وإنما أدخل العفو فى حكم الإيباق حيث جزم جزمه لأن المعنى أو إن يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم (وَيَعْلَمَ)

بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم (الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا) أى فى إبطالها ودفعها، ويعلمُ مدنى وشامى على الاستئناف (مَالَهُم مِّن مَّحِيصٍ) مهرب من عذابه (فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ) من الثواب (خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) ما الأولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية نزلت فى أبى بكر الصداق رضى الله عنه حين تصدق بجميع ماله فلامه الناس (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ) عطف على الذين آمنوا وكذا ما بعده (كَبَٰئِرَ الْإِثْمِ) أى الكبائر من هذا الجنس ، كبيرَ الإثم على وحمزة وعن ابن عباس كبير الإثم هو الشرك (وَالْفَوَٰحِشَ) قيل ما عظم قبحه فهو فاحشة كالزنا (وَإِذَا مَا غَضِبُوا) من أمور دنياهم (هُمْ يَغْفِرُونَ) أى هم الأخصاء بالغفران فى حال الغضب والمجىء بهم وايقاعه مبتدأ وإسناد يغفرون إليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) نزلت فى الأنصار دعاهم الله عز وجل للإيمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه (وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ) وأتموا الصلوات الخمس (وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) أى ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه، وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور (وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ) يتصدقون (وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ) الظلم (هُمْ يَنتَصِرُونَ) ينتقمون ممن ظلمهم أى يقتصرون فى الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدون وكانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق وإنما حمدوا على الانتصار لأن من انتصر وأخذ حقه ولم يجاوز فى ذلك حد الله فلم يسرف فى القتل إن كان ولى دم فهو مطيع لله وكل مطيع محمود ثم بين حد الانتصار فقال (وَجَزَٰٓؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) فالأولى سيئة حقيقة والثانية لا وإنما سميت سيئة لأنها مجازاة السوء أو لأنها تسوء من تنزل به ولأنه لو لم تكن الأولى لكانت الثانية سيئة لأنها إضرار وإنما صارت حسنة لغيرها أو فى تسمية الثانية سيئة إشارة إلى أن العفو مندوب اليه والمعنى أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ) بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء (فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) عدة مبهمة لا يقاس أمرها فى العظم (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ) الذين يبدءون بالظلم أو الذين يجاوزون حد الانتصار. فى الحديث: ينادى مناد يوم القيامة من كان له أجر على الله

فليقم فلا يقوم إلا من عفا (وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ) أى أخذ حقه بعد ما ظلم على إضافة المصدر إلى المفعول (فَأُولَٰئِكَ) إشارة إلى معنى من دون لفظه (مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ) للمعاقب ولا للمعاتب والمعايب (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ) يبتدئونهم بالظلم (وَيَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ) يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون (بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وفسر السبيل بالتبعة والحجة (وَلَمَن صَبَرَ) على الظلم والأذى (وَغَفَرَ) ولم ينتصر (إِنَّ ذَٰلِكَ) أى الصبر والغفران منه (لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أى من الأمور التى ندب إليها أو مما ينبغى أن يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص فى تركه وحذف الراجع أى منه لأنه مفهوم كما حذف من قولهم: السمن منوان بدرهم، وقال أبو سعيد القرشى الصبر على المكاره من علامات الانتباه فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع أورثه الله تعالى حال الرضا وهو أجل الأحوال ومن جزع من المصيبات وشكا وكله الله تعالى إلى نفسه ثم لم تنفعه شكواه (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ) فما له من أحد يلى هدايته من بعد إضلال الله إياه ويمنعه من عذابه (وَتَرَى الظَّٰلِمِينَ) يوم القيامة (لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) حين يرون العذاب واختير لفظ الماضى للتحقيق (يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ) يسألون ربهم الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا به (وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) على النار إذ العذاب يدل عليها (خَٰشِعِينَ) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ) إلى النار (مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ) ضعيف بمسارقة كما ترى المصبور ينظر إلى السيف (وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ الْخَٰسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ) يوم متعلق بخسروا وقول المؤمنين واقع فى الدنيا أو يقال أى يقولون يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة (أَلَآ إِنَّ الظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ) دائم (وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ) من دون عذابه (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ) إلى النجاة (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم) أى أجيبوه إلى ما دعاكم إليه (مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ) أى يوم القيامة (لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) من يتصل بلا مرد أى لا يرده الله بعد ما حكم به أو بيأتى أى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يقدر أحد على رده (مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ) أى ليس لكم مخلص من

العذاب ولاتقدرون أن تنكروا شيئاً مما اقترفتموه ودوّن فى صحائف أعمالكم، والنكير الإنكار (فَإِنْ أَعْرَضُوا) عن الإيمان (فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) رقيبا (إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَـٰغُ) ماعليك إلا تبليغ الرسالة وقد فعلت (وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا الْإِنسَـٰنَ) المراد الجمع لا الواحد (مِنَّا رَحْمَةً) نعمة وسعة وأمنا وصحة (فَرِحَ بِهَا) بطر لأجلها (وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) بلاء كالمرض والفقر ونحوهما. وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع فى وإن تصبهم باعتبار المعنى (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) بسبب معاصيهم (فَإِنَّ الْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ) ولم يقل فإنه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال: إن الإنسان لظلوم كفار. والكفور البليغ الكفران والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها قيل أريد به كفران النعمة وقيل أريد به الكفر بالله تعالى (لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ) أى يقرنهم (ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا) لما ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها أتبع ذلك أن له تعالى الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الأولاد مايشاء فيخص بعضا بالإناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويجعل البعض عقيما والعقيم التى لا تلد وكذلك رجل عقيم إذا كان لا يولد له وقدم الإناث أولا على الذكور لأن سياق الكلام أنه فاعل لما يشاؤه لا ما يشاؤه الإنسان فكان ذكر الإناث اللاتى من جملة مالا يشاؤه الإنسان أهم والأهم واجب التقديم وليلى الجنس الذى كانت العرب تعدّه بلاء ذكر البلاء ولما أخر الذكور وهم أحقاء بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم لأن التعريف تنويه وتشهير ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرّف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا وإناثا. وقيل نزلت فى الأنبياء عليهم السلام حيث وهب للوط وشعيب إناثا ولإبراهيم ذكورا ولمحمد ﷺ ذكورا وإناثا وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام عقيمين (إِنَّهُ عَلِيمٌ) بكل شىء (قَدِيرٌ) قادر على كل شىء (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ) وما صح لأحد من البشر (أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا) أى إلهاما كما روى نفث فى روعى أو رؤيا فى المنام كقوله عليه السلام «رؤيا الأنبياء وحى» وهو كأمر إبراهيم عليه السلام بذبح الولد (أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ)

أي يسمع كلاما من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير أن يبصر السامع من يكلمه. وليس المراد به حجاب الله تعالى لأن الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام من الحجاب ولكن المراد به أن السامع محجوب عن الرؤية فى الدنيا (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) أى يرسل ملكا (فَيُوحِيَ) أى الملك إليه وقيل وحيا كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة أو يرسل رسولا أى نبيا كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم. ووحيا وأن يرسل مصدران واقعان موقع الحال لأن أن يرسل فى معنى إرسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز أن يكون المعنى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بأن يوحى أو أن يسمع من وراء حجاب أو أن يرسل رسولا وهو اختيار الخليل، أو يرسلُ رسولا فيوحى بالرفع نافع على تقدير أو هو يرسل (بِإِذْنِهِ) إذن الله (مَا يَشَآءُ) من الوحى (إِنَّهُ عَلِيٌّ) قاهر فلا يمانع (حَكِيمٌ) مصيب فى أقواله وأفعاله فلا يعارض (وَكَذَٰلِكَ) أى كما أوحينا إلى الرسل قبلك أو كما وصفنا لك (أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ) إيحاء كذلك (رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا) يريد ما أوحى إليه لأن الخلق يحيون به فى دينهم كما يحيا الجسد بالروح (مَا كُنتَ تَدْرِى) الجملة حال من الكاف فى إليك (مَا الْكِتَٰبُ) القرآن (وَلَا الْإِيمَٰنُ) أى شرائعه أو ولا الإيمان بالكتاب لأنه إذا كان لا يعلم بأن الكتاب ينزل عليه لم يكن عالما بذلك الكتاب وقيل الإيمان يتناول أشياء بعضها الطريق إليه العقل وبعضها الطريق إليه السمع فعنى به ما الطريق إليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحى (وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ) أى الكتاب (نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ) لتدعو وقرىء به (إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) الإسلام (صِرَٰطِ اللَّهِ) بدل (الَّذِى لَهُۥ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) ملكا وملكا (أَلَآ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) هو وعيد بالجحيم ووعد بالنعيم والله أعلم بالصواب

﴿ سورة الزخرف تسع وثمانون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم وَالْكِتَٰبِ الْمُبِينِ) أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله (إِنَّا جَعَلْنَٰهُ) صيرناه (قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) جوابا للقسم وهو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه، والمبين البين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأساليبهم أو الواضح للمتدبرين أو الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان كل ماتحتاج إليه الأمة فى أبواب الديانة (لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) لكى تفهموا معانيه (وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَٰبِ لَدَيْنَا) وإن القرآن مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ، دليله قوله: بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ . وسمى أم الكتاب لأنه الأصل الذى أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ. إم الكتاب بكسر الألف على وحمزة (لَعَلِىٌّ) خبر إن أى فى أعلى طبقات البلاغة أو رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينها (حَكِيمٌ) ذو حكمة بالغة (أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ) أفننحى عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر إنكارا لأن يكون الأمر على خلاف ماقدم من إنزاله الكتاب وجعله قرآنا عربيا ليعقلوه وليعملوا بمواجبه (صَفْحًا) مصدر من صفح عنه إذا أعرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحجة به إعراضا عنكم ويجوز أن يكون مصدرا على خلاف الصدر لأنه يقال ضربت عنه أى أعرضت عنه كذا قاله الفراء (أَن كُنتُمْ) لأن كنتم إن كنتم مدنى وحمزة وهو من الشرط الذى يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوفنى حقى وهو عالم بذلك (قَوْمًا مُّسْرِفِينَ) مفرطين فى الجهالة مجاوزين الحد فى الضلالة (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى الْأَوَّلِينَ) أى كثيرا من الرسل أرسلنا إلى من تقدمك (وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ) هى حكاية حال ماضية مستمرة أى كانوا على ذلك وهذه

تسلية لرسول الله ﷺ عن استهزاء قومه (فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا) تميز والضمير للمسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله ﷺ يخبره عنهم (وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ) أى سلف فى القرآن فى غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التى حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله ﷺ ووعيد لهم (وَلَئِن سَأَلْتَهُم) أى المشركين (مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا) كوفى وغيره مهادا أى موضع قرار (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) طرقا (لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) لكى تهتدوا فى أسفاركم (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ) بمقدار يسلم معه العباد ويحتاج إليه البلاد (فَأَنشَرْنَا) فأحيينا عدول من المغايبة إلى الإخبار لعلم المخاطب بالمراد (بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا) يريد ميّتا (كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ) من قبوركم أحياء تَخرجون حمزة وعلى ولا وقف على العليم لأن الذى صفته، وقد وقف عليه أبو حاتم على تقدير هو الذى لأن هذه الأوصاف ليست من مقول الكفار لأنهم ينكرون الإخراج من القبور فكيف يقولون كذلك تخرجون بل الآية حجة عليهم فى إنكار البعث (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ) الأصناف (كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ) أى تركبونه يقال ركبوا فى الفلك وركبوا الأنعام فغلب المتعدى بغير واسطة لقوته على المتعدى بواسطة فقيل تركبونه (لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ) على ظهور ما تركبونه وهو الفلك والأنعام (ثُمَّ تَذْكُرُوا) بقلوبكم (نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا) بألسنتكم (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا) ذلل لنا هذا المركوب (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) مطيقين يقال أقرن الشىء إذا أطاقه وحقيقة أقرنه وجده قرينته لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف (وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ) لراجعون فى المعاد قيل يذكرون عند ركوبهم مراكب الدنيا آخر مركبهم منها وهو الجنازة. وعن النبى ﷺ أنه كان إذا وضع رجله فى الركاب قال : بسم الله. فإذا استوى على الدابة قال: الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا إلى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا. وقالوا إذا ركب فى السفينة قال : بسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم وحكى أن قوما ركبوا وقالو سبحان الذى سخر لنا هذا الآية وفيهم رجل على ناقة لا تتحرك هزالا فقال إنى مقرن لهذه فسقط منها لوثبتها واندقت عنقه. وينبغى أن لا يكون ركوب العاقل للتنزه والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل

عنده أنه هالك لامحالة ومنقلب إلى الله غير منفلت من قضائه ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ متصل بقوله ولئن سألتهم أى ولئن سألتهم عن خالق السموات والأرض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزأ أى قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزأ له وبعضا منه كما يكون الولد جزءاً لوالده جُزُؤاً أبو بكر وحماد ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ لجحود للنعمة ظاهر جحوده لأن نسبة الولد إليه كفر والكفر أصل الكفران كله ﴿ امِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴾ أى بل اتخذ والهمزة للإنكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث ادعوا أنه اختار لنفسه المنزلة الأدنى ولهم الأعلى ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ﴾ بالجنس الذى جعله له مثلا أى شبها لأنه إذا جعل الملائكة جزءاً لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لأن الولد لايكون إلا من جنس الوالد ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ يعنى أنهم نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب والظلول بمعنى الصيرورة ﴿ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ أى أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه ينشأ فى الحلية أى يتربى فى الزينة والنعمة وهو إذا احتاج إلى مجاناة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولايأتى ببرهان وذلك لضعف عقولهن. قال مقاتل: لاتتكلم المرأة إلا وتأتى بالحجة عليها. وفيه أنه جعل النشأة فى الزينة من المعايب فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويتزين بلباس التقوى، ومن منصوب المحل والمعنى أو جعلوا من ينشأ فى الحلية يعنى البنات لله عز وجل يُنَشَّأُ حمزة وعلى وحفص أى يربى قد جمعوا فى كفرهم ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد ونسبوا إليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفوابهم ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾ أى سموا وقالوا إنهم اناث. عند الرحمن مكى ومدنى وشامى أى عندية منزلة ومكانة لامنزل ومكان والعباد جمع عبد وهو ألزم فى الحجاج مع أهل العناد لتضاد بين العبودية والولاد ﴿ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ﴾ وهذا تهكم بهم يعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك ولا تطرقوا إليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يخبروا عن المشاهدة ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ ﴾ التى شهدوا بها

على الملائكة من أنوثتهم (وَيُسْئَلُونَ) عنها وهذا وعيد (وَقَالُوا لَوْ شَآءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم) أى الملائكة تعلقت المعتزلة بظاهر هذه الآية فى أن الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وإنما شاء الإيمان فإن الكفار ادعوا أن الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الأصنام حيث قالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم أى لو شاء منا أن نترك عبادة الأصنام لمنعنا عن عبادتها ولكن شاء منا عبادة الأصنام والله تعالى رد عليهم قولهم واعتقادهم بقوله (مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ) القول (مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) أى يكذبون ومعنى الآية عندنا أنهم أرادوا بالمشيئة الرضا وقالوا لو لم يرض بذلك لعجل عقوبتنا أو لمنعنا عن عبادتها منع قهر واضطرار وإذ لم يفعل ذلك فقد رضى بذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله مالهم بذلك من علم الآية أو قالوا هذا القول استهزاء لاجدا واعتقادا فأكذبهم الله تعالى فيه وجهلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال مخبرا عنهم . أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وهذا حق فى الأصل ولكن لما قالوا ذلك استهزاء كذبهم الله بقوله إن أنتم إلا فى ضلال مبين وكذلك قال الله تعالى قالوا نشهد إنك لرسول الله ثم قال والله يشهد إن المنافقين لكاذبون لأنهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم وظنوا أن الله لايعاقبهم على شيء فعلوه بمشيئته وجعلوا أنفسهم معذورين فى ذلك فرد الله تعالى عليهم (أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ) من قبل القرآن أو من قبل قولهم هذا (فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ) آخذون عاملون وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره أشهدوا خلقهم أم آتيناهم كتابا من قبله فيه أن الملائكة إناث (بَلْ قَالُوٓا) بل لا حجة لهم يتمسكون بها لا من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع إلا قولهم (إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ) على دين فقلدناهم وهى من الأم وهو القصد فالأمة الطريقة التى تؤم أى تقصد (وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ) الظرف صلة المهتدون أو هما خبران (وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ) نبى (إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ) أى متنعموها وهم الذين أترفتهم النعمة أى أبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات والملاهى ويعافون مشاق الدين وتكاليفه (إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ) وهذا تسلية للنبى ﷺ وبيان أن تقليد الآباء داء قديم (قَٰلَ) شامى وحفص أى النذير ، قل غيرهما أى قيل للنذير قل

(أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ) أى أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم (قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ) إنا ثابتون على دين آبائنا وإن جئتنا بما هو أهدى وأهدى (فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ) فعاقبناهم بما استحقوه على إصرارهم (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ) أى واذكر إذ قال (إِنَّنِى بَرَآءٌ) أى برىء وهو مصدر يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول رجل عدل وامرأة عدل وقوم عدل والمعنى ذو عدل وذات عدل (مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِى) استثناء منقطع كأنه قال لكن الذى فطرنى (فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ) يثبتنى على الهداية (وَجَعَلَهَا) وجعل إبراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى قوله إننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى (كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ) فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحيده (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم والترجى لإبراهيم (بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ) يعنى أهل مكة وهم من عقب إبراهيم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حَتَّىٰ جَآءَهُمُ الْحَقُّ) أى القرآن (وَرَسُولٌ) أى محمد عليه السلام (مُّبِينٌ) واضح الرسالة بما معه من الآيات البينة (وَلَمَّا جَآءَهُمُ الْحَقُّ) القرآن (قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ وَقَالُوا) فيه متحكمين بالباطل (لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ) فيه استهانة به (عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) أى رجل عظيم من إحدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أى من أحدهما، والقريتان : مكة والطائف. وعنوا بعظيم مكة الوليد بن المغيرة وبعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفى وأرادوا بالعظيم من كان ذا مال وذا جاه ولم يعرفوا أن العظيم من كان عند الله عظيما (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ) أى النبوة والهمزة للإنكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكمهم فى اختيار من يصلح للنبوة (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ) ما يعيشون به وهو أرزاقهم (فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) أى لم نجعل قسمة الأدون إليهم وهو الرزق فكيف النبوة أو كما فضلت البعض على البعض فى لرزق فكذا أخص بالنبوة من أشاء (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ) أى جعلنا

البعض أقوياء وأغنياء وموالى والبعض ضعفاء وفقراء وخدماء (لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا) ليصرف بعضهم بعضا فى حوائجهم ويستخدموهم فى مهنهم ويتسخروهم فى أشغالهم حتى يتعايشوا ويصلوا إلى منافعهم هذا بماله وهذا بأعماله (وَرَحْمَتُ رَبِّكَ) أى النبوة أو دين الله وما يتبعه من الفوز فى المآب (خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا ولما قلل أمر الدنيا وصغرها أردفه بما يقرر قلة الدنيا عنده فقال (وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه (لَّجَعَلْنَا) لحقارة الدنيا عندنا (لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفًا) أى لجعلنا للكفار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا أى زينة من كل شىء والزخرف الذهب والزينة ويجوز أن يكون الأصل سقفا من فضة وزخرف أى بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة لبيوتهم بدل اشتمال من لمن يكفر سَقْفا على الجنس مكى وأبو عمرو ويزيد والمعارج جمع معرج وهى المصاعد إلى العلالى عليها يظهرون على المعارج يظهرون السطوح أى يعلونها (وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) إن نافية ولما بمعنى إلا أى وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا وقد قرىء به وقرأ لَمَا غير عاصم وحمزة على أن اللام هى الفارقة بين إن المخففة والنافية وما صلة أى وإن كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا (وَالْآخِرَةُ) أى ثواب الآخرة (عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) لمن يتقى الشرك (وَمَن يَعْشُ) وقرىء ومن يعشَ والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشى يعشى وإذا نظر نظر المشى ولا آفة به قيل عشا يعشو ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم (عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ) وهو القرآن كقوله صم بكم عمى ومعنى القراءة بالضم ومن يتعام عن ذكره أى يعرف أنه الحق وهو يتجاهل كقوله: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) قال ابن عباس رضى الله عنهما نسلطه عليه فهو معه فى الدنيا والآخرة يحمله على المعاصى وفيه إشارة إلى أن من دوام عليه لم يقرنه الشيطان (وَإِنَّهُمْ) أى الشياطين (لَيَصُدُّونَهُمْ) ليمنعون العاشين (عَنِ السَّبِيلِ) عن سبيل الهدى (وَيَحْسَبُونَ) أى العاشون (أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ) وإنما جمع ضمير من وضمير الشيطان لأن من مبهم فى جنس

العاشي وقد قيض له شيطان مبهم فى جنسه فجاز أن يرجع الضمير إليهما مجموعا (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا) على الواحد عراقى غير أبى بكر أى العاشى جاآنا غيرهم أى العاشى وقرينه (قَالَ) الشيطانه (يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ) يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران والمراد بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق (فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ) أنت (وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ) إذ صح ظلمكم أى كفركم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة فى أنكم كنتم ظالمين وإذ بدل من اليوم (أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) أنكم فى محل الرفع على الفاعلية أى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب أو كونكم مشتركين فى العذاب كما كان عموم البلوى يطيب القلب فى الدنيا كقول الخنساء .

ولولا كثرة الباكين حولى على إخوانهم لقتلت نفسى

ولا يبكون مثل أخى ولكن أعزى النفس عنه بالتأسى

أما هؤلاء فلا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ماهم فيه وقيل الفاعل مضمر أى ولن ينفعكم هذا التمنى أو الاعتذار لأنكم فى العذاب مشتركون لاشتراككم فى سببه وهو الكفر ويؤيده قراءة من قرأ إنكم بالكسر (أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ) أى من فقد سمع القبول (أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ) أى من فقد البصر (وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ) ومن كان فى علم الله أنه يموت على الضلال (فَإِمَّا) دخلت ما على إن توكيدا للشرط وكذا النون الثقيلة فى (نَذْهَبَنَّ بِكَ) أى نتوفينك قبل أن ننصرك عليهم ونشفى صدور المؤمنين منهم (فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ) أشد الانتقام فى الآخرة (أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ) قبل أن نتوفاك يعنى يوم بدر (فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ) قادرون وصفهم بشدة الشكيمة فى الكفر والضلال بقوله أفأنت تسمع الصم الآية ثم أوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة بقوله فإما نذهبن بك الآيتين (فَٱسْتَمْسِكْ) فتمسك (بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ) وهو القرآن واعمل به (إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) أى على الدين الذى لاعوج له (وَإِنَّهُۥ) وإن الذى أوحى إليك (لَذِكْرٌ لَّكَ) لشرف لك (وَلِقَوْمِكَ) ولأمتك (وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة (وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ) ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال

ولـكنه مجاز عن النظر فى أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأوثان قط فى ملة من ملل الأنبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وهذه الآية فى نفسها كافية لاحاجة إلى غيرها وقيل إنه عليه السلام جمع له الأنبياء ليلة الإسراء فأمهم وقيل لهسلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الـكتابين أى التوراة والإنجيل وإنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فـكأنه سأل الأنبياء ومعنى هذا السؤال التقرير لعبدة الأوثان أنهم على الباطل وسل بلا همزة مكي وعلى رسلنا أبو عمرو ثم سلى رسوله ﷺ بقوله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ) ما أجابوه بهعند قوله إنى رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله (فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ) وهو مطالبتهم إياه بإحضار البينة على دعواه وإبراز الآية (إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ) يسخرون منها ويهزءون بها ويسمونها سحرا وإذا للمفاجأة وهوجواب فلما لأنفعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب فى محل إذا كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجئوا وقت ضحكهم (وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) قرينتها وصاحبتها التى كانت قبلها فى نقض العادة وظاهر النظم يدل على أن اللاحقة أعظم من السابقة وليس كذلك بل المراد بهذا الـكلام أنهن موصوفات بالـكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس يقال هما أخوان كل واحد منهما أكرم من الآخر (وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ) وهو ماقال تعالى: ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات فأرسلنا عليهم الطوفان الآية (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن الـكفر إلى الإيمان (وَقَالُوا يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ) كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم علم السحر. ياأيُّهُ الساحر بضم الهاء بلا ألف شامى ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف فلما سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ماقبلها (ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ) بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أوبعهده عندك وهو النبوة أوبما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى (إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ) مؤمنون به (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ) ينقضون العهد بالإيمان ولا يفون به (وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ) نادى بنفسه عظماء القبط أو أمر مناديا فنادى كقولك قطع الأمير اللص إذا أمر بقطعه (فِى قَوْمِهِۦ)

جعلهم محلا لندائه وموقعا له (قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَٰرُ) أى أنهار النيل ومعظمها أربعة (تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ)من تحت قصرى وقيل بين يدى فى جنانى والواو عاطفة للأنهار على ملك مصر وتجرى نصب على الحال منها أوالواو للحال واسم الإشارة مبتدأ والأنهار صفة لاسم الإشارة وتجرى خبر للمبتدأ، وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لأولينها أخس عبيدى فولاها الخصيب وكان خادمه على وضوئه، وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها فخرج إليها فلما شارفها قال أهى القرية التى افتخر بها فرعون حتى قال أليس لى ملك مصر والله لهى أقل عندى من أن أدخلها فثنى عنانه (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) قوتى وضعف موسى وغناى وفقره (أَمْ أَنَا خَيْرٌ) أم منقطعة بمعنى بل والهمزة كأنه قال أثبت عندكم واستقر أنى أنا خير وهذه حالى (مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) ضعيف حقير (وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) الكلام لما كان به من الرتة (فَلَوْلَآ) فهلا (أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ) حفص ويعقوب وسهل جمع سوار ، غيرهم أساورة جمع أسورة وأساوير جمع أسوار وهو السوار حذف الياء من أساوير وعوض منها التاء (مِّن ذَهَبٍ) أراد بإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك إليه لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب (أَوْ جَآءَ مَعَهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) يمشون معه يقترن بعضهم ببعض ليكونوا أعضاده وأنصاره وأعوانه (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ) استفزهم بالقول واستنزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة فى الطاعة وهى الإسراع (فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ) خارجين عن دين الله (فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ) آسف منقول من أسف أسفا إذا اشتد غضبه ومعناه أنهم أفرطوا فى المعاصى فاستوجبوا أن يعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم (فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا) جمع سالف كخادم وخدم سُلُفا حمزة وعلى، جمع سليف أى فريق قد سلف (وَمَثَلًا) وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يضرب بهم الأمثال ويقال مثلكم مثل قوم فرعون (لِّلْءَاخِرِينَ) لمن يجىء بعدهم ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لإتيانهم بمثل أفعالهم ومثلا يحدثون به (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا) لما قرأ رسول الله ﷺ على قريش: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم، غضبوا فقال ابن الزبعرى يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال عليه السلام: هو لكم ولآلهتكم . ولجميع الأمم فقال ألست

تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثنى عليه وعلى أمه خيرا وقد علمت أن النصارى يعبدونهما وعزير يعبد، والملائكة يعبدون. فإن كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون. ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب ابن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا لآلهتهم وجادل رسول الله ﷺ بعبادة النصارى إياه (إِذَا قَوْمُكَ) قريش (مِنْهُ) من هذا المثل (يَصِدُّونَ) يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا منه من إسكات النبي ﷺ بجدله، يصُدون مدنى وشامى والأعشى وعلى من الصدود أى من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وأنهما لغتان نحو يعكف ويعكف (وَقَالُوا ءَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ) يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فإذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينا (مَاضَرَبُوهُ) أى ماضربوا هذا المثل (لَكَ إِلاَّ جَدَلًا) إلا لأجل الجدل والغلبة فى القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) لد شداد الخصومة دأبهم اللجاج وذلك أن قوله تعالى إنكم وما تعبدون لم يرد به إلا الأصنام لأن ما لغير العقلاء إلا أن ابن الزبعرى بخداعه لما رأى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بأن المراد به أصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف اللفظ إلى الشمول والإحاطة بكل معبود غير الله على طريق اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح فى ذلك فتوقر رسول الله ﷺ حتى أجاب عنه ربه (إِنْ هُوَ) ما عيسى (إِلاَّ عَبْدٌ) كسائر العبيد (أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ) بالنبوة (وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَاءِيلَ) وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبنى إسرائيل (وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ) أى بدلا منكم كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم لجعلنا بدلكم ومن بمعنى البدل (يَخْلُفُونَ) يخلفونكم فى الأرض أو يخلف الملائكة بعضهم بعضا وقيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الأمور لجعلنا منكم لولّدنا منكم يارجال ملائكة يخلفونكم فى الأرض كما يخلفكم أولادكم كما ولّدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد إلا من أجسام والقديم متعال عن ذلك (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ) وإن عيسى مما يعلم به مجيء الساعة وقرأ ابن عباس لعلم للساعة وهو العلامة أى وإن نزوله علم للساعة (فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا) فلا تشكن فيها من

المرية وهو الشك (وَاتَّبِعُونِ) وبالياء فيهما سهل ويعقوب أى واتبعوا هداى وشرعى أو رسولى أو هو أمر لرسول الله ﷺ أن يقوله (هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ) أى هذا الذى أدعوكم إليه (وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَٰنُ)عن الإيمان بالساعة أوعن الاتباع(إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) ظاهر العداوة إذأخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَٰتِ) بالمعجزات أو بآيات الإنجيل والشرائع البينات الواضحات (قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ) أى الإنجيل والشرائع (وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) وهو أمر الدين لا أمر الدنيا (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ) هذا تمام كلام عيسى عليه السلام (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ) الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية والشمعونية (مِن بَيْنِهِمْ) من بين النصارى (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا) حيث قالوا فى عيسى ما كفروابه (مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ)وهو يوم القيامة (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ) الضمير لقوم عيسى أو للكفار(أَن تَأْتِيَهُم) بدل من الساعة أى هل ينظرون إلا إتيان الساعة (بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) أى وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون (الْأَخِلَّآءُ) جمع خليل (يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)أى المؤمنين وانتصاب يومئذ بعدو أى تنقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا إلا خلة المتصادقين فى الله فإنها الخلة الباقية (يَٰعِبَادِ) بالياء فى الوصل والوقف مدنى وشامى وأبو عمرو وبفتح الياء أبو بكر الباقون بحذف الياء (لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ) هو حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ (الَّذِينَ) منصوب المحل صفة لعبادى لأنه منادى مضاف (ءَامَنُوا بِـَٔايَٰتِنَا) صدقوا بآياتنا (وَكَانُوا مُسْلِمِينَ)لله منقادين له (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ) المؤمنات فى الدنيا (تُحْبَرُونَ) تسرون سرورا يظهر حباره أى أثره على وجوهكم (يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ) جمع صحفة (مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ) أى من ذهب أيضا والكوب الكوز لاعروة له (وَفِيهَا)وفى الجنة (مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ)مدنى وشامى وحفص بإثبات الهاء العائدة إلى الموصول وحذفها غيرهم لطول الموصول بالفعل والفاعل والمفعول (وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ) وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما مشتهيات فى القلوب أو مستلذة فى

العيون ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تلك إشارة إلى الجنة المذكورة وهى مبتدأ والجنة خبر والتى أورثتموها صفة الجنة أو الجنة صفة للمبتدأ الذى هو اسم الإشارة والتى أورثتموها خبر المبتدأ أو التى أورثتموها صفة المبتدأ وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف أى حاصلة أو كائنة كما فى الظروف التى تقع أخبارا وفى الوجه الأول تتعلق بأورثتموها وشبهت فى بقائها على أهلها بالميراث الباقى على الورثة ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ من للتبعيض أى لا تأكلون إلا بعضها وأعقابها باقية فى شجرها فهى مزينة بالثمار أبدا وفى الحديث لاينزع رجل فى الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاها ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ خبر بعد خبر ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ خبر آخر أى لايخفف ولا ينقص ﴿وَهُمْ فِيهِ﴾ فى العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من الفرج متحيرون ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ هم فصل ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ لما آيسوا من فتور العذاب نادوا يامالك وهوخازن النار وقيل لابن عباس إن ابن مسعود قرأ يامال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ليميتنا من قضى عليه إذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضى علينا ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ لابثون فى العذاب لاتتخلصون عنه بموت ولا فتور ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ﴾ كلام الله تعالى ويجب أن يكون فى قال ضمير الله لما سألوا مالكا أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك وقيل هو متصل بكلام مالك [1] والمراد بقوله جئناكم الملائكة اذهم رسل الله وهو منهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ لاتقبلونه وتنفرون منه لأن مع الباطل الدعة ومع الحق التعب ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا﴾ أم أحكم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم بمحمد ﷺ ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ كيدنا كما أبرموا كيدهم وكانوا يتنادون فيتناجون فى أمر رسول الله ﷺ فى دار الندوة ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ حديث أنفسهم ﴿وَنَجْوَاهُم﴾ مايتحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم ﴿بَلَىٰ﴾ نسمعها ونطلع عليها ﴿وَرُسُلُنَا﴾ أى الحفظة ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ عندهم يكتبون ذلك، وعن يحيى بن معاذ:

---

(١) أى فضمير قال يعود على مالك .

من ستر من الناس عيوبه وأبداها لمن لا تخفى عليه خافية فقد جعله أهون الناظرين إليه وهو من أمارات النفاق (قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ) وصح ذلك ببرهان (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد إليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفي الولد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ونظيره قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له والله لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت أن ذلك إليك ماعبدت إلها غيرك وقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين أي الموحدين لله المكذبين قولكم بإضافة الولد إليه وقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد وقرئ العَبِدين وقيل هي إن النافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد وروى أن النضر قال الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه صدقني فقال له الوليد ماصدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له. وُلْد حمزة وعلى ثم نزه ذاته عن اتخاذ الولد فقال (سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) أي هو رب السموات والأرض والعرش فلا يكون جسما إذ لو كان جسما لم يقدر على خلقها وإذا لم يكن جسما لا يكون له ولد لأن التولد من صفة الأجسام (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا) في باطلهم (وَيَلْعَبُوا) في دنياهم (حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) أي القيامة وهذا دليل على أن مايقولونه من باب الجهل والخوض واللعب (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ) ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الأرض كما تقول هو حاتم في طيّ وحاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كأنك قلت هو جواد في طيّ جواد في تغلب وقرىء وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله ومثله قوله وهو الله في السموات وفي الأرض فكأنه ضمن معنى المعبود والراجع إلى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذي قائل لك شيئا والتقدير وهو الذي هو في السماء إله وإله يرتفع على أنه خبر مبتدأ مضمر ولا يرتفع إله بالابتداء وخبره في السماء لخلو الصلة حينئذ من عائد يعود إلى الموصول (وَهُوَ الْحَكِيمُ) في أقواله وأفعاله (الْعَلِيمُ) بما كان ويكون (وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) أى علم قيامها (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يرجعون مكى وحمزة وعلى (وَلَا يَمْلِكُ) آلهتهم (الَّذِينَ يَدْعُونَ) أى يدعونهم (مِن دُونِهِ) من دون الله (الشَّفَاعَةَ) كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله (إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ)أى ولكن من شهد بالحق بكلمة التوحيد (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أن الله ربهم حقا ويعتقدون ذلك هو الذى يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع أو متصل لأن فى جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة (وَلَئِن سَأَلْتَهُم) أى المشركين (مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) لا الأصنام والملائكة (فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) فكيف أو من أين يصرفون عن التوحيد مع هذا الإقرار (وَقِيلِهِ) بالجر عاصم وحمزة أى وعنده علم الساعة وعلم قيله(يَا رَبِّ)والهاء يعود إلى محمد ﷺ لتقدم ذكره فى قوله: قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين . وبالنصب الباقون عطفا على محل الساعة أى يعلم الساعة ويعلم قيله أى قيل محمد يارب والقيل والقول والقال والمقال واحد ويجوز أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه. وجواب القسم(إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ) كأنه قيل وأقسم بقيله يارب إن هؤلاء قوم لايؤمنون وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ) فأعرض عن دعوتهم يائسا عن إيمانهم وودعهم وتاركهم (وَقُلْ) لهم (سَلَامٌ) أى تسلم منكم ومتاركة (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم. وبالتاء مدنى وشامى .

﴿ سورة الدخان تسع وخمسون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فى الخبر من قرأها ليلة جمعة أصبح مغفورا له (حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) أى القرآن الواو فى والكتاب واو القسم إن جعلت حم تعديدا للحروف أواسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف إن كانت حم مقسما بها وجواب القسم(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ) أى ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة والجمهور على الأول لقوله إنا أنزلناه فى ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وليلة القدر فى أكثر الأقاويل فى شهر رمضان ثم قالوا أنزله جملة من اللوح المحفوظ

إلى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل فى وقت وقوع الحاجة إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ابتداء نزوله فى ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة (إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم كأنه قيل أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب وكان إنزالنا إياه فى هذه الليلة خصوصا لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمية وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة إلى ليلة القدر التى تجىء فى السنة المقبلة (حَكِيمٍ) ذى حكمة أى مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الإسناد المجازى لأن الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة ووصف الأمر به مجازا (أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وفخامة بأن قال أعنى بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا (إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) بدل من إنا كنا منذرين (رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) مفعول له على معنى إنا أنزلنا القرآن لأن من شأننا وعادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم أو تعليل لقوله أمرا من عندنا ورحمة مفعول به وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها به فى قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده والأصل إنا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير إيذانا بأن الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْعَلِيمُ) بأحوالهم (رَبِّ) كوفى بدل من ربك وغيرهم بالرفع أى هو رب (السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ) ومعنى الشرط أنهم كانوا يقرون بأن للسموات والأرض ربا وخالقا فقيل لهم ان إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل إن هذا الرب هو السميع العليم الذى أنتم مقرّون به ومعترفون بأنه رب السموات والأرض وما بينهما إن كان إقراركم عن علم وإيقان كما تقول إن هذا إنعام زيد الذى تسامع الناس بكرمه إن بلغك حديثه وحدثت بقصته (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ) أى هو ربكم (وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ) عطف عليه ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله (بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ) وإن إقرارهم غير صادر عن

علم وتيقن بل قول مخلوط بهزؤ ولعب (فَارْتَقِبْ) فانتظر (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ) يأتى من السماء قبل يوم القيامة يدخل فى أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعترى للمؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وقيل إن قريشا لما استعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم فقال «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان (مُبِينٍ) ظاهر حاله لا يشك أحد فى أنه دخان (يَغْشَى النَّاسَ) يشملهم ويلبسهم وهو فى محل الجر صفة لدخان وقوله (هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) أى سنؤمن إن تكشف عنا العذاب منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب المحل على الحال أى قائلين ذلك (أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ) كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب (وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ) أى وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل فى وجوب الاذكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله ﷺ من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذى علمه ونسبوه إلى الجنون (إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا) زمانا قليلا أو كشفا قليلا (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) إلى الكفر الذى كنتم فيه أو إلى العذاب (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ) هى يوم القيامة أو يوم بدر (إِنَّا مُنْتَقِمُونَ) أى ننتقم منهم فى ذلك اليوم وانتصاب يوم نبطش باذكر أو بما دل عليه إنا منتقمون وهو ننتقم لا بمنتقمون لأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ) قبل هؤلاء المشركين أى فعلنا بهم فعل المختبر ليظهر منهم ما كان باطنا (قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم فى نفسه حسيب نسيب لأن الله تعالى لم يبعث نبيا إلا من سراة قومه وكرامهم (أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ) هى أن المفسرة لأن مجىء الرسول إلى من بعث إليهم متضمن لمعنى القول لأنه لا يجيئهم إلا مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث أدوا إلىّ سلموا إلى (عِبَادَ اللَّهِ) هو

مفعول به وهم بنو إسرائيل يقول أدوهم إلى وأرسلوهم معى كقوله: فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم . ويجوز أن يكون نداء لهم على معنى أدوا إلى ياعباد الله ماهو واجب لى عليكم من الإيمان لى وقبول دعوتى واتباع سبيلى، وعلل ذلك بقوله (إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) أى على رسالتى غير متهم (وَأَن لاَّ تَعْلُوا عَلَى اللهِ) أن هــذه مثل الأولى فى وجهيها أى لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه أو لا تستكبروا على نبى الله (إِنِّى ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ) بحجة واضحة تدل على أنى نبى (وَإِنِّى عُذْتُ) مدغم أبو عمرو وحمزة وعلى (بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ) أن تقتلونى رجما ومعناه أنه عائذ بربه متكل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بمـا كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل (وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِى فَاعْتَزِلُونِ) أى إن لم تؤمنوا لى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن فتنحوا عنى أو نخلونى كفافا لا لى ولا علىّ ولاتتعرضوا لى بشركم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم إلى مافيه فلاحكم ذلك. ترجمونى، فاعتزلونى فى الحالين يعقوب (فَدَعَا رَبَّهُ) شاكيا قومه (أَنَّ هَٰؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ) بأن هؤلاء أى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقرئ إن هؤلاء بالكسر على إضمار القول أى فدعا ربه فقال إن هؤلاء (فَأَسْرِ) من أسرى. فاسر بالوصل حجازى من سرى والقول مضمر بعد الفاء أى فقال أسر (بِعِبَادِى) أى بنى اسرائيل (لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ) أى دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجى المتقدمين ويغرق التابعين (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) ساكنا أراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق فأمر بأن يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم وقيل الرهو: الفجوة الواسعة أى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا (إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ) بعد خروجكم من البحر وقرئ بالفتح أى لأنهم (كَمْ) عبارة عن الكثرة منصوب بقوله (تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) هو ما كان لهم من المنازل الحسنة

وقيل المنابر (وَنَعْمَةٍ) تنعم (كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ) متنعمين (كَذَٰلِكَ) أى الأمر كذلك فالكاف فى موضع الرفع على أنه خبر مبتدأ مضمر (وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ) ليسوا منهم فى شىء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو إسرائيل (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ) لأنهم ماتوا كفارا، والمؤمن إذا مات تبكى عليه السماء والأرض فيبكى على المؤمن من الأرض مصلاه ومن السماء مصعد عمله، وعن الحسن أهل السماء والأرض (وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ) أى لم ينظروا إلى وقت آخر ولم يمهلوا (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ) أى الاستخدام والاستعباد وقتل الأولاد (مِن فِرْعَوْنَ) بدل من العذاب المهين بإعادة الجار كأنه فى نفسه كان عذابا مهينا لإفراطه فى تعذيبهم وإهانتهم أو خبر مبتدأ محذوف أى ذلك من فرعون (إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا) متكبرا (مِّنَ الْمُسْرِفِينَ) خبر ثان أى كان متكبرا مسرفا (وَلَقَدِ اخْتَرْنَٰهُمْ) أى بنى اسرائيل (عَلَىٰ عِلْمٍ) حال من ضمير الفاعل أى عالمين بمكان الخيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا (عَلَى الْعَٰلَمِينَ) على عالمى زمانهم (وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ الْأَيَٰتِ) كفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك (مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا مُّبِينٌ) نعمة ظاهرة أواختبار ظاهر لننظر كيف يعملون (إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ) يعنى كفار قريش (لَيَقُولُونَ إِنْ هِىَ) ما الموتة (إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ) والإشكال أن الكلام وقع فى الحياة الثانية لا فى الموت فهلا قيل إن هى إلا حياتنا الأولى وما معنى ذكر الأولى كأنهم وعدوا موتة أخرى حتى جحدوها وأثبتوا الأولى والجواب أنه قيل لهم إنكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله تعالى: وكنتم أمواتا فأحيا كم ثم يميتكم ثم يحييكم. فقالوا إن هى إلا موتتنا الأولى يريدون ما الموتة التى من شأنها أن يتعقبها حياة إلا الموتة الأولى فلا فرق إذا بين هذا وبين قوله إلا حياتنا الدنيا فى المعنى ويحتمل أن يكون هذا إنكارا لما فى قوله: ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين (وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ) بمبعوثين يقال: أنشر الله الموتى. ونشرهم إذا بعثهم (فَأْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله ﷺ والمؤمنين (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) أى إن صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا إحياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على أن ما تعدونه من قيام الساعة وبعث

الموتى حق (أَهُمْ خَيْرٌ) فى القوة والمنعة (أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ) هو تبع الحميرى كان مؤمنا وقومه كافرين وقيل كان نبيا وفى الحديث: ماأدرى أكان تبع نبياأوغير نبى (وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) مرفوع بالعطف على قوم تبع (أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) كافرين منكرين للبعث (وَمَاخَلَقْنَا السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) أى وما بين الجنسين (لَاعِبِينَ) حال ولو لم يكن بعث ولا حساب ولا ثواب كان خلق الخلق للفناء خاصة فيكون لعبا (مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ) بالجد ضد اللعب (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أنه خلق لذلك (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ) بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة (مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) وقت موعدهم كلهم (يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا) أى ولى كان عن أى ولى كان شيئا من إغناء أى قليلامنه (وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) الضمير للمولى لأنهم فى المعنى كثير لتناول اللفظ على الإبهام والشياع كل مولى (إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ) فى محل الرفع على البدل من الواو فى ينصرون أى لايمنع من العذاب إلا من رحمه الله (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ) الغالب على أعدائه (الرَّحِيمُ) لأوليائه (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ) هى على صورة شجرة الدنيا لكنها فى النار والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل (طَعَامُ الْأَثِيمِ)هو الفاجر الكثير الآثام وعن أبى الدرداء أنه كان يقرىء رجلافكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر ياهذاوبهذا تستدل على أن إبدال الكلمة مكان الكلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو حنيفة رضى الله عنه القراءة بالفارسية بشرط أن يؤدى القارىء المعانى كلها على كمالها من غير أن يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة لأن فى كلام العرب خصوصا فى القرآن الذى هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعانى والدقائق مالايستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها ويروى رجوعه إلى قولهما وعليه الاعتماد (كَالْمُهْلِ) هو دردى الزيت والكاف رفع خبر بعدخبر (يَغْلِي فِي الْبُطُونِ) بالياءمكى وحفص[وقرىء بالتاء] فالتاء للشجرة والياء للطعام (كَغَلْيِ الْحَمِيمِ) أى الماءالحار الذى انتهى غليانه ومعناه غليا كغلى الحميم فالكاف منصوب المحل ثم يقال للزبانية (خُذُوهُ) أى الأثيم (فَاعْتِلُوهُ) فقودوه بعنف وغلظة، فاعتُلوه مكى ونافع وشامى وسهل ويعقوب (إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ) إلى وسطها ومعظمها (ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ) المصبوب هو الحميم لاعذابه إلا أنه إذا صب عليه الحميم فقد صب عليه

عذابه وشدته وصب العذاب استعارة ويقال له (ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)على سبيل الهزؤ والتهكم . أنك أى لأنك على (إِنَّ هَٰذَا) أى العذاب أو هذا الأمر هو (مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ) تشكون (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذى وقع مستعملا فى معنى العموم وبالضم مدنى وشامى وهو موضع الإقامة (أَمِينٍ) من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لأن المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره (فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) بدل من مقام أمين (يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ) ما رقّ من الديباج (وَإِسْتَبْرَقٍ)ما غلظ منه وهو تعريب استبر واللفظ إذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لأن معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه وإجرائه على أوجه الإعراب فساغ أن يقع فى القرآن العربى (مُّتَقَابِلِينَ) فى مجالسهم وهو أتم للأنس (كَذَٰلِكَ) الكاف مرفوعة أى الأمر كذلك (وَزَوَّجْنَاهُم) وقرناهم ولهذا عدى بالباء (بِحُورٍ)جمع حوراء وهى الشديدة سواد العين والشديدة بياضها (عِينٍ) جمع عيناء وهى الواسعة العين (يَدْعُونَ فِيهَا) يطلبون فى الجنة (بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ) من الزوال والانقطاع وتولد الضرر من الإكثار (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا) أى فى الجنة (الْمَوْتَ) البتة (إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ) أى سوى الموتة الأولى التى ذاقوها فى الدنيا وقيل لكن الموتة قد ذاقوها فى الدنيا (وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ) أى للفضل فهو مفعول له أو مصدر مؤكد لما قبله لأن قوله ووقاهم عذاب الجحيم تفضل منه لهم لأن العبد لا يستحق على الله شيئا (ذَٰلِكَ) أى صرف العذاب ودخول الجنة (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ) أى الكتاب وقد جرى ذكره فى أول السورة (بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)يتعظون (فَارْتَقِبْ) فانتظر ما يحل بهم (إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ) منتظرون ما يحل بك من الدوائر .

﴿ سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) إن جعلتها إسماً للسورة فهو مرفوعة بالابتداء والخبر (تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ) صلة للتنزيل وإن جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا (الْعَزِيزِ) فى انتقامه (الْحَكِيمِ) فى تدبيره (إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ) لدلالات على وحدانيته ويجوز أن يكون المعنى إن فى خلق السموات والأرض لآيات (لِلْمُؤْمِنِينَ) دليله قوله (وَفِي خَلْقِكُمْ) ويعطف (وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ) على الخلق المضاف لأن المضاف إليه ضمير مجرور متصل يقبح العطف عليه (ءَايَاتٌ) حمزة وعلى بالنصب. وغيرهما بالرفع مثل قولك إن زيدا فى الدار وعمراً فى السوق أو وعمرو فى السوق (لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ) أى مطر وسمى به لأنه سبب الرزق (فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ) الريح حمزة وعلى (ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) بالنصب على وحمزة، وغيرهما بالرفع وهذا من العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان إذا نصبت إنّ وفى . أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر فى واختلاف الليل والنهار والنصب فى آيات. وإذا رفعت فالعاملان الابتداء وفى . عملت الواو الرفع فى آيات والجر فى واختلاف هذا مذهب الأخفش لأنه يجوز العطف على عاملين وأما سيبويه فإنه لا يجيزه وتخريج الآية عنده أن يكون على اضمار فى والذى حسنه تقديم ذكر فى فى الآيتين قبل هذه الآية ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وفى اختلاف الليل والنهار ويجوز أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله أو على التكرير توكيدا لآيات الأولى كأنه قيل آيات آيات ورفعها بإضمار هي والمعنى فى تقديم الإيمان على الإيقان وتوسيطه وتأخير الآخر أن المنصفين من العباد إذا نظروا فى السموات والأرض نظرا صحيحا علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله فإذا نظروا فى خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال وفى خلق ما ظهر على الأرض من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانا وأيقنوا فإذا نظروا فى سائر الحوادث التى تتجدد فى كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض بها

بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبوراً عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم (تِلْكَ) إشارة إلى الآيات المتقدمة أى تلك الآيات (ءَايَٰتُ اللهِ) وقوله (نَتْلُوهَا) فى محل الحال أى متلوة (عَلَيْكَ بِالْحَقِّ) والعامل ما دل عليه تلك من معنى الإشارة (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَءَايَٰتِهِ) أى بعد آيات الله كقولهم أعجبنى زيد وكرمه يريدون أعجبنى كرم زيد (يُؤْمِنُونَ) حجازى وأبو عمرو وسهل وحفص وبالتاء غيرهم على تقدير قل يا محمد (وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ) كذاب (أَثِيمٍ) متبالغ فى اقتراف الآثام (يَسْمَعُ ءَايَٰتِ اللهِ) فى موضع جر صفة (تُتْلَىٰ عَلَيْهِ) حال من آيات الله (ثُمَّ يُصِرُّ) يقبل على كفره ويقيم عليه (مُسْتَكْبِرًا) عن الإيمان بالآيات والإذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت فى النضر بن الحرث وما كان يشترى من أحاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة فى كل من كان مضارا لدين الله وجىء بثم لأن الإصرار على الضلالة والاستكبار عن الإيمان عند سماع آيات القرآن مستبعد فى المعقول (كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا) كان مخففة والأصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن ومحل الجملة النصب على الحال أى يصر مثل غير السامع (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) فأخبره خبرا يظهر أثره على البشرة (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْئًا) وإذا بلغه شىء من آياتنا وعلم أنه منها (اتَّخَذَهَا) اتخذ الآيات (هُزُوًا) ولم يقل اتخذه للإشعار بأنه إذا أحس بشىء من الكلام أنه من جملة الآيات خاض فى الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويجوز أن يرجع الضمير إلى شىء لأنه فى معنى الآية كقول أبى العتاهية .

نفسى بشىء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدى يكفيها

حيث أراد عتبة (أُوْلَٰئِكَ) إشارة إلى كل أفاك أثيم لشموله الأفاكين (لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) مخز (مِّن وَرَآئِهِمْ) من قدامهم الوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص من خلف أو قدام (جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا) من الأموال (شَيْئًا) من عذاب الله (وَلَا مَا اتَّخَذُوا) ما فيهما مصدرية أو موصلة (مِن دُونِ اللهِ) من الأوثان (أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فى جهنم (هَٰذَا هُدًى) إشارة إلى القرآن ويدل عليه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ) لأن آيات ربهم هى القرآن أى هذا القرآن كامل فى الهداية كما تقول زيد رجل أى كامل فى

الرجولية (لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ) هو أشد العذاب (أَلِيمٌ) بالرفع مكي ويعقوب وحفص صفة لعذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز (اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ) بإذنه (وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ) بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطرى (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) هو تأكيد مافى السموات وهو مفعول سخر وقيل جميعا نصب على الحال (مِّنْهُ) حال أى سخر هذه الأشياء كائنة منه حاصلة من عنده أو خبر مبتدأ محذوف أى هذه النعم كلها منه أو صفة للمصدر أى تسخيرا منه (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا) أى قل لهم اغفروا يغفروا فحذف المقول لأن الجواب يدل عليه ومعنى يغفروا يعفوا ويصفحوا وقيل إنه مجزوم بلام مضمر تقديره ليغفروا فهو أمر مستأنف وجاز حذف اللام للدلالة على الأمر (لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) لايتوقعون وقائع الله بأعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لايؤملون الأوقات التى وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت فى عمر رضى الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بنى غفار فهم أن يبطش به (لِيَجْزِيَ) تعليل للأمر بالمغفرة أى إنما أمروا بأن يغفروا ليوفيهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة وتنكير (قَوْمًا) على المدح لهم كأنه قيل ليجزى أيما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم على أذى أعدائهم . لنجزى شامى وحمزة وعلى . لِيُجْزَى قوما يزيد أى ليجزى الخير قوما فأضمر الخير لدلالة الكلام عليه كما أضمر الشمس فى قوله حتى توارت بالحجاب لأن قوله إذ عرض عليه بالعشى دليل على توارى الشمس وليس التقدير ليجزى الجزاء قوما لأن المصدر لايقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح أما إقامة المفعول الثانى مقام الفاعل فجائز وأنت تقول جزاك الله خيرا (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من الإحسان (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) أى لها الثواب وعليها العقاب (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) أى إلى جزائه (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ) التوراة (وَالْحُكْمَ) الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لأن الملك كان فيهم (وَالنُّبُوَّةَ) خصها بالذكر لكثرة الأنبياء عليهم السلام فيهم (وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) مما أحل الله لهم وأطاب من الأرزاق (وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) على عالمى زمانهم (وَءَاتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ) آيات ومعجزات (مِّنَ الْأَمْرِ) من أمر الدين (فَمَا

اخْتَلَفُوٓا) فما وقع الخلاف بينهم فى الدين (إِلاَّ مِن بَعْدِ ماجَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ) أى إلا من بعد ماجاءهم ماهو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وإنما اختلفوا لبغى حدث بينهم أى لعداوة وحسد بينهم (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) قيل المراد اختلافهم فى أوامر الله ونواهيه فى التوراة حسدا وطلبا للرياسة لا عن جهل يكون الإنسان به معذورا (ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ)بعد اختلاف أهل الكتاب(عَلَىٰ شَرِيعَةٍ) على طريقة ومنهاج (مِّنَ الْأَمْرِ) من أمر الدين (فَاتَّبِعْهَا) فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج والدلائل (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ولا تتبع مالاحجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا: ارجع إلى دين آبائك (إِنَّهُمْ) إن هؤلاء الكافرين(لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) وهم موالوه وما أبين الفضل بين الولايتين (هَٰذَا) أى القرآن (بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ) جعل مافيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب كما جعل روحا وحياة (وَهُدًى) من الضلالة (وَرَحْمَةٌ) من العذاب (لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) لمن آمن وأيقن بالبعث (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان (اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ) اكتسبوا المعاصى والكفر ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أى كاسبهم (أَن نَّجْعَلَهُمْ) أن نصيرهم وهو من جعل المتعدى إلى مفعولين فأولهما الضمير والثانى الكاف فى(كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ) والجملة التى هى (سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) بدل من الكاف لأن الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت فى حكم المفرد، سواء على وحمزة وحفص بالنصب على الحال من الضمير فى نجعلهم ويرتفع محياهم ومماتهم بسواء وقرأ الأعمش ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج أى سواء فى محياهم وفى مماتهم والمعنى إنكار أن يستوى المسيئون والمحسنون محيا وأن يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات وأولئك على اقتراف السيئات ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والكرامة وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة ، وقيل معناه إنكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة فى الرزق والصحة، وعن تميم الدارى رضى الله عنه أنه كان يصلى ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكى ويردد إلى الصباح، وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها ويبكى ويقول:

يافضيل ليت شعرى من أى الفريقين أنت (سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ) بئس مايقضون إذاحسبوا أنهم كالمؤمنين فليس من أقعد على بساط الموافقة كمن أقعد على مقام المخالفة بل نفرق بينهم فنعلى المؤمنين ونخزى الكافرين (وَخَلَقَ اللهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) ليدل على قدرته (وَلِتُجْزَىٰ) معطوف على هذا المعلل المحذوف (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَىٰهُ)أى هو مطواع لهوى النفس يتبع ماتدعوه إليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلهه (وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) منه باختياره الضلال أو أنشأ فيه فعل الضلال على علم منه بذلك (وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ) فلا يقبل وعظا (وَقَلْبِهِ) فلايعتقد حقا (وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَٰوَةً)فلايبصر عبرة، غَشْوَةً حمزة وعلى (فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ) من بعد إضلال الله إياه (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص وغيرهم بالتشديد فأصل الشر متابعة الهوى والخير كله فى مخالفته فنعم ماقال :

إذا طلبتك النفس يوما بشهوة وكان إليها للخلاف طريق
فدعها وخالف ماهويت فإنما هواك عدو والخلاف صديق

(وَقَالُوا مَا هِيَ) أى ماالحياة لأنهم وعدوا حياة ثانية (إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا) التى نحن فيها (نَمُوتُ وَنَحْيَا) نموت نحن ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعض ويحيا بعض أو نكون مواتا نطفا فى الأصلاب ونحيا بعد ذلك أو يصيبنا الأمران الموت والحياة يريدون الحياة فى الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقيل هذا كلام من يقول بالتناسخ أى يموت الرجل ثم تجعل روحه فى موات فيحيا به (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالى هوالمؤثر فى هلاك الأنفس وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بإذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام : «لاتسبوا الدهر فإن الله هوالدهر» أى فإن الله هوالآتى بالحوادث لاالدهر (وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) وما يقولون ذلك من علم ويقين ولكن من ظن وتخمين (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا) أى القرآن يعنى مافيه من ذكر البعث (بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ) وسمى قولهم حجة وإن لم يكن حجة لأنه فى زعمهم حجة (إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ) أى أحيوهم (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) فى دعوى البعث ، وحجتهم

خبر كان واسمها أن قالوا والمعنى ما كان حجتهم إلا مقالتهم: ائتوا بآبائنا وقرئ حجتهم بالرفع على أنها اسم كان وأن قالوا الخبر (قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ) فى الدنيا (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) فيها عند انتهاء أعماركم (ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) أى يبعثكم يوم القيامة جميعا ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الإتيان بآبائكم ضرورة (لَا رَيْبَ فِيهِ) أى فى الجمع (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) قدرة الله على البعث لإعراضهم عن التفكر فى الدلائل (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ) عامل النصب فى يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم (وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً) جالسة على الركب ، يقال: جثا فلان يجثو إذا جلس على ركبتيه وقيل جاثية مجتمعة (كُلُّ أُمَّةٍ) بالرفع على الابتداء كل بالفتح يعقوب على الإبدال من كل أمة (تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا) إلى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس فيقال لهم (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فى الدنيا (هَٰذَا كِتَابُنَا) أضيف الكتاب إليهم للابسته إياهم لأن أعمالهم مثبتة فيه وإلى الله تعالى لأنه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده (يَنطِقُ عَلَيْكُم) يشهد عليكم بما عملتم (بِالْحَقِّ) من غير زيادة ولا نقصان (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) أى نستكتب الملائكة أعمالكم وقيل نسخت واستنسخت بمعنى وليس ذلك بنقل من كتاب بل معناه نثبت (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ) جنته (ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) فيقال لهم (أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ) والمعنى ألم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه (فَاسْتَكْبَرْتُمْ) عن الإيمان بها (وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) كافرين (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالجزاء (حَقٌّ وَالسَّاعَةُ) بالرفع عطف على محل إن واسمها. والساعة حمزة عطف على وعد الله (لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ) أى شىء الساعة (إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا) أصله نظن ظنا ومعناه إثبات الظن فحسب فأدخل حرف النفى والاستثناء ليفاد إثبات الظن مع نفى ماسواه وزيد نفى ماسوى الظن توكيدا بقوله (وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ وَبَدَا لَهُمْ) ظهر لهؤلاء الكفار (سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات كقوله: وجزاء سيئة سيئة مثلها (وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)

ونزل بهم جزاء استهزائهم (وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا) أى نتركـكم فى العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم وهى الطاعة وإضافة اللقاء إلى اليوم كإضافة المـكر فى قوله بل مكر الليل والنهار أى نسيتم لقاء الله تعالى فى يومكم هذا ولقاء جزائه (وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ) أى منزلـكم (وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ذَٰلِكُم) العذاب (بِأَنَّكُمُ) بسبب أنـكم (ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا) لا يَخرجون حمزة وعلى (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أى يرضوه (فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) أى فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شىء من السموات والأرض والعالمين فإن مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب (وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) وكبّروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته فى السموات والأرض (وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ) فى انتقامه (ٱلْحَكِيمُ) فى أحكامه.

﴿ سورة الأحقاف مكية وهى خمس وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ) ملتبسا بالحق (وَأَجَلٍ مُّسَمًّى) وبتقدير أجل مسمى ينتهى إليه وهو يوم القيامة (وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّآ أُنذِرُوا) عما أنذروه من هول ذلك اليوم الذى لابد لـكل مخلوق من انتهائه إليه (مُعْرِضُونَ) لايؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز أن تـكون مامصدرية أى عن إنذارهم ذلك اليوم (قُلْ أَرَءَيْتُم) أخبرونى (مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ) تعبدونه من الأصنام (أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ) أى شىء خلقوا مما فى الارض إن كانوا آلهة (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ) شركة مع الله فى خلق السموات والأرض (ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا) أى من قبل هذا الـكتاب وهو القرآن يعنى أن هذا الـكتاب ناطق بالتوحيد وإبطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ماأنتم عليه من عبادة غير الله (أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين

(إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) أن الله أمركم بعبادة الأوثان (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ) أى أبدا (وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً) أى الأصنام لعبدتها (وَكَانُوا۟) أى الأصنام (بِعِبَادَتِهِمْ) بعبادة عبدتهم (كَٰفِرِينَ) يقولون ما دعوناهم إلى عبادتنا ومعنى الاستفهام فى من أضل إنكار أن يكون فى الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الأوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على كل شىء ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة وإذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضــــدا فليسوا فى الدارين إلا على نكد ومضرة لا تتولاهم فى الدنيا بالاستجابة وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم ولما أسند إليهم ما يسند إلى أولى العلم من الاستجابة والغفلة قيل من وهم ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى: إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ) جمع بينة وهى الحجة والشاهد أو واضحات مبينات (قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ) المراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر والمتلو بالحق (لَمَّا جَآءَهُمْ) أى بادهوه بالجحود ساعة أتاهم وأول ما سمعوه من غير إجالة فكر ولا إعادة نظر (هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) ظاهر أمره فى البطلان لا شبهة فيه (أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ) إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا إلى ذكر قولهم إن محمدا عليه السلام افتراه أى اختلقه وأضافه إلى الله كذبا والضمير للحق والمراد به الآيات (قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا) أى إن افتريته على سبيل الفرض عاجلنى الله بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتى ولا تطيقون دفع شىء من عقابه فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه (هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ) أى تندفعون فيه من القدح فى وحى الله والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى (كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ) يشهد لى بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالجحود والإنكار ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم (وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) موعدة بالغفران والرحمة إن تابوا

عن الكفر وآمنوا (قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ) أى بديعا كالخِف بمعنى الخفيف والمعنى إنى لست بأول مرسل فتنكروا نبوتى (وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ) أى ما يفعل الله بى وبكم فيما يستقبل من الزمان. وعن الكلبى قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى تكون على هذا فقال ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أأترك بمكة أم أو أومر بالخروج إلى أرض قد رفعت لى ورأيتها يعنى فى منامه ذات نخيل وشجر وما فى ما يفعل يجوز أن يكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة وإنما دخل لا فى قوله ولا بكم مع أن يفعل مثبت غير منفى لتناول النفى فيما أدرى ما وما فى حيزه (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ) القرآن (مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ) هو عبد الله بن سلام عند الجمهور ولهذا قيل إن هذه الآية مدنية لأن إسلام ابن سلام بالمدينة. روى أنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نظر إلى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب قال له إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه فقال رسول الله ﷺ أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا (عَلَىٰ مِثْلِهِ) الضمير للقرآن أى مثله فى المعنى وهو ما فى التوراة من المعانى المطابقة لمعانى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز أن يكون المعنى إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعنى كونه من عند الله (فَآمَنَ) الشاهد (وَاسْتَكْبَرْتُمْ) عن الإيمان به وجواب الشرط محذوف تقديره إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) والواو الأولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط وكذلك الواو الأخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو فى وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به والمعنى قل أخبرونى إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بنى إسرائيل على نزول مثله فإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به ألستم

أضل الناس وأظلمهم (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا) أى لأجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا إن عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود (لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ) لو كان ماجاء به محمد خيرا ماسبقنا إليه هؤلاء (وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ) العامل فى إذ محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله (فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ) مسبب عنه وقولهم إفك قديم أى كذب متقادم كقولهم أساطير الأولين (وَمِن قَبْلِهِ) أى القرآن (كِتَٰبُ مُوسَىٰ) أى التوراة وهو مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب (إِمَامًا) على الحال نحو فى الدار زيد قائما ومعنى إماما قدوة يؤتم به فى دين الله وشرائعه كما يؤتم بالإمام (وَرَحْمَةً) لمن آمن به وعمل بما فيه (وَهَٰذَا) القرآن (كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ) لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب (لِّسَانًا عَرَبِيًّا) حال من ضمير الكتاب فى مصدق والعامل فيه مصدق أومن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الإشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى وهو الرسول (لِّيُنذِرَ) أى الكتاب ، لتنذر حجازى وشامى (ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (وَبُشْرَىٰ) فى محل النصب معطوف على محل لينذر لأنه مفعول له (لِلْمُحْسِنِينَ) للمؤمنين المطيعين (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا) على توحيد الله وشريعة نبيه محمد ﷺ (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) فى القيامة (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) عند الموت (أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا) حال من أصحاب الجنة والعامل فيه معنى الإشارة الذى دل عليه أولئك (جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) جزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أى جوزوا جزاء (وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا) كوفى أى وصيناه بأن يحسن بوالديه إحساناً ، حُسْنا غيرهم أى وصيناه بوالديه أمرا ذا حسن أو بأمر ذى حسن فهو فى موضع البدل من قوله بوالديه وهو من بدل الاشتمال (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) وبفتح الكافين حجازى وأبو عمرو وهما لغتان فى معنى المشقة وانتصابه على الحال أى ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أى حملا ذا كره (وَحَمْلُهُ وَفِصَٰلُهُ) ومدة حمله وفطامه (ثَلَٰثُونَ شَهْرًا) وفيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع إذا كانت

حولين لقوله تعالى: حولين كاملين. بقيت للحمل ستة أشهر وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال أبو حنيفة رضي الله عنه : المراد به الحمل بالأكف. وفَصْلُهُ يعقوب والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى (حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ) هو جمع لا واحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحده شدة وبلوغ الأشد أن يكتهل ويستوفى السن التى تستحكم فيها قوته وعقله وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد وغايته الأربعون (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ) ألهمنى (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ) المراد به نعمة التوحيد والإسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لأن النعمة عليهما نعمة عليه (وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ) قيل هى الصلوات الخمس (وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ) أى اجعل ذريتى موقعا للصلاح ومظنة له (إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ) من كل ذنب (وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ) من المخلصين (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ) حمزة وعلى وحفص. يُتقبَّل ويُتجاوز أَحْسَنُ غيرهم (فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ) هو كقولك أكرمنى الأمير فى ناس من أصحابه تريد أكرمنى فى جملة من أكرم منهم ونظمنى فى عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين فى أصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وَعْدَ ٱلصِّدْقِ) مصدر مؤكد لأن قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز قيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفى أبيه أبى قحافة وأمه أم الخير وفى أولاده واستجابة دعائه فيهم فإنه آمن بالنبى ﷺ وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبى بكر رضى الله عنه (ٱلَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) فى الدنيا (وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذى قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه قبل إسلامه ويشهد لبطلانه كتاب معاوية إلى مروان ليأمر الناس بالبيعة ليزيد فقال عبد الرحمن بن أبى بكر لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لأبنائكم فقال مروان يا أيها الناس هذا الذى قال الله تعالى فيه : والذى قال لوالديه أف لكما . فسمعت عائشة رضى الله عنها فغضبت وقالت: والله ما هو به

ولو شئت أن أسميه لسميته ولـكن الله تعالى لعن أباك وأنت فى صلبه فأنت فضض من لعنة الله أى قطعة (أُفٍّ لَّـكُمَآ) مدنى وحفص، أفَّ مكى وشامى، أفٌّ غيرهم وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر كما إذا قال حس علم أنه متوجع واللام للبيان أى هذا التأفيف لـكما خاصة ولأجلكما دون غيركما (أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ) أن أبعث وأخرج من الأرض (وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِى) ولم يبعث منهم أحد (وَهُمَا) أبواه (يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويقولان له (وَيْلَكَ) دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الإيمان لاحقيقة الهلاك (ءَامِنْ) بالله وبالبعث (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث (حَقٌّ) صدق (فَيَقُولُ) لهما (مَا هَٰذَآ) القول (إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) أى لأملأن جهنم (فِىٓ أُمَمٍ) فى جملة أمم (قَدْ خَلَتْ) قد مضت (مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَٰسِرِينَ وَلِكُلٍّ) من الجنسين المذكورين الأبرار والفجار (دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا) أى منازل ومراتب من جزاء ماعملوا من الخير والشر أو من أجل ماعملوا منهما وإنما قال درجات وقد جاء «الجنة درجات والنار دركات» على وجه التغليب (وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ) بالياء مكى وبصرى وعاصم (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) أى وليوفيهم أعمالهم ولايظلمهم حقوقهم، قدّر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات فاللام متعلقة بمحذوف (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) عرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به وقيل المراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا (أَذْهَبْتُمْ) أى يقال لهم أذهبتم وهو ناصب الظرف (طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) أى ما كتب لـكم حظ من الطيبات إلا ماقد أصبتموه فى دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لـكم بعد استيفاء حظكم شىء منها وعن عمر رضى الله عنه لو شئت لـكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولـكنى أستبق طيباتى (وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا) بالطيبات (فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) أى الهوان وقرئ به (بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) تتكبرون (فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ) أى باستكباركم وفسقكم (وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ) أى هودا (إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِالْأَحْقَافِ) جمع حِقف وهو رمل

مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج. عن ابن عباس رضى الله عنهما: هو واد بين عمان ومهرة (وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ) جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار (مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) من قبل هود ومن خلف هود وقوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه وقع اعتراضا بين أنذر قومه وبين (أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) والمعنى واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك (قَالُوٓا) أى قوم هود (أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا) لتصرفنا فالأفك الصرف يقال أفكه عن رأيه (عَنْ ءَالِهَتِنَا) عن عبادتها (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ) من معاجلة العذاب على الشرك (إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ) فى وعيدك (قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ) بوقت مجىء العذاب (عِندَ اللهِ) ولا علم لى بالوقت الذى يكون فيه تعذيبكم (وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِ) وبالتخفيف أبو عمرو أى الذى هو شأنى أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف (وَلَٰكِنِّى أَرَٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) أى ولكنكم جاهلون لاتعلمون أن الرسل بعثوا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه (فَلَمَّا رَأَوْهُ) الضمير يرجع إلى ما تعدنا أو هو مبهم وضح أمره بقوله (عَارِضًا) إما تمييزا أو حالا والعارض السحاب الذى يعرض فى أفق السماء (مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا) روى أن المطر قد احتبس عنهم فرأوا سحابة استقبلت أوديتهم فقالوا هـذا سحاب يأتينا بالمطر وأظهروا من ذلك فرحا وإضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفا للنكرة (بَلْ هُوَ) أى قال هود بل هو ويدل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو (مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ) من العذاب ثم فسره فقال (رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ) تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية (بِأَمْرِ رَبِّهَا) رب الريح (فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلاَّ مَسَٰكِنُهُمْ) عاصم وحمزة وخلف أى لا يرى شىء إلا مساكنهم . غيرهم لا ترى إلا مساكنهم والخطاب للرائى من كان (كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) أى مثل ذلك نجزى من أجرم مثل جرمهم وهو تحذير

لمشركى العرب. عن ابن عباس رضى الله عنهما: اعتزل هود عليه السلام ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما تلذه الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة (وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ) إن نافية أى فيما مامكنا كم فيه إلا أن إن أحسن فى اللفظ لما فى مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ألا ترى أن الأصل فى مهما ما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء وقد جعلت إن صلة وتؤول بأنا مكناهم فى مثل ما مكنا كم فيه والوجه هو الأول لقوله تعالى: هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا. وما بمعنى الذى أو نكرة موصوفة (وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْئِدَةً) أى آلات الدرك والفهم (فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَىْءٍ) أى من شىء من الإغناء وهو القليل منه (إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ) إذ نصب بقوله فما أغنى وجرى مجرى التعليل لاستواء مؤدى التعليل والظرف فى قولك ضربته لإساءته وضربته إذ أساء لأنك إذا ضربته فى وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف فى ذلك (وَحَاقَ بِهِم) ونزل بهم (مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ) جزاء استهزائهم وهذا تهديد لكفار مكة ثم زادهم تهديدا بقوله (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم) يا أهل مكة (مِّنَ ٱلْقُرَىٰ) نحو حجر ثمود وقرى قوم لوط والمراد أهل القرى ولذلك قال (وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) أى كررنا عليهم الحجج وأنواع العبر لعلهم يرجعون عن الطغيان إلى الإيمان فلم يرجعوا (فَلَوْلَا) فهلا (نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً) القربان ما تقرب به إلى الله تعالى أى اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله تعالى حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولى اتخذ الراجع إلى الذين محذوف أى اتخذوهم والثانى آلهة وقربانا حال (بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ) غابوا عن نصرتهم (وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) وذلك إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم عنهم أى وذلك أثر إفكهم الذى هو اتخاذهم إياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب (وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا) أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة (مِّنَ ٱلْجِنِّ) جن نصيبين (يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ) منه عليه الصلاة والسلام (فَلَمَّا حَضَرُوهُ) أى الرسول ﷺ أو القرآن أى كانوا منه بحيث يسمعون (قَالُوا) أى قال بعضهم لبعض (أَنصِتُوا) اسكتوا مستمعين

روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا إلا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا إلى وادى نخلة فوافوا رسول الله ﷺ وهو قائم فى جوف الليل يصلى أو فى صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو فى صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل الله أمر رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرا منهم فقال إنى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثا فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيرى فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة فى شعب الحجون فخط لى خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا فقال لى رسول الله ﷺ هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر ألفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فَلَمَّا قُضِىَ) أى فرغ النبى ﷺ من القراءة (وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ) إياهم (قَالُوا يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ) وإنما قالوا من بعد موسى لأنهم كانوا على اليهودية. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام (مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) من الكتب (يَهْدِىٓ إِلَى الْحَقِّ) إلى الله تعالى (وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا دَاعِىَ اللهِ) أى محمدا ﷺ (وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا ثواب لهم إلا النجاة من النار لهذه الآية وقال مالك وابن أبى ليلى وأبو يوسف ومحمد رحمهم الله لهم الثواب والعقاب وعن الضحاك أنهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لقوله تعالى لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان (وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى الْأَرْضِ) أى لا ينجى منه مهرب (وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ) هو كقوله وما مسنا من لغوب ويقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه (بِقَٰدِرٍ) محله الرفع لأنه خبر أنّ يدل عليه قراءة عبد الله قادر وإنما دخلت الباء لاشتمال النفى فى أول الآية على أن وما فى حيزها

وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر الا ترى إلى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لارؤيتهم (عَلَىٰ أن يُحْيِـيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ) هو جواب للنفي (إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) يقال لهم (أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ)وناصب الظرف القول المضمر وهذا إشارة إلى العذاب (قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) بكفركم في الدنيا(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ) أولو الجد والثبات والصبر (مِنَ الرُّسُلِ) من للتبعيض والمراد بأولي العزم ما ذكر في الأحزاب: وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم . ويونس ليس منهم لقوله ولا تكن كصاحب الحوت وكذا آدم لقوله ولم نجد له عزما أو للبيان فيكون أولو العزم صفة الرسل كلهم (وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ) لكفار قريش بالعذاب أي لا تدع لهم بتعجيله فإنه نازل بهم لامحالة وإن تأخر (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ) أي أنهم يستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار (بَلَاغٌ) هذا بلاغ أي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول (فَهَلْ يُهْلَكُ) هلاك عذاب والمعنى فلن يهلك بعذاب الله (إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) أي المشركون الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه قال عليه السلام «من قرأ سورة الأحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا ».

﴿ سورة محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل سورة القتال مدنية وقيل مكية وهي ثمان وثلاثون آية أو تسع وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ)أي أعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام أوصدوا غيرهم عنه. قال الجوهري: صد عنه يصد صدودا أعرض، وصده عن الأمر صدا منعه وصرفه عنه وهم المطعمون يوم بدر أو أهل الكتاب أو عام في كل من كفر وصد (أَضَلَّ

أَعْمَلَهُمْ) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الإبل وأعمالهم ماعملوه فى كفرهم من صلة الأرحام وإطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام أو ماعملوه من الكيد لرسول الله ﷺ والصد من سبيل الله (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ) هم ناس من قريش أو من الأنصار أو من أهل الكتاب أو عام (وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ) وهو القرآن وتخصيص الإيمان بالمنزل على رسوله من بين مايجب الإيمان به لتعظيم شأنه وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية وهى قوله (وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ) أى القرآن وقيل إن دين محمد هو الحق إذ لايرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره (كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم عنها وتوبتهم (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) أى حالهم وشأنهم بالتوفيق فى أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بماأعطاهم من النصرة والتأييد (ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَٰطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ) ذلك مبتدأ وما بعده خبره أى ذلك الأمر وهو اضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثانى والإصلاح كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهو الشيطان وهؤلاء الحق وهو القرآن (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك الضرب (يَضْرِبُ اللَّهُ) أى يبين الله (لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ) والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم وقدجعل اتباع الباطل مثلالعمل الكافرين واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أو جعل الإضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز الأبرار (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) من اللقاء وهو الحرب (فَضَرْبَ الرِّقَابِ) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا إلى المفعول وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التى فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لا أن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء ولأن قتل الإنسان أكثر مايكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وإن ضرب غير رقبته (حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ) أكثرتم فيهم القتل (فَشُدُّوا الْوَثَاقَ) فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به والمعنى فشدوا وثاق الأسارى حتى لايفلتوا منكم (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ) أى بعد

أن تأسروهم (وَإِمَّا فِدَآءً) منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين أى فإما تمنون منا أو تفدون فداء والمعنى التخيير بين الأمرين بعد الأسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم وحكم أسارى المشركين عندنا القتل أو الاسترقاق، والمن والفداء المذكوران فى الآية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين لأن سورة براءة من آخر ما نزل وعن مجاهد ليس اليوم منّ ولا فداء إنما هو الإسلام أو ضرب العنق أو المراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وبالفداء أن يفادى بأساراهم أسارى المسلمين[١] فقد رواه الطحاوى مذهبا عن أبى حنيفة رحمه الله وهو قولهما والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره لئلا يعودوا حربا علينا، وعند الشافعى رحمه الله تعالى للإمام أن يختار أحد الأمور الأربعة القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمن (حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) أثقالها وآلاتها التى لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع وقيل أوزارها آثامها يعنى حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم بأن يسلموا وحتى لا يخلو من أن يتعلق بالضرب والشد أو بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعى رحمه الله أنهم لا يزالون على ذلك أبدا إلى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك إذا لم يبق لهم شوكة وقيل إذا نزل عيسى عليه السلام وعند أبى حنيفة رحمه الله إذا علق بالضرب والشد فالمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين وإذا علق بالمن والفداء فالمعنى أنه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها إلا أن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل (ذَٰلِكَ) أى الأمر ذلك فهو مبتدأ وخبر أو افعلوا بهم ذلك فهو فى محل النصب (وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ) لانتقم منهم بغير قتال ببعض أسباب الهلاك كالخسف أو الرجفة أو غير ذلك (وَلَـٰكِن) أمركم بالقتال (لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ) أى المؤمنين بالكافرين تمحيصا للمؤمنين وتمحيقا للكافرين (وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا) بصرى وحفص. قاتلوا غيرهم (فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ) إلى طريق الجنة أو إلى الصواب فى جواب منكر ونكير (وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ) يرضى خصماءهم ويقبل أعمالهم (وَيُدْخِلُهُمُ

(١) فى نسخة المشركين وعليها فالضمير فى أساراهم للمسلمين اهـ .

الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) عن مجاهد عرفهم مساكنهم فيها حتى لايحتاجون أن يسألوا أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ) أى دين الله ورسوله (يَنصُرْكُمْ) على عدوكم ويفتح لكم (وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) فى مواطن الحرب أو على محجة الإسلام (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) فى موضع رفع بالابتداء والخبر (فَتَعْسًا لَّهُمْ) وعطف قوله (وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) على الفعل الذى نصب تعسا لأن المعنى فقال تعسا لهم والتعس العثور وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد فى الدنيا القتل وفى الآخرة التردى فى النار (ذَٰلِكَ) أى التعس والضلال (بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ) أى القرآن (فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) يعنى كفار أمتك (فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) أهلكهم هلاك استئصال (وَلِلْكَافِرِينَ) مشركى قريش (أَمْثَالُهَا) أمثال تلك الهلكة لأن التدمير يدل عليها (ذَٰلِكَ) أى نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين (بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا) وليهم وناصرهم (وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ) أى لا ناصر لهم فإن الله مولى العباد جميعا من جهة الاختراع وملك التصرف فيهم ومولى المؤمنين خاصة من جهة النصرة (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ) ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياما قلائل (وَيَأْكُلُونَ) غافلين غير متفكرين فى العاقبة (كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ) فى معالفها ومسارحها غافلة عما هى بصدده من النحر والذبح (وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ) منزل ومقام (وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ) أى وكم من قرية للتكثير وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال أهلكناهم (هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ) أى وكم من قرية أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أى كانوا سبب خروجك (أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) أى فلم يكن لهم من ينصرهم ويدفع العذاب عنهم (أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ) أى على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات يعنى رسول الله ﷺ (كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله وقال سوء عمله (وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم) للحمل على لفظ من ومعناه (مَّثَلُ الْجَنَّةِ) صفة الجنة العجيبة الشأن (الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ) عن الشرك (فِيهَا أَنْهَارٌ) داخل فى حكم الصلة كالتكرير لها

ألاترى إلى صحة قولك التي فيها أنهار أو حال أى مستقرة فيها أنهار (مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ) غير متغير اللون والريح والطعم يقال أسن الماء إذا تغير طعمه وريحه أسِن مكى (وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ) كما تتغير ألبان الدنيا إلى الحموضة وغيرها (وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ) تأنيث لذ وهو اللذيذ (لِّلشَّـٰرِبِينَ) أى ماهو إلا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر (وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ) مثل مبتدأ خبره (كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا) حاراً فى النهاية (فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ) والتقدير أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فى النار وهو كلام فى صورة الإثبات ومعناه النفى لانطوائه تحت حكم كلام مصدّر بحرف الإنكار ودخوله فى حيزه وهو قوله: أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله. وفائدة حذف حرف الإنكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التى تجرى فيها تلك الأنهار وبين النار التى يسقى أهلها الحميم (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا) هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالاً تهاونا منهم فإذا خرجوا قالوا لأولى العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء (أُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَآءَهُمْ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا) بالإيمان واستماع القرآن (زَادَهُمْ) الله (هُدًى) أى بصيرة وعلما أو شرح صدورهم (وَءَاتَـٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ) أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم أو بين لهم مايتقون (فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ) أى ينتظرون (أَن تَأْتِيَهُم) أى إتيانها فهو بدل اشتمال من الساعة (بَغْتَةً) فجأة (فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا) علاماتها وهو مبعث محمد ﷺ وإنشقاق القمر والدخان وقيل قطع الأرحام وقلة الكرام وكثرة اللئام (فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ) قال الأخفش التقدير فأنى لهم ذكراهم إذا جاءتهم (فَاعْلَمْ أَنَّهُ) أن الشأن (لَآ إِلَـٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـٰتِ) والمعنى فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك وفى شرح التأويلات جاز أن يكون له ذنب

فأمره بالاستغفار له ولكنا لانعلمه غير أن ذنب الأنبياء ترك الأفضل دون مباشرة القبيح وذنوبنا مباشرة القبائح من الصغائر والكبائر وقيل الفاآت في هذه الآيات لعطف جملة على جملة بينهما اتصال (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ) في معايشكم ومتاجركم (وَمَثْوَاكُمْ)ويعلم حيث تستقرون من منازلكم أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور أو متقلبكم في أعمالكم ومثواكم في الجنة والنار ومثله حقيق بأن يتقى ويخشى وأن يستغفر وسئل سفيان ابن عيينة عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم (وَيَقُولُ الَّذِينَ ءامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ) فيها ذكر الجهاد (فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ) في معنى الجهاد (مُّحْكَمَةٌ) مبينة غير متشابهة لاتحتمل وجها إلا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لأن النسخ لايرد عليها من قبل أن القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة (وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ) أى أمر فيها بالجهاد (رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) نفاق أى رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها (يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ)أى تشخص أبصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت (فَأَوْلَى لَهُمْ) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه (طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ) كلام مستأنف أى طاعة وقول معروف خير لهم (فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ) فإذا جد الأمر ولزمهم فرض القتال (فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ) في الإيمان والطاعة(لَكَانَ) الصدق(خَيْرًا لَّهُمْ) من كراهة الجهاد ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب بضرب من التوبيخ والإرهاب فقال (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) أى فلعلكم إن أعرضتم عن دين رسول الله ﷺ وسنته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتغاور والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضا ووأد البنات . وخبر عسى أن تفسدوا والشرط اعتراض بين الاسم والخبر والتقدير فهل عسيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم إن توليتم (أُولَٰئِكَ) إشارة إلى المذكورين(الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ) أبعدهم عن رحمته (فَأَصَمَّهُمْ) عن استماع الموعظة (وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ) عن إبصارهم طريق الهدى (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ)فيعرفوا ما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد

العصاة حتى لايجسروا على المعاصى وأم فى (أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لايتوصل إليها ذكر ونكرت القلوب لأن المراد على قلوب قاسية مبهم أمرها فى ذلك والمراد بعض القلوب وهى قلوب المنافقين وأضيفت الأقفال إلى القلوب لأن المراد الأقفال المختصة بها وهى أقفال الكفر التى استغلقت فلا تنفتح نحو الرين والختم والطبع (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى) أى المنافقون رجعوا إلى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم (الشَّيْطَانُ سَوَّلَ) زين (لَهُمْ) جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لإن نحوان زيدا عمرو مربه (وَأَمْلَىٰ لَهُمْ) ومدّ لهم فى الآمال والأمانى وأُمْلِىَ أبو عمرو أى امهلوا ومدفى عمرهم (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ) أى المنافقون قالوا لليهود (سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ) أى عدواة محمد والقعود عن نصرته (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ) على المصدر من أسر حمزة وعلى وحفص. أسرارهم غيرهم جمع سر (فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ) أى فكيف يعملون وماحيلتهم حينئذ (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) عن ابن عباس رضى الله عنهما: لايتوفى أحد على معصية إلا يضرب من الملائكة فى وجهه ودبره (ذَٰلِكَ) إشارة إلى التوفى الموصوف (بِأَنَّهُمُ) بسبب أنهم (اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ) من معاونة الكافرين (وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ) من نصرة المؤمنين (فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ) أحقادهم والمعنى أظن المنافقون أن الله تعالى لايبرز بغضهم وعداوتهم للمؤمنين (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ) لعرفنا كهم ودللناك عليهم (فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ) بعلامتهم وهو أن يسمهم الله بعلامة يعلمون بها ● وعن أنس رضى الله عنه : ماخفى على رسول الله ﷺ بعدهذه الآية أحد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) فى نحوه وأسلوبه الحسن من فحوى كلامهم لأنهم كانوا لايقدرون على كتمان مافى أنفسهم واللام فى فلعرفتهم داخلة فى جواب لوكالتى فى لأريناكهم كررت فى المعطوف وأما اللام فى ولتعرفنهم فواقعة مع النون فى جواب قسم محذوف (وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) فيميز خيرها من شرها (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) بالقتال إعلاما لااستعلاما أو نعاملكم معاملة المختبر ليكون أبلغ فى إظهار العدل (حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ) على الجهاد أى نعلم كائنا ماعلمناه

ه سيكون (وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) أسراركم وليبلونكم حتى يعلم. ويبلو أبو بكر * وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها بكى وقال اللهم لاتبلنا فإنك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ) وعادوه يعنى المطعمين يوم بدر وقد مر (مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ) من بعد ماظهر لهم أنه الحق وعرفوا الرسول (لَن يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ) التى عملوها فى مشاقة الرسول أى سيبطلها فلا يصلون منها إلى أغراضهم (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) بالنفاق أو بالرياء (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) قيل هم أصحاب القليب والظاهر العموم (فَلَا تَهِنُوا) فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو (وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ) وبالكسر حمزة وأبو بكر وهما المسالمة أى ولا تدعوا الكفار إلى الصلح (وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ) أى الأغلبون وتدعوا مجزوم لدخوله فى حكم النهى (وَاللهُ مَعَكُمْ) بالنصرة أى ناصركم (وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) ولن ينقصكم أجر أعمالكم (إِنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) تنقطع فى أسرع مدة (وَإِن تُؤْمِنُوا) بالله ورسوله (وَتَتَّقُوا) الشرك (يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ) ثواب إيمانكم وتقواكم (وَلَا يَسْئَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ) أى لايسألكم جميعها بل ربع العشر والفاعل الله أو الرسول * وقال سفيان بن عيينة غيضامن فيض (إِن يَسْئَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ) أى يجهدكم ويطلبه كله والإحفاء المبالغة وبلوغ الغاية فى كل شىء يقال أحفاه فى المسئلة إذا لم يترك شيئا من الإلحاح وأحفى شاربه إذا استأصله (تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ) أى الله أو البخل (أَضْغَانَكُمْ) عند الامتناع أو عند سؤال الجميع لأنه عند مسئلة المال تظهر العداوة والحقد (هَاأَنتُمْ) هاللتنبيه (هَؤُلَاءِ) موصول بمعنى الذين صلته (تُدْعَوْنَ) أى أنتم الذين تدعون (لِتُنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللهِ) هى النفقة فى الغزو أو الزكاة كأنه قيل الدليل على أنه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء أنكم تدعون إلى أداء ربع العشر (فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ) بالرفع لأن من هذه ليست للشرط أى فمنكم ناس يبخلون به (وَمَن يَبْخَلْ) بالصدقة وأداء الفريضة (فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ) أى يبخل عن داعى نفسه لاعن داعى ربه وقيل يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه (وَاللهُ الْغَنِىُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَآءُ) أى أنه لايأمر بذلك

لحاجته إليه لأنه غنى عن الحاجات ولـكن لحاجتـكم وفقركم إلى الثواب (وَإِن تَتَوَلَّوْا) وإن تعرضوا أيها العرب عن طاعته وطاعة رسوله والإنفاق فى سبيله وهو معطوف على وإن تؤمنوا وتتقوا (يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) يخلق قوما خيرا منكم وأطوع وهم فارس * وسئل رسول الله ﷺ عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناله رجال من فارس (ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) أى ثم لايكونوا فى الطاعة أمثالكم بل أطوع منكم .

﴿ سورة الفتح مدنية وهى تسع وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) الفتح الظفر بالبلد عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب لأنه مغلق ما لم يظفر به فإذا ظفر به فقد فتح ثم قيل هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله ﷺ عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجىء به على لفظ الماضى لأنها فى تحققها بمنزلة الكائنة وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر عنه وهو الفتح مالا يخفى وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولـكن ترام بين القوم بسهام وحجارة فرمى المسلمون المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وسألوا الصلح فكان فتحا مبينا * وقال الزجاج كان فى فتح الحديبية آية للمسلمين عظيمة وذلك أنه نزح ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول ﷺ ثم مجه فى البئر فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس وقيل هو فتح خيبر وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهى الحكومة (لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ) قيل الفتح ليس بسبب للمغفرة والتقدير إنا فتحنا لك فتحا مبينا فاستغفر ليغفر لك الله ومثله إذا جاء نصر الله والفتح إلى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث إنه جهاد للعدو سببا للغفران وقيل الفتح لم يكن ليغفر له بل لإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز ولـكنه لما عدد عليه هذه النعم وصلها بما هو أعظم النعم كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة أو كذا لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل (مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) يريد جميع ما فرط منك أو ما تقدم من حديث

مارية وما تأخر من امرأة زيد (وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) بإعلاء دينك وفتح البلاد على يدك (وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيماً) ويثبتك على الدين المرضي (وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا) قويا منيعا لاذل بعده أبدا (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ) السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان أي أنزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح ليزدادوا يقينا إلى يقينهم وقيل السكينة الصبر على ما أمر الله والثقة بوعد الله والتعظيم لأمر الله (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيمًا لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيماً وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ) أي ولله جنود السموات والأرض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم وإنما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه (الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ) وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده يقال فعل سوء أي مسخوط فاسد والمراد ظنهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) مكي وأبو عمرو أي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وغيرها دائرة السوء بالفتح أي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها السوء والسوء كالكره والكره والضعف والضعف إلا أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) جهنم (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) فيدفع كيد من عادى نبيه عليه السلام والمؤمنين بما شاء منها (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً) غالبا فلا يرد بأسه (حَكِيمًا) فيما دبر (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا) تشهد على أمتك يوم القيامة وهذه حال مقدرة (وَمُبَشِّرًا) للمؤمنين بالجنة (وَنَذِيرًا) للكافرين من النار (لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) والخطاب لرسول الله ﷺ ولأمته (وَتُعَزِّرُوهُ) وتقووه بالنصر (وَتُوَقِّرُوهُ) وتعظموه (وَتُسَبِّحُوهُ)

من التسبيح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فجعل الأولين للنبي ﷺ فقد أبعد ليؤمنوا مكي وأبو عمرو والضمير للناس وكذا الثلاثة الأخيرة بالياء عندهما (بُكْرَةً) صلاة الفجر (وَأَصِيلًا) الصلوات الأربع (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) أى بيعة الرضوان ولما قال (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) أكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) يريد أن يد رسول الله ﷺ التى تعلو أيدى المبايعين هى يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله وإنما يبايعون الله خبر إن (فَمَن نَّكَثَ) نقض العهد ولم يف بالبيعة (فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ) فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله ﷺ تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر فما نكث أحد منا البيعة إلا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت بطن بعيره ولم يسر مع القوم (وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ) يقال وفيت بالعهد وأوفيت به ومنه قوله أوفوا بالعقود ـ والموفون بعهدهم (عَلَيْهُ اللَّهَ) حفص (فَسَيُؤْتِيهِ) وبالنون حجازى وشامى (أَجْرًا عَظِيمًا) الجنة (سَيَقُولُ لَكَ) إذا رجعت من الحديبية (الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ) هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والديل وذلك أنه عليه السلام حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو ﷺ وساق معه الهدى ليعلم أنه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الأعراب وقالوا يذهب إلى قوم غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب إلى المدينة (شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا) هى جمع أهل اعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم (فَاسْتَغْفِرْ لَنَا) ليغفر لنا الله تخلفنا عنك (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) تكذيب لهم فى اعتذارهم وأن الذى خلفهم ليس ما يقولون وإنما هو الشك فى الله والنفاق فطلبهم الاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة (قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا) فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا)

ما يضركم من قتل أو هزيمة ضرا حمزة وعلى (أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا) من غنيمة وظفر (بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ) زينه الشيطان (وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ) من علو الكفر وظهور الفساد (وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا) جمع بائر كعائذ وعوذ من بار الشيء هلك وفسد أى وكنتم قوما فاسدين فى أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه (وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ) أى لهم فأقيم الظاهر مقام الضمير للإيذان بأن من لم يجمع بين الإيمانين الإيمان بالله والإيمان برسوله فهو كافر ونكر (سَعِيرًا) لأنها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) يدبره تدبير قادر حكيم (يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ) يغفر ويعذب بمشيئته وحكمته وحكمته المغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) سبقت رحمته غضبه (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ) الذين تخلفوا عن الحديبية (إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ) إلى غنائم خيبر (لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) كَلِمِ الله حمزة وعلى أى يريدون أن يغيروا موعد الله لأهل الحديبية وذلك أنه وعدهم أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر إذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئاً (قُل لَّن تَتَّبِعُونَا) إلى خيبر وهو إخبار من الله بعدم اتباعهم ولا يبدل القول لديه (كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ) من قبل انصرافهم إلى المدينة إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية دون غيرهم (فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا) أى لم يأمركم الله به بل تحسدوننا أن نشارككم فى الغنيمة (بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ) من كلام الله (إِلَّا قَلِيلًا) إلا شيئا قليلا يعنى مجرد القول والفرق بين الاضرابين أن الأول رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم وإثبات الحسد والثانى إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه (قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ) يعنى بنى حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر رضى الله عنه لأن مشركى العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف وقيل هم فارس وقد دعاهم عمر رضى الله عنه (تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ) أى يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام ومعنى يسلمون على هذا التأويل

ينقادون لأن فارس مجوس تقبل منهم الجزية وفى الآية دلالة صحة خلافة الشيخين حيث وعدهم الثواب على طاعة الداعى عند دعوته بقوله (فَإِن تُطِيعُوا) من دعاكم إلى قتاله (يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا) فوجب أن يكون الداعى مفترض الطاعة (وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ) أى عن الحديبية (يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) فى الآخرة (لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) نفى الحرج عن ذوى العاهات فى التخلف عن الغزو (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فى الجهاد وغير ذلك (يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ) يعرض عن الطاعة (يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا) ندخله ونعذبه مدنى وشامى (لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) هى بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها أن النبى ﷺ حين نزل بالحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعى رسولا إلى مكة فهموا به فمنعه الأحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال إنى أخافهم على نفسى لما عرف من عداوتى إياهم فبعث عثمان بن عفان نخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائرا للبيت فوقروه واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله ﷺ لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت سمرة وكان عدد المبايعين ألفا وأربعمائة (فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ) من الإخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه (فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ) أى الطمأنينة والأمن بسبب الصلح على قلوبهم (وَأَثَابَهُمْ) وجازاهم (فَتْحًا قَرِيبًا) هو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة (وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا) هى مغانم خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسمها عليهم (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا) منيعا فلا يغالب (حَكِيمًا) فيما يحكم فلا يعارض (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا) هى ما أصابوه مع النبى ﷺ وبعده إلى يوم القيامة (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ) المغانم يعنى مغانم خيبر (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ) يعنى أيدى أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاءوا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فانصرفوا وقيل أيدى أهل مكة بالصلح (وَلِتَكُونَ) هذه الكفة (آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) وعبرة يعرفون بها أنهم من الله عز وجل بمكان وأنه ضامن نصرتهم والفتح عليهم فعل ذلك (وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا) ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله (وَأُخْرَىٰ) معطوفة على هذه أى فعجل

لـكم هذه المغانم ومغانم أخرى هى مغانم هوازن فى غزوة حنين (لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) لما كان فيها من الجولة (قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا) أى قدر عليها واستولى وأظهركم عليها ويجوز فى أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما لم تقدروا عليها فصفة لأخرى والرفع على الابتداء لـكونها موصوفة بلم تقدروا، وقدأحاط الله بها خبر المبتدأ (وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً) قادرا (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة ولم يصالحوا أو من حلفاء أهل خيبر (لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ) لغلبوا وانهزموا (ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا) يلى أمرهم (وَلاَ نَصِيراً) ينصرهم (سُنَّةَ اللهِ) فى موضع المصدر المؤكد أى سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله لأغلبن أنا ورسلى (الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا) تغييرا (وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ) أى أيدى أهل مكة (وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم) عن أهل مكة يعنى قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعدما خولـكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رضى الله عنه على أن مكةفتحت عنوة لاصلحا وقيل كان فى غزوة الحديبية لما روى أن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة فبعث رسول الله ﷺ من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضى الله عنهماأظهرالمسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت (بِبَطْنِ مَكَّةَ) أى بمكة أوبالحديبية لأن بعضها منسوب إلى الحرم (مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) أى أقدركم وسلطـكم (وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) وبالياء أبو عمرو (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ) هو ما يهدى إلى الـكعبة ونصبه عطفا على كم فى صدوكم أى وصدوا الهدى (مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ) محبوساأن يبلغ، ومعكوفاحال. وكان عليه السلام ساق سبعين بدنة (مَحِلَّهُ) مكانه الذى يحل فيه نحره أى يجب وهـذا دليل على أن المحصر محل هديه الحرم والمراد المحل المعهود وهو منى (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ) بمكة (لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ) صفة للرجال والنساء جميعا (أَن تَطَئُوهُمْ) بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب فى تعلموهم (فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ) إثم وشدة وهى مفعلة من عره بمعنى عراه

إذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وهو الكفارة إذا قتله خطأ وسوء قالة المشركين أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والإثم إذا قصر (بِغَيْرِ عِلْمٍ) متعلق بأن تطئوهم يعنى أن تطئوهم غير عالمين بهم والوطء عبارة عن الإيقاع والإبادة والمعنى أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم فقيل ولولا كراهة أن تهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهرانى المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقه لما كف أيديكم عنهم وقوله (لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ) تعليل لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الأيدى عن أهل مكة والمنع عن قتلهم صونا لمن بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال: كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله فى رحمته أى فى توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم أو ليدخل فى الإسلام من رغب فيه من مشركيهم (لَوْ تَزَيَّلُوا) لو تفرقوا وتميز المسلمون من الكافرين وجواب لولا محذوف أغنى عنه جواب لو ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما إلى معنى واحد ويكون (لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا) هو الجواب تقديره ولولا أن تطئوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين لعذبناهم بالسيف (مِنْهُمْ) من أهل مكة (عَذَابًا أَلِيمًا) والعامل فى (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى قريش لعذبنا أى لعذبناهم فى ذلك الوقت أواذكر (فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) المراد بحمية الذين كفروا وهى الأنفة وسكينة المؤمنين وهى الوقار ما روى أن رسول الله ﷺ لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص على أن يعرضوا على النبى ﷺ أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله ﷺ أهل مكة. فقالوا لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه السلام: اكتب ما يريدون فأنا أشهد أنى رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون أن يأبوا ذلك ويشمئزوا منه

فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ) الجمهور على أنها كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن الرحيم والإضافة إلى التقوى باعتبار أنها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى (وَكَانُوا) أى المؤمنون (أَحَقَّ بِهَا) من غيرهم (وَأَهْلَهَا) بتأهيل الله إياهم (وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) فيجرى الأمور على مصالحها (لَّقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا) أى صدقه فى رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله: صدقوا ما عاهدوا الله عليه . روى أن رسول الله ﷺ رأى قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوها فى عامهم وقالوا : إن رؤيا رسول الله ﷺ حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبىّ وغيره والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت (بِالْحَقِّ) متعلق بصدق أى صدقه فيما رأى وفى كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق أى بالحكمة البالغة وذلك مافيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين من فى قلبه مرض ويجوز أن يكون بالحق قسما إما بالحق الذى هو نقيض الباطل أو بالحق الذى هو من أسمائه، وجوابه (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) وعلى الأول هو جواب قسم محذوف (إِن شَاءَ اللهُ) حكاية من الله تعالى ما قال رسوله لأصحابه وقص عليهم أو تعليم لعباده أن يقولوا فى عداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته (ءَامِنِينَ) حال والشرط معترض (مُحَلِّقِينَ) حال من الضمير فى آمنين (رُءُوسَكُمْ) أى جميع شعورها (وَمُقَصِّرِينَ) بعض شعورها (لَا تَخَافُونَ) حال مؤكدة (فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا) من الحكمة فى تأخير فتح مكة إلى العام القابل (فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ) أى من دون فتح مكة (فَتْحًا قَرِيباً) وهو فتح خيبر ليستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ) بالتوحيد (وَدِينِ الْحَقِّ) أى الإسلام (لِيُظْهِرَهُ) ليعليه (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) على جنس الدين يريد الأديان المختلفة من أديان المشركين وأهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فإنك لا ترى دينا قط إلا وللإسلام دونه العزة والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبق على وجه الأرض كافر وقيل هو إظهاره بالحجج والآيات (وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا) على أن ما وعده كائن ، وعن الحسن شهد على نفسه أنه سيظهر دينه والتقدير وكفاه الله شهيدا .

وشهيدا تمييز أو حال (مُّحَمَّدٌ) خبر مبتدأ أى هو محمد لتقدم قوله هو الذى أرسل رسوله أو مبتدأ خبره (رَّسُولُ اللهِ) وقف عليه نصير (وَالَّذِينَ مَعَهُ) أى أصحابه مبتدأ والخبر (أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ) أو محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف على المبتدأ وأشداء خبر عن الجميع ومعناه غلاظ (رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ) متعاطفون وهو خبر ثان وهما جمعا شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وبلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه وعانقه (تَرَاهُمْ رُكَّعًا) راكعين (سُجَّدًا) ساجدين (يَبْتَغُونَ) حال كما أن ركعا وسجدا كذلك (فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ) علامتهم (فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ) أى من التأثير الذى يؤثره السجود وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل لقوله عليه السلام: من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذَٰلِكَ) أى المذكور (مَثَلُهُمْ) صفتهم (فِي التَّوْرَاةِ) وعليه وقف (وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ) مبتدأ خبره (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) فراخه يقال أشطأ الزرع إذا فرخ (فَآزَرَهُ) قواه، فأزره شامى (فَاسْتَغْلَظَ) فصار من الرقة إلى الغلظ (فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ) فاستقام على قصبه جمع ساق (يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ) يتعجبون من قوته وقيل مكتوب فى الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وعن عكرمة أخرج شطأه بأبى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى رضوان الله عليهم وهذا مثل ضربه الله تعالى لبدء الإسلام وترقيه فى الزيادة إلى أن قوى واستحكم لأن النبى ﷺ قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع (لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) تعليل لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم فى الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد لهم فى الآخرة مع ما يعزهم به فى الدنيا غاظهم ذلك ومن فى منهم للبيان كما فى قوله: فاجتنبوا الرجس من الأوثان يعنى فاجتنبوا الرجس الذى هو الأوثان، وقولك أنفق من الدراهم أى اجعل نفقتك هذا الجنس

وهذه الآية ترد قول الروافض إنهم كفروا بعد وفاة النبي ﷺ إذ الوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم إنما يكون أن لو ثبتوا على ما كانوا عليه في حياته .

﴿ سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا) قدّمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه إذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه وحذف المفعول ليتناول كل ما وقع في النفس مما يقدم من القول أو الفعل وجاز أن لا يقصد مفعول والنهي متوجه إلى نفس التقدمة كقوله هو الذي يحيي ويميت أو هو من قدّم بمعنى تقدم كوجه بمعنى توجه ومنه مقدمة الجيش وهي الجماعة المتقدمة منه ويؤيده قراءة يعقوب لاتقدّموا بحذف إحدى تاءى تتقدموا (بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ) حقيقة قولهم جلست بين يدى فلان أن تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره إذا جاوره وفي هذه العبارة ضرب من المجاز الذي يسمى تمثيلا وفيه فائدة جليلة وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة ويجوز أن يجرى مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله أي سرني حسن حال زيد فكذلك هنا المعنى بين يدى رسول الله ﷺ وفائدة هذا الأسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله ﷺ من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك به هذا المسلك وفي هذا تمهيد لما نقم منهم من رفع أصواتهم فوق صوته عليه السلام لأن من فضله الله بهذه الأثرة واختصه هذا الاختصاص كان أدنى ما يجب له من التهيب والإجلال أن يخفض بين يديه الصوت وعن الحسن أن إناسا ذبحوا يوم الأضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم رسول الله ﷺ أن يعيدوا ذبحا آخر وعن عائشة رضى الله عنها أنها نزلت في النهي عن صوم يوم الشك (وَاتَّقُوا اللهَ) فإنكم إن اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها (إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ) لما تقولون (عَلِيمٌ) بما تعملون وحق مثله أن يتقى (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتحريك

منهم لئلا يغفلوا عن تأملهم (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) أى إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذى يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته لديكم واضحة (وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) أى إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن تتعمدوا فى مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذى يضاد الجهر أولا تقولوا: له يامحمد ياأحمد وخاطبوه بالنبوة والسكينة والتعظيم ولما نزلت هذه الآية ما كلم النبى ﷺ أبو بكر وعمر إلا كأخى السرار وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى أذنه وقر وكان جهورى الصوت وكان إذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم النبى ﷺ فيتأذى بصوته، وكاف التشبيه فى محل النصب أى لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفى هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالمخافتة وإنما نهوا عن جهر مخصوص أعنى الجهر المنعوت بمماثلة ماقد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها (أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ) منصوب الموضع على أنه المفعول له متعلق بمعنى النهى والمعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط أعمالكم أى لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف (وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ) تم اسم إن عند قوله رسول الله والمعنى يخفضون أصواتهم فى مجلسه تعظيما له (أُولَئِكَ) مبتدأ خبره (الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى) وتم صلة الذين عند قوله للتقوى وأولئك مع خبره خبر إن والمعنى أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه إذا أذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وحقيقته عاملها معاملة المختبر فوجدها مخلصة * وعن عمر رضى الله عنه أذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) جملة أخرى قيل نزلت فى الشيخين رضى الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت وهذه الآية بنظمها الذى رتبت عليه من إيقاع الغاضين أصواتهم اسما لإن المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر

معرفتين معا والمبتدأ اسم الإشارة واستئناف الجملة المستودعة ماهو جزاؤهم على عملهم وإيراد الجزاء نكرة مبهما أمره ــ دالة على غاية الاعتداد والارتضاء بفعل الخافضين أصواتهم وفيها تعريض لعظيم ماارتكب الرافعون أصواتهم(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَاتِ) نزلت فى وفد بنى تميم أتو رسول الله ﷺ وقت الظهيرة وهو راقد وفيهم الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ونادوا النبي ﷺ من وراء حجراته وقالوا اخرج إلينا يامحمد فإن مدحنا زين وذمنا شين فاستيقظ وخرج والوراء الجهة التى يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام ومن لابتداء الغاية وأن المناداة نشأت من ذلك المكان والحجرة الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها وهى فعلة بمعنى مفعولة كالقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم وهى قراءة يزيد والمراد حجرات نساء رسول الله ﷺ وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها لعلهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له أو نادوه من وراء الحجرة التى كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت إجلالا لرسول الله ﷺ والفعل وإن كان مسندا إلى جميعهم فإنه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعا (أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) يحتمل أن يكون فيهم من قصد استثناؤه ويحتمل أن يكون المراد النفى العام إذ القلة تقع موقع النفى وورود الآية على النمط الذى وردت عليه فيه مالا يخفى من إجلال محل رسول الله ﷺ منها التسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل ومنها إيقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها التعريف باللام دون الإضافة ولو تأمل متأمل من أول السورة إلى آخر هذه الآية لوجدها كذلك فتأمل كيف ابتدأ بإيجاب أن تكون الأمور التى تنتمى إلى الله ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير تقييد ثم أردف ذلك النهى عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الأول بساط للثانى ثم أثنى على الغاضين أصواتهم ليدل على عظيم موقعه عند الله ثم عقبه بماهو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول الله ﷺ فى حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما جسروا عليه لأن من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر الذى بلغ فى التفاحش مبلغا (وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا) أى ولو ثبت صبرهم، ومحل أنهم صبروا الرفع على الفاعلية والصبر حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها قال الله تعالى: واصبر نفسك

مع الذين يدعون ربهم. وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وقيل الصبر مرّ لايتجرعه إلا حرّ وقوله (حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ) يفيد أنه لو خرج ولم يكن خروجه إليهم ولأجلهم للزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أن خروجه إليهم (لَكَانَ) الصبر (خَيْرًا لَّهُمْ) فى دينهم (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء إن تابوا وأنابوا (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ) أجمعوا أنها نزلت فى الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول الله ﷺ مصدقا إلى بنى المصطلق وكانت بينه وبينهم إحنة فى الجاهلية فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين إليه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله ﷺ قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فبعث خالد بن الوليد فوجدهم يصلون فسلموا إليه الصدقات فرجع وفى تنكير الفاسق والنبأ شياع فى الفساق والأنباء كأنه قال أى فاسق جاءكم بأى نبأ (فَتَبَيَّنُوٓا۟) فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لأن من لايتحامى جنس الفسوق لايتحامى الكذب الذى هو نوع منه وفى الآية دلالة قبول خبر الواحد العدل لأنا لو توقفنا فى خبره لسوينا بينه وبين الفاسق ولخلا التخصيص به عن الفائدة، والفسوق الخروج من الشىء يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة إذا كسرتها وأخرجت ما فيها ومن مقلوبه أيضا قفست الشىء إذا أخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل فى الخروج عن القصد بركوب الكبائر حمزة وعلى فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف (أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا) لئلا تصيبوا (بِجَهَـٰلَةٍ) حال يعنى جاهلين بحقيقة الأمر وكنه القصة (فَتُصْبِحُوا۟) فتصيروا (عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ) الندم ضرب من الغم وهو أن تغتم على ماوقع منك تتمنى أنه لم يقع وهو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام (وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ) فلا تكذبوا فإن الله يخبره فينهتك ستر الكاذب أو فارجعوا إليه واطلبوا رأيه ثم قال مستأنفا (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) لوقعتم فى الجهد والهلاك وهذا يدل على أن بعض المؤمنين زينوا لرسول الله ﷺ الإيقاع ببنى المصطلق وتصديق قول الوليد وأن بعضهم كانوا يتصوّنون ويزعهم جدهم فى التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله (وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ) وقيل هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ولما كانت

صفة الذين حبب الله إليهم الإيمان غايرت صفة المتقدم ذكرهم وقعت لكن فى حاق موقعها من الاستدراك وهو مخالفة مابعدها لما قبلها نفيا وإثباتا (وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ) وهو تغطية نعم الله وغمطها بالجحود (وَالْفُسُوقَ) وهو الخروج عن محجة الإيمان بركوب الكبائر (وَالْعِصْيَانَ) وهو ترك الانقياد بما أمر به الشارع (أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) أى أولئك المستثنون هم الراشدون يعنى أصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة، والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهى الصخرة (فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً) الفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام والانتصاب على المفعول له أى حبب وكره للفضل والنعمة (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بأحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حَكِيمٌ) حين يفضل وينعم بالتوفيق على الأفاضل (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) وقف رسول الله ﷺ على مجلس بعض الأنصار وهو على حمار فبال الحمار فأمسك ابن أبى بأنفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله إن بول حماره لأطيب من مسكك ومضى رسول الله ﷺ وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوما هما وهما الأوس والخزرج فتجالدوا بالعصى وقيل بالأيدى والنعال والسعف فرجع إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم ونزلت. وجمع اقتتلوا حملا على المعنى لأن الطائفتين فى معنى القوم والناس وثنى فى فأصلحوا بينهما نظرا إلى اللفظ (فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ) البغى الاستطالة والظلم وإباء الصلح (فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ) أى ترجع والفىء الرجوع وقد سمى به الظل والغنيمة لأن الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار إلى المسلمين وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ماقاتلت فإذا كفت وقبضت عن الحرب أيديها تركت (إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ) المذكور فى كتابه من الصلح وزوال الشحناء (فَإِن فَاءَتْ) عن البغى إلى أمر الله (فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ) بالإنصاف (وَأَقْسِطُوا) واعدلوا وهو أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ماأمر به فى إصلاح ذات البين (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) العادلين والقسط: الجور، والقسط: العدل، والفعل منه أقسط وهمزته للسلب أى أزال القسط وهو الجور (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) هذا تقرير لما ألزمه من تولى الإصلاح

بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن الإيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما إن لم يفضل الإخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على أنه إذا نشب مثل ذلك بين الأخوين ولادا لزم السائر أن يتناهضوا فى رفعه وإزاحته بالصلح بينهما فالإخوة فى الدين أحق بذلك، إخوتكم يعقوب (وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أى واتقوا الله فالتقوى تحملكم على التواصل والائتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله إليكم مرجوا والآية تدل على أن البغى لا يزيل اسم الإيمان لأنه سماهم مؤمنين مع وجود البغى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ) القوم: الرجال خاصة لأنهم القوام بأمور النساء قال الله تعالى: الرجال قوامون على النساء وهو فى الأصل جمع قائم كصوم وزور فى جمع صائم وزائر واختصاص القوم بالرجال صريح فى الآية إذ لو كانت النساء داخلة فى قوم لم يقل ولا نساء وحقق ذلك زهير فى قوله :

وما أدرى ولست إخال أدرى أقوم آل حصن أم نساء

وأما قولهم فى قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والإناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث لأنهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وأن يقصد إفادة الشياع وإن يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وإنما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد إعلاما بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشأن الذى كانوا عليه، وقوله: عسى أن يكونوا خيرا منهم. كلام مستأنف ورد مورد جواب المستخبر عن علة النهى وإلا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل واحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر إذ لا اطلاع للناس إلا على الظواهر ولا علم لهم بالسرائر والذى يزن عند الله خلوص الضمائر فينبغى أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذا رآه رث الحال أو ذا عاهة فى بدنه أو غير لبيق فى محادثته فلعله أخلص ضميرا وأتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى، وعن ابن مسعود رضى الله عنه البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن

أحول كلبا (وَلَا تَلْمِزُوٓا أَنفُسَكُمْ) ولا تطعنوا أهل دينكم واللمز: الطعن والضرب باللسان ولا تلمُزوا يعقوب وسهل والمؤمنون كنفس واحدة فإذا عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ماتلمزون به لأن من فعل مااستحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَـٰبِ) التنابز بالألقاب التداعى بها والنبز لقب السوء والتلقيب المنهى عنه هو مايتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذماله فأما مايحبه فلا بأس به وروى أن قوما من بنى تميم استهزءوا ببلال وخباب وعمار وصهيب فنزلت. وعن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة وكانت قصيرة ، وعن أنس رضى الله عنه عيرت نساء النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر وروى أنها نزلت فى ثابت بن قيس وكان به وقر فكانوا يوسعون له فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فأتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد أما كان يعير بها فى الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لاأفخر على أحد فى الحسب بعدها أبدا (بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَـٰنِ) الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم أو باللؤم وحقيقته ماسما من ذكره وارتفع بين الناس كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم أن يذكروا بالفسق وقوله بعد الإيمان استقباح للجمع بين الإيمان وبين الفسق الذى يحظره الإيمان كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة وقيل كان فى شتائمهم لمن أسلم من اليهود يايهودى يافاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد إيمانه (وَمَن لَّمْ يَتُبْ) عما نهى عنه (فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ الظَّـٰلِمُونَ) وحد وجمع للفظ من ومعناه (يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ) يقال جنبه الشر إذا أبعده عنه وحقيقته جعله فى جانب فيعدى إلى مفعولين قال الله تعالى: واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام. ومطاوعه اجتنب الشر فنقص مفعولا والمأمور باجتنابه بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى إلى قوله (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) قال الزجاج هو ظنك بأهل الخير سوأ فأما أهل الفسق فلنا أن نظن فيهم مثل الذى ظهر منهم أو معناه اجتنابا كثيرا أواحترزوا من الكثير ليقع التحرز عن البعض، والإثم: الذنب الذى يستحق

صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الأثام فعال منه كالنكال والعذاب (وَلَا تَجَسَّسُوا) أى لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم يقال تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله وقال سهل: لا تبحثوا عن طلب معايب ما ستره الله على عباده (وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا) الغيبة الذكر بالعيب فى ظهر الغيب وهى من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وفى الحديث هو أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فهو غيبة وإلا فهو بهتان وعن ابن عباس الغيبة إدام كلاب الناس (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا) ميِّتا مدنى وهذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه وفيه مبالغات منها الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ما هو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخا ومنها أن لم يقتصر على لحم الأخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك وهو حى، وانتصب ميتا على الحال من اللحم أو من أخيه ولما قررهم بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله (فَكَرِهْتُمُوهُ) أى فتحققت كراهتكم له باستقامة العقل فليتحقق أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة باستقامة الدين (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) التواب: البليغ فى قبول التوبة، والمعنى واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فإنكم إن اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم بثواب المتقين التائبين وروى أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوى لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه إلى رسول الله ﷺ يبغى لهما إداما وكان أسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما عندى شىء فأخبرهما سلمان فقالا : لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها فلما جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما: مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما . فقالا: ما تناولنا لحما، قال : إنكما قد اغتبتما ومن اغتاب مسلما فقد أكل لحمه. ثم قرأ الآية، وقيل غيبة الخلق إنما تكون من الغيبة عن الحق (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ) من آدم وحواء أو كل واحد منكم من أب وأم فما منكم من أحد إلا وهو يدلى بمثل ما يدلى به

الآخر سواء بسواء فلا معنى للتفاخر والتفاضل فى النسب (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ) الشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الأفخاذ والفخذ تجمع الفصائل ، خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها (لِتَعَارَفُوا) أى إنما رتبكم على شعوب وقبائل ليعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزى إلى غير آبائه لاأن تتفاخروا بالآباء والأجداد وتدعوا التفاضل فى الأنساب ثم بين الخصلة التى يفضل بها الإنسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) فى الحديث: من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى. وروى أنه صلى الله عليه وسلم طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحمد لله الذى أذهب عنكم عُبية الجاهلية وتكبرها ياأيها الناس إنما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله. ثم قرأ الآية، وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول من اشترانى فعلى شرط أن لا يمنعنى من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه بعضهم فمرض فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفى فحضر دفنه فقالوا فى ذلك شيئا فنزلت (إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ) كرم القلوب وتقواها (خَبِيرٌ) بهم النفوس فى هواها (قَالَتِ الْأَعْرَابُ) أى بعض الأعراب لأن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر وهم أعراب بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدبة فأظهروا الشهادة يريدون الصدقة ويمنون عليه (ءَامَنَّا) أى ظاهرا وباطنا (قُل) لهم يامحمد (لَّمْ تُؤْمِنُوا) لم تصدقوا بقلوبكم (وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا) فالإيمان هو التصديق والإسلام الدخول فى السلم والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين بإظهار الشهادتين ألا ترى إلى قوله (وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ) فاعلم أن ما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو إيمان وهذا من حيث اللغة وأما فى الشرع فالإيمان والإسلام واحد لما عرف، وفى لما معنى التوقع وهو دال على أن بعض

هؤلاء قد آمنوا فيما بعد والآية تنقض على الكرامية مذهبهم أن الإيمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان، فإن قلت مقتضى نظم الكلام أن يقال قل لاتقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم قلت أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا فقيل قل لم تؤمنوا مع أدب حسن فلم يقل كذبتم تصريحا ووضع لم تؤمنوا الذى هو نفى ماادعوا إثباته موضعه واستغنى بقوله لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهى عن القول بالإيمان ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غيرمعتد به وليس قوله ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم تكريرا لمعنى قوله لم تؤمنوا فإن فائدة قوله لم تؤمنوا تكذيب لدعواهم وقوله ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير فى قولوا (وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فى السر بترك النفاق (لَا يَلِتْكُم) لا يألتكم بصرى (مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا) أى لا ينقصكم من ثواب حسناتكم شيئاً ألت يألت وألات يليت ولات يليت بمعنى وهو النقص (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) بستر الذنوب (رَّحِيمٌ) بهدايتهم للتوبة عن العيوب ثم وصف المؤمنين المخلصين فقال (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه فى الشك مع التهمة والمعنى أنهم آمنوا ثم لم يقع فى نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لما صدقوه ولما كان الإيقان وزوال الريب ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيها على مكانه وعطف على الإيمان بكلمة التراخى إشعارا باستقراره فى الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا (وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ) يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد مبالغة فى جهد ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو صنيع عثمان فى جيش العسرة وأن يتناول الزكاة وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر وخبر المبتدأ الذى هو المؤمنون (أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) أى الذين صدقوا فى قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بنى أسد أو هم الذين إيمانهم إيمان صدق وحق وقوله الذين آمنوا صفة لهم ولما نزلت هذه الآية جاءوا وحلفوا أنهم مخلصون

فنزل (قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ) أى أتخبرونه بتصديق قلوبكم (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) من النفاق والاخلاص وغير ذلك (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ) أى بأن (أَسْلَمُوا) يعنى بإسلامهم والمن ذكر الأيادى تعريضا للشكر (قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ) أى المنة لله عليكم (أَنْ هَدَاكُمْ) بأن هداكم أو لأن (لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) إن صح زعمكم وصدقت دعواكم إلا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره إن كنتم صادقين فى ادعائكم الإيمان بالله فلله المنة عليكم وقرئ إن هداكم (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) وبالياء مكى وهذا بيان لكونهم غير صادقين فى دعواهم يعنى أنه تعالى يعلم كل مستتر فى العالم ويبصر كل عمل تعملونه فى سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وهو علام الغيوب .

﴿ سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الكلام فى (قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا) كالكلام فى ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما فى أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وقوله بل عجبوا أى كفار مكة (أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ) أى محمد ﷺ إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا عدالته وأمانته ومن كان كذلك لم يكن إلا ناصحا لقومه خائفا أن ينالهم مكروه وإذا علم أن مخوفا أظلهم لزمه أن ينذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف وإنكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والأرض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وإقرارهم بالنشأة الأولى مع شهادة العقل بأنه لابد من الجزاء ثم عول على أحد الإنكارين بقوله (فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا) دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل فى الاستبعاد وأحق بالإنكار

ووضع الـكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم فى قولهم هذا مقدمون على الـكفر العظيم وهذا إشارة إلى الرجع وإذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع. مِتنا نافع وعلى وحمزة وحفص (ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد أى بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لإنكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف على ترابا على هذا حسن وناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع مادل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ) رد لاستبعادهم الرجع لأن من لطف علمه حتى علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا (وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ) محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ) إضراب أتبع الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاءوا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذى هو النبوة الثابتة بالمعجزات فى أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر (فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ) مضطرب يقال مرج الخاتم فى الإصبع إذا اضطرب من سعته فيقولون تارة شاعر وطورا ساحر ومرة كاهن لا يثبتون على شىء واحد وقيل الحق القرآن وقيل الإخبار بالبعث ثم دلهم على قدرته على البعث فقال (أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا) حين كفروا بالبعث (إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ) إلى آثار قدرة الله تعالى فى خلق العالم (كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا) رفعناها بغير عمد (وَزَيَّنَّٰهَا) بالنيرات (وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ) من فتوق وشقوق أى أنها سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا) دحوناها (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ) جبالا ثوابت لولا هى لمالت (وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ) صنف (بَهِيجٍ) يبتهج به لحسنه (تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ) لنبصر به ونذكر (لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ) راجع إلى ربه مفكر فى بدائع خلقه (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا) كثير المنافع (فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ) أى وحب الزرع الذى من شأنه أن يحصد كالحنطة والشعير وغيرهما (وَالنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ) طوالا فى السماء (لَّهَا طَلْعٌ) هو كل مايطلع من ثمر النخيل (نَّضِيدٌ) منضود بعضه فوق بعض لـكثرة الطلع وتراكمه أو لـكثرة ما فيه من الثمر (رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ) أى أنبتناها رزقا للعباد لأن الإنبات فى معنى الرزق

فيكون رزقا مصدرا من غير لفظه أوهو مفعول له أى أنبتناها لرزقهم (وَأَحْيَيْنَا بِهِ) بذلك الماء (بَلْدَةً مَّيْتاً) قدجف نباتها (كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ) أى كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم لأن إحياء الموات كإحياء الأموات والكاف فى محل الرفع على الابتداء (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ) قبل قريش (قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ) هو بئر لم تطو وهم قوم باليمامة وقيل أصحاب الأخدود (وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ) أراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملئهم لأن المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات (وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) سماهم إخوانه لأن بينهم وبينه نسبا قريبا (وَقَوْمُ تُبَّعٍ) هو ملك باليمن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه وسمى به لكثرة تبعه (كُلٌّ) أى كل واحد منهم (كَذَّبَ الرُّسُلَ) لأن من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميعهم (فَحَقَّ وَعِيدِ) فوجب وحل وعيدى وفيه تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد لهم (أَفَعَيِينَا) عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للإنكار (بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) أى أنا لم نعجز عن الخلق الأول فكيف نعجز عن الثانى والاعتراف بذلك اعتراف بالإعادة (بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ) فى خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم وذلك تسويله إليهم أن إحياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح وهو أن من قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر (مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) بعد الموت وإنما نكر الخلق الجديد ليدل على عظمة شأنه وأن حق من سمع به أن يخاف ويهتم به (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ) الوسوسة الصوت الخفى ووسوسة النفس ما يخطر ببال الإنسان ويهجس فى ضميره من حديث النفس والباء مثلها فى قوله صوت بكذا (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ) المراد قرب علمه منه (مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) هو مثل فى فرط القرب والوريد عرق فى باطن العنق والحبل العرق والإضافة للبيان كقولهم بعير سانية (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ) يعنى الملكين الحافظين (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) التلقى التلقن بالحفظ والكتابة والقعيد القاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك أحدهما لدلالة الثانى عليه كقوله :

رمانى بأمر كنت منه ووالدى بريئا ومن أجل الطوى رمانى

أى رمانى بأمر كنت منه بريئا وكان والدى منه بريئا وإذ منصوب بأقرب لما فيه من معنى يقرب والمعنى إنه لطيف يتوصل علمه إلى خطرات النفس ولا شىء أخفى منه وهو أقرب من الإنسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان مايتلفظ به إيذانا بأن استحفاظ الملكين أمر هو غنى عنه وكيف لايستغنى عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وإنما ذلك لحكمة وهو مافى كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم القيامة من زيادة لطف له فى الانتهاء عن السيئات والرغبة فى الحسنات (مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ) مايتكلم به وما يرمى به من فيه (إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ) حافظ (عَتِيدٌ) حاضر ثم قيل يكتبان كل شىء حتى أنينه فى مرضه وقيل لايكتبان إلا مافيه أجر أو وزر وقيل إن الملكين لايجتنبانه إلا عند الغائط والجماع. لما ذكر إنكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه أعلمهم أن ماأنكروه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضى وهو قوله (وَجَآءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ) أى شدته الذاهبة بالعقل ملتبسة (بِالْحَقِّ) أى بحقيقة الأمر أو بالحكمة (ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ) الإشارة إلى الموت والخطاب للإنسان فى قوله ولقد خلقنا الإنسان على طريق الالتفات (تَحِيدُ) تنفر وتهرب (وَنُفِخَ فِى الصُّورِ) يعنى نفخة البعث (ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ) أى وقت ذلك يوم الوعيد على حذف المضاف والإشارة إلى مصدر نفخ (وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ) أى ملكان أحدهما يسوقه إلى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالإضافة إلى ماهو فى حكم المعرفة (لَّقَدْ كُنتَ) أى يقال لها لقد كنت (فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا) النازل بك اليوم (فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ) أى فأزلنا غفلتك بما تشاهده (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لايبصر شيئا فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر مالم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الإبصار لغفلته حديدا لتيقظه (وَقَالَ قَرِينُهُ) الجمهور على أنه الملك الكاتب الشهيد عليه (هَٰذَا) أى ديوان عمله، مجاهد: شيطانه الذى قيض له فى قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين. هذا أى الذى وكلت به (مَا لَدَىَّ

عَتِيدٌ) هذا مبتدأ وما نكرة بمعنى شيء والظرف بعده وصف له وكذلك عتيد وما وصفتها خبر هذا والتقدير هذا شيء ثابت لدىّ عتيد ثم يقول الله تعالى (أَلْقِيَا) والخطاب للسائق والشهيد أوللمالك وكأن الأصل ألق ألق فناب ألقيا عن ألق ألق لأن الفاعل كالجزء من الفعل فكانت تثنية الفاعل نائبة عن تكرار الفعل وقيل أصله ألقين والألف بدل من النون إجراء للوصل مجرى الوقف دليله قراءة الحسن ألقين (فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ) بالنعم والمنعم (عَنِيدٍ) معاند مجانب للحق معاد لأهله (مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ) كثير المنع للمال عن حقوقه أو مناع لجنس الخير أن يصل إلى أهله (مُعْتَدٍ) ظالم متخط للحق (مُّرِيبٍ) شاك فى الله وفى دينه (الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ) مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره (فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ) أو بدل من كل كفار وفألقياه تكرير للتوكيد ولا يجوز أن يكون صفة لكفار لأن النكرة لاتوصف بالموصول (قَالَ قَرِينُهُ) أى شيطانه الذى قرن به وهو شاهد لمجاهد وإنما أخليت هذه الجملة عن الواو دون الأولى لأن الأولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها فى الحصول أعنى مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ماقال له وأما هذه فهى مستأنفة كماتستأنف الجمل الواقعة فىحكاية التقاول كما فىمقاولة موسى وفرعون فكأن الكافر قال رب هو أطغانى فقال قرينه (رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ) أى ما أوقعته فى الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى (قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا) هو استئناف مثل قوله تعالى قال قرينه كأن قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا (لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ) أى لا تختصموا فى دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة فى اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابى على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فما تركت لكم حجة علىّ والباء فى بالوعيد مزيدة كما فى قوله ولا تلقوا بأيديكم أو معدية على أن قدم مطاوع بمعنى تقدم (مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ) أى لا تطمعوا أن أبدل قولى ووعيدى بإدخال الكفار فى النار (وَمَا أَنَا بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ) فلا أعذب عبدا بغير ذنب وقال بظلام على لفظ المبالغة لأنه من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده (يَوْمَ) نصبه بظلام أو بمضمر هواذكر وأنذر (نقولُ) نافع وأبو بكر أى يقول الله (لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ) وهو مصدر كالمجيد أى أنها تقول بعد امتلائها هل من مزيد أى هل

تجى فى موضع لم يمتلئ يعنى قد امتلأت أو أنها تستزيد وفيها موضع للمزيد وهذا على تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كإنطاق الجوارح والسؤال لتوبيخ الكفرة لعلمه تعالى بأنها امتلأت أم لا (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ) غير نصب على الظرف أى مكانا غير بعيد أو على الحال وتذكيره لأنه على زنة المصدر كالصليل والمصادر يستوى فى الوصف بها المذكر والمؤنث أو على حذف الموصوف أى شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل (هَٰذَا) مبتدأ وهو إشارة إلى الثواب أو إلى مصدر أزلفت (مَا تُوعَدُونَ) صفته وبالياء مكى (لِكُلِّ أَوَّابٍ) رجاع إلى ذكر الله خبره (حَفِيظٍ) حافظ لحدوده جاء فى الحديث من حافظ على أربع ركعات فى أول النهار كان أوابا حفيظا (مَّنْ) مجرور المحل بدل من أواب أو رفع بالابتداء وخبره ادخلوها على تقدير يقال لهم ادخلوها بسلام لأن من فى معنى الجمع (خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ) الخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة وقرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشى وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنه خاش مع أن المخشى منه غائب (بِالْغَيْبِ) حال من المفعول أى خشيه وهو غائب أو صفة لمصدر خشى أى خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب. الحسن: إذا أغلق الباب وأرخى الستر (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ) راجع إلى الله وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ) أى سالمين من زوال النعم وحلول النقم (ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ) أى يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين أى مقدرين الخلود (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) على ما يشتهون والجمهور على أنه رؤية الله تعالى بلا كيف (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم) قبل قومك (مِّن قَرْنٍ) من القرون الذين كذبوا رسلهم (هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم) من قومك (بَطْشًا) قوة وسطوة (فَنَقَّبُوا) فخرقوا (فِي الْبِلَادِ) وطافوا والتنقيب التنقير عن الأمر والبحث والطلب ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم أشد منهم بطشا أى شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة فى أسفارهم ومسايرهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لأنفسهم ويدل عليه قراءة من قرأ فنقبوا على الأمر (هَلْ مِن مَّحِيصٍ) مهرب من الله أو من الموت (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَذِكْرَىٰ) تذكرة وموعظة (لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ) واع لأن من لا يعى قلبه فكأنه

لا قلب له (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ) أصغى إلى المواعظ (وَهُوَ شَهِيدٌ) حاضر بفطنته لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ) إعياء، قيل نزلت في اليهود ـ لعنت ـ تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا إن الذى وقع من التشبيه فى هذه الأمة إنما وقع من اليهود ومنهم أخذ وأنكر اليهود التربيع فى الجلوس وزعموا أنه جلس تلك الجلسة يوم السبت (فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) أى على مايقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه أو على ما يقول المشركون فى أمر البعث فإن من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منه (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره أوعلى الصلاة فالصلاة (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) الفجر (وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) الظهر والعصر (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) العشاءان أوالتهجد (وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) التسبيح فى آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات أو الوتر بعد العشاء والأدبار جمع دبر، وإدبار حجازى وحمزة وخلف من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم (وَاسْتَمِعْ) لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفى ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به وقد وقف يعقوب عليه وانتصب (يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ) بما دل عليه ذلك يوم الخروج أى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور وقيل تقديره واستمع حديث يوم ينادى المنادى. المنادى بالياء فى الحالين مكى وسهل ويعقوب وفى الوصل مدنى وأبو عمرو، وغيرهم بغير ياء فيهما والمنادى إسرافيل ينفخ فى الصور وينادى أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل إسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر (مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ) من صخرة بيت المقدس وهى أقرب من الأرض إلى السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط الأرض (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ) بدل من يوم ينادى . الصيحة النفخة الثانية (بِالْحَقِّ) متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء (ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ) من القبور (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي) الخلق (وَنُمِيتُ) أى نميتهم فى الدنيا (وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ) أى مصيرهم (يَوْمَ تَشَقَّقُ) خفيف كوفى وأبو عمرو وغيرهم بالتشديد (الْأَرْضُ عَنْهُمْ) أى تتصدع الأرض فتخرج

الموتى من صدوعها (سِرَاعًا) حال من المجرور أى مسرعين (ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص أى لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذى لا يشغله شأن عن شأن (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ) فيك وفينا تهديد لهم وتسلية لرسول الله ﷺ (وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ) كقوله بمسيطر أى ما أنت بمسلط عليهم إنما أنت داع وباعث وقيل هو من جبره على الأمر بمعنى أجبره أى ماأنت بوال عليهم تجبرهم على الإيمان (فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ) كقوله: إنما أنت منذر من يخشاها. لأنه لا ينفع إلا فيه والله أعلم .

﴿ سورة الذاريات مكية وهى ستون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالذَّٰرِيَٰتِ) الرياح لأنها تذرو التراب وغيره وبادغام التاء فى الذال حمزة وأبو عمرو (ذَرْوًا) مصدر والعامل فيه اسم الفاعل (فَالْحَٰمِلَٰتِ) السحاب لأنها تحمل المطر (وِقْرًا) مفعول الحاملات (فَالْجَٰرِيَٰتِ) الفلك (يُسْرًا) جريا ذا يسر أى ذا سهولة (فَالْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا) الملائكة لأنها تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك أو تتولى تقسيم أمر العباد فجبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الأرواح وإسرافيل للنفخ ويجوز أن يراد الرياح لا غير لأنها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجرى فى الجوّ جريا سهلا وتقسم الأمطار بتصريف السحاب ومعنى الفاء على الأول أنه أقسم بالرياح فبالسحاب التى تسوقه فبالفلك التى تجريها بهبوبها فبالملائكة التى تقسم الأرزاق بإذن الله من الأمطار وتجارات البحر ومنافعها وعلى الثانى أنها تبتدئ فى الهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجرى فى الجوّ باسطة له فتقسم المطر (إِنَّمَا تُوعَدُونَ) جواب القسم وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث (لَصَادِقٌ) وعد صادق كعيشة راضية أى ذات رضا (وَإِنَّ الدِّينَ) الجزاء على الأعمال (لَوَٰقِعٌ) لكائن (وَالسَّمَآءِ) هذا قسم آخر (ذَاتِ الْحُبُكِ) الطرائق الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق ويقال إن خلقة السماء

كذلك وعن الحسن حبكها نجومها جمع حباك (إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ) أى قولهم فى الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفى القرآن سحر وشعر وأساطير الأولين (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) الضمير للقرآن أو الرسول أى يصرف عنه من صرف، الصرف الذى لا صرف أشد منه وأعظم أويصرف عنه من صرف فى سابق علم الله أى علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لا يرعوى ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين، أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على أنهم فى قول مختلف فى وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هومأفوك (قُتِلَ) لعن وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن (الْخَرَّاصُونَ) الكذابون المقدرون مالايصح وهم أصحاب القول المختلف واللام إشارة إليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون (الَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ) فى جهل يغمرهم (سَاهُونَ) غافلون عما أمروا به (يَسْئَلُونَ) فيقولون (أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) أى متى يوم الجزاء وتقديره أيان وقوع يوم الدين لأنه إنما تقع الأحيان ظروفا للحدثان وانتصب اليوم الواقع فى الجواب بفعل مضمر دل عليه السؤال أى يقع (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) ويجوز أن يكون مفتوحا لإضافته إلى غير متمكن وهوالجملة ومحله نصب بالمضمر الذى هو يقع أو رفع على هو يوم هم على النار يفتنون يحرقون ويعذبون (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) أى تقول لهم خزنة النار ذوقوا عذابكم وإحراقكم بالنار (هَٰذَا) مبتدأ خبره (الَّذِى) أى هذا العذاب هو الذى (كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) فى الدنيا بقولكم فأتنا بما تعدنا ثم ذكر حال المؤمنين فقال (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ) أى وتكون العيون وهى الأنهار الجارية بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لا أنهم فيها (ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ) قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به وآخذين حال من الضمير فى الظرف وهو خبر إن (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ) قبل دخول الجنة فى الدنيا (مُحْسِنِينَ) قد أحسنوا أعمالهم وتفسير إحسانهم مابعده (كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) ينامون وما مزيدة للتوكيد ويهجعون خبر كان والمعنى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل أو مصدرية والتقدير كانوا قليلا من الليل هجوعهم فيرتفع هجوعهم لكونه بدلا من الواو فى كانوا لا بقليلا لأنه صار موصوفا بقوله من الليل

خرج من شبه الفعل وعمله باعتبار المشابهة أى كان هجوعهم قليلا من الليل ولا يجوز أن تـكون ما نافية على معنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين فإذا أسحروا أخذوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم، والسحر السدس الأخير من الليل (وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ) لمن يسأل لحاجته (وَالْمَحْرُومِ) أى الذى يتعرض ولا يسأل حياء (وَفِي الْأَرْضِ ءَايَٰتٌ) تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هى مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها وهى مجزأة فمن سهل ومن جبل وصلبة ورخوة وعذاة وسبخة وفيها عيون متفجرة ومعادن مفننة ودواب منبثة مختلفة الصور والأشكال متباينة الهيئات والأفعال (لِّلْمُوقِنِينَ) للموحدين الذين سلـكوا الطريق السوى البرهانى الموصّل إلى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا إيقانا على إيقانهم (وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ) فى حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال وفى بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الأذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وبالألسن والنطق ومخارج الحروف وما فى تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها دع الأسماع والأبصار والأطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى فى الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثنى فإنه إذا جسا منها شىء جاء العجز وإذا استرخى أناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين وما قيل إن التقدير أفلا تبصرون فى أنفسكم ضعيف لأنه يفضى إلى تقديم ما فى حيز الاستفهام على حرف الاستفهام (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) تنظرون نظر من يعتبر (وَفِي السَّمَآءِ رِزْقُكُمْ) أى المطر لأنه سبب الأقوات ، وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم ولـكنكم تحرمونه بخطاياكم (وَمَا تُوعَدُونَ) الجنة فهى على ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد أن ما ترزقونه فى الدنيا وما توعدونه فى العقبى كله مقدور مكتوب فى السماء (فَوَرَبِّ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ) الضمير يعود إلى الرزق أو إلى ما توعدون (مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ) بالرفع كوفى غير حفص صفة

للحق أى حق مثل نطقكم، وغيرهم بالنصب أى انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحا لإضافته إلى غير متمكن وما مزيدة وعن الأصمعى أنه قال أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابى على قعود فقال : من الرجل؟ فقلت : من بنى أصمع قال من أين أقبلت؟ قلت : من موضع يتلى فيه كلام الله ، قال : اتلو علىّ فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد وطفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بى بصوت رقيق فالتفت فإذا أنا بالأعرابى قد نحل واصفر فسلم علىّ واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والأرض إنه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى حلف قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه (هَلْ أَتَاكَ) تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله ﷺ وإنما عرفه بالوحى وانتظامها بما قبلها باعتبار أنه قال وفى الأرض آيات وقال فى آخر هذه القصة وتركنا فيها آية (حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ) الضيف للواحد والجماعة كالصوم والزور لأنه فى الأصل مصدر ضافه وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وجعلهم ضيفا لأنهم كانوا فى صورة الضيف حيث أضافهم ابراهيم أو لأنهم كانوا فى حسبانه كذلك (الْمُكْرَمِينَ) عند الله لقوله بل عباد مكرمون وقيل لأنه خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ) نصب بالمكرمين إذا فسر بإكرام ابراهيم لهم وإلا فبإضمار اذكر (فَقَالُوا سَلَامًا) مصدر سادٌّ مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما (قَالَ سَلَامٌ) أى عليكم سلام فهو مرفوع على الابتداء وخبره محذوف والعدول إلى الرفع للدلالة على إثبات السلام كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله وهذا أيضا من إكرامه لهم. حمزة وعلى: سلم والسلم السلام (قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) أى أنتم قوم منكرون فعرفونى من أنتم (فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ) فذهب إليهم فى خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفى أمره وأن يبادر بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه وكان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر (فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ) ليأكلوا

منه فلم يأكلوا (قَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ) أنكر عليهم ترك الأكل أوحثهم عليه (فَأَوْجَسَ) فأضمر (مِنْهُمْ خِيفَةً) خوفا لأن من لم يأكل طعامك لم يحفظ ذمامك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقع فى نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب (قَالُوا لَا تَخَفْ) إنا رسل الله وقيل مسح جبريل العجل فقام ولحق بأمه (وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) أى يبلغ ويعلم والمبشر به إسحق عند الجمهور (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ) فى صيحة من صر القلم والباب، قال الزجاج: الصرة شدة الصياح ههنا ومحله النصب على الحال أى فجاءت صارة وقيل فأخذت فى صياح وصرتها قولها يا ويلتا (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب (وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) أى أنا عجوز فكيف ألد كما قال فى موضع آخر أألدوأناعجوز وهذابعلى شيخا (قَالُوا كَذَٰلِكِ) مثل ذلك الذى قلنا وأخبرنا به (قَالَ رَبُّكِ) أى إنما نخبرك عن الله تعالى والله قادر على ماتستبعدين (إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ) فى فعله (الْعَلِيمُ) فلا يخفى عليه شيء وروى أن جبريل قال لها حين استبعدت انظرى إلى سقف بيتك فنظرت فإذا جذوعه مورقة مثمرة ولما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون إلا بأمر الله رسلا فى بعض الأمور (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ) أى فما شأنكم وما طلبتكم وفيم أرسلتم (أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ) أرسلتم بالبشارة خاصة أو لأمر آخر أولهما (قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ) أى قوم لوط (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ) أريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار فى صلابة الحجارة (مُّسَوَّمَةً) معلمة من السومة وهى العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به (عِندَ رَبِّكَ) فى ملكه وسلطانه (لِلْمُسْرِفِينَ) سماهم مسرفين كما سماهم عادين لإسرافهم وعدوانهم فى عملهم حيث لم يقتنعوا بما أبيح لهم (فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا) فى القرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يعنى لوطاومن آمن به (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ) أى غير أهل بيت وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد لأن الملائكة سموهم مؤمنين ومسلمين هنا (وَتَرَكْنَا فِيهَا) فى قراهم (ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قيل هى ماء أسود منتن (وَفِي مُوسَىٰ) معطوف على وفى

الأرض آيات أوعلى قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا فى موسى آية كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * (إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ) بحجة ظاهرة وهى اليد والعصا (فَتَوَلَّىٰ) فأعرض عن الإيمان (بِرُكْنِهِۦ) بما كان يتقوى به من جنوده وملكه والركن ما يركن إليه الإنسان من مال وجند (وَقَالَ سَٰحِرٌ) أى هو ساحر (أَوْ مَجْنُونٌ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ) آت بما يلام عليه من كفره وعناده وإنما وصف يونس عليه السلام به فى قوله فالتقمه الحوت وهو مليم لأن موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكفر ملوم على مقداره وراكب الكبيرة والصغيرة والذلة كذلك والجملة مع الواو حال من الضمير فى فأخذناه (وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ) هى التى لاخير فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر وهى ريح الهلاك واختلف فيها والأظهر أنها الدبور لقوله عليه السلام: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ) هو كل ما رم أى بلى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك والمعنى ما تترك من شىء هبت عليه من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم إلا أهلكته (وَفِى ثَمُودَ) آية أيضا (إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ) تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) فاستكبروا عن امتثاله (فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ) العذاب وكل عذاب مهلك صاعقة. الصعقة على وهى المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة (وَهُمْ يَنظُرُونَ) لأنها كانت نهارا يعاينونها (فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا مِن قِيَامٍ) أى هرب أو هو من قولهم ما يقوم به إذا عجز عن دفعه (وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ) ممتنعين من العذاب أو لم يمكنهم مقابلتنا بالعذاب لأن معنى الانتصار المقابلة (وَقَوْمَ نُوحٍ) أى وأهلكنا قوم نوح لأن ماقبله يدل عليه أو واذكر قوم نوح . وبالجر أبو عمرو وعلى وحمزة أى وفى قوم نوح آية ويؤيده قراءة عبد الله وفى قوم نوح (مِّن قَبْلُ) من قبل هؤلاء المذكورين (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ) كافرين (وَٱلسَّمَآءَ) نصب بفعل يفسره (بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ) بقوة والأيد القوة وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) لقادرون من الوسع وهى الطاقة والموسع القوى على الإنفاق أو لموسعون ما بين السماء والأرض (وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا) بسطناها ومهدناها وهى منصوبة بفعل مضمر

أى فرشنا الأرض فرشناها (فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ) نحن (وَمِن كُلِّ شَيْءٍ) من الحيوان (خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) ذكرا وأنثى وعن الحسن السماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) أى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه (فَفِرُّوا إِلَى اللهِ) أى من الشرك إلى الإيمان بالله أو من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن أو مما سواه إليه (إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) والتكرير للتوكيد والإطالة فى الوعيد أبلغ (كَذَٰلِكَ) الأمر مثل ذلك وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا أو مجنونا ثم فسر ما أجمل بقوله (مَآ أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم) من قبل قومك (مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا) هو (سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) رموهم بالسحر أوالجنون لجهلهم (أَتَوَاصَوْا بِهِ) الضمير للقول أى أتواصى الأولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) أى لم يتواصوا به لأنهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا عنادا (فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ) فلا لوم عليك فى إعراضك بعدما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة (وَذَكِّرْ) وعظ بالقرآن (فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) بأن تزيد فى عملهم[1] (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) العبادة إن حملت على حقيقتها فلا تكون الآية عامة بل المراد بها المؤمنون من الفريقين دليله السياق أعنى وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وقراءة ابن عباس رضى الله عنهما وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين وهذا لأنه لا يجوز أن يخلق الذين علم منهم أنهم لا يؤمنون للعبادة لأنه إذا خلقهم للعبادةوأراد منهم العبادة فلابد أن توجد منهم فإذا لم يؤمنوا علم أنه خلقهم لجهنم كما قال: ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس. وقيل إلا لآمرهم بالعبادة وهو منقول عن على رضى الله عنه وقيل إلا ليكونوا عبادا لى والوجه أن تحمل العبادة على التوحيد فقد قال ابن عباس

---

(١) فى نسخة: علمهم.

رضى الله عنهما كل عبادة فى القرآن فهى توحيد والكل يوحدونه فى الآخرة لما عرف أن الكفار كلهم مؤمنون موحدون فى الآخرة دليلة قوله: ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين . نعم قد أشرك البعض فى الدنيا لكن مدة الدنيا بالإضافة إلى الأبد أقل من يوم ومن اشترى غلاما وقال ما اشتريته إلا للكتابة كان صادقا فى قوله ما اشتريته إلا للكتابة وإن استعمله فى يوم من عمره لعمل آخر (مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ) ماخلقتهم ليرزقوا أنفسهم أو واحدا من عبادى (وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ) قال ثعلب أن يطعموا عبادى وهى إضافة تخصيص كقوله عليه السلام خبرا عن الله تعالى: من أكرم مؤمنا فقد أكرمنى ومن آذى مؤمنا فقد آذانى (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) الشديد القوة والمتين بالرفع صفة لذو وقرأ الأعمش بالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) رسول الله بالتكذيب من أهل مكة (ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ) نصيبا من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون المهلكة * قال الزجاج الذنوب فى اللغة النصيب (فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ) نزول العذاب وهذا جواب النضر وأصحابه حين استعجلوا العذاب (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِى يُوعَدُونَ) أى من يوم القيامة وقيل من يوم بدر. ليعبدونى، أن يطعمونى. فلا يستعجلونى بالياء فى الحالين يعقوب وافقه سهل فى الوصل. الباقون بغير ياء والله أعلم .

﴿ سورة الطور مكية وهى تسع وأربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالطُّورِ) هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى وهو بمدين (وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ) هو القرآن ونكر لأنه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب أو اللوح المحفوظ أو التوراة (فِى رَقٍّ) هو الصحيفة أو الجلد الذى يكتب فيه (مَّنشُورٍ) مفتوح لا ختم عليه أو لائح (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) أى الضراح وهو بيت فى السماء حيال الكعبة وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة روى أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ويخرجون ثم لا يعودون إليه أبدا

وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار (وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ) أى السماء أو العرش (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) المملوء أو الموقد والواو الأولى للقسم والبواقى للعطف وجواب القسم (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ) أى الذى أوعد الكفار به (لَوَاقِعٌ) لنازل قال جبير بن مطعم أتيت رسول الله ﷺ أكلمه فى الأسارى فلقيته فى صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ إن عذاب ربك لواقع أسلمت خوفا من أن ينزل العذاب (مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ) لا يمنعه مانع والجملة صفة لواقع أى واقع غير مدفوع والعامل فى يوم لواقع أى يقع فى ذلك اليوم أو اذكر (يَوْمَ تَمُورُ) تدور كالرحى مضطربة (السَّمَآءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) فى الهواء كالسحاب لأنها تصير هباء منثورا (فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ) غلب الخوض فى الاندفاع فى الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين ويبدل (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) من يوم تمور والدع الدفع العنيف وذلك أن خزنة النار يغلون أيديهم إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ويدفعونهم إلى النار دفعا على وجوههم وزخا فى أقفيتهم فيقال لهم (هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ) فى الدنيا (أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ) هذا مبتدأ وسحر خبره يعنى كنتم تقولون للوحى هذا سحر أفسحر هذا يريد أهذا المصداق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى (أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ) كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا يعنى أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم (اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوٓا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ) خبر سواء محذوف أى سواء عليكم الأمران الصبر وعدمه وقيل على العكس وعلل استواء الصبر وعدمه بقوله (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) لأن الصبر إنما يكون له مزية على الجزع لنفعه فى العاقبة بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخير فأما الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ) فى أية جنات (وَنَعِيمٍ) أى وأى نعيم بمعنى الكمال فى الصفة أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة (فَٰكِهِينَ) حال من الضمير فى الظرف والظرف خبر أى متلذذين (بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ) وعطف قوله (وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ) على فى جنات أى إن المتقين استقروا فى جنات ... ووقاهم ربهم أو على آتاهم ربهم على أن تجعل

ما مصدرية والمعنى فاكهين بإيتائهم ربهم ووقايتهم (عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ) أو الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم (كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) أكلا وشربا هنيئا أوطعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لاتنغيص فيه (مُتَّكِئِينَ) حال من الضمير فى كلوا واشربوا (عَلَىٰ سُرُرٍ) جمع سرير (مَّصْفُوفَةٍ) موصول بعضها ببعض (وَزَوَّجْنَٰهُم) وقرناهم (بِحُورٍ) جمع حوراء (عِينٍ) عظام الأعين حسانها (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا) مبتدأ والحقنا بهم خبره (وَٱتَّبَعَتْهُمْ) وأتبعناهم أبوعمرو (ذُرِّيَّتُهُم) أولادهم (بِإِيمَٰنٍ) حال من الفاعل (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) أى نلحق الأولاد بإيمانهم وأعمالهم درجات الآباء وإن قصرت أعمال الذرية عن أعمال الآباء وقيل إن الذرية وإن لم يبلغون مبلغا يكون منهم الإيمان استدلالا وإنما تلقنوا منهم تقليدا فهم يلحقون بالآباء . ذريتهم ذرياتهم مدنى ذرياتهم ذرياتهم أبو عمرو ذرياتهم ذرياتِهم شامى (وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ) وما نقصناهم من ثواب عملهم من شىء ألِتناهم مكى ألت يألِت ألِت يألَت لغتان من الأولى متعلقة بألتناهم والثانية زائدة (كُلُّ ٱمْرِىٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) أى مرهون فنفس المؤمن مرهونة بعمله وتجازى به (وَأَمْدَدْنَٰهُم) وزدناهم فى وقت بعد وقت (بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ) وإن لم يقترحوا (يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا) خمرا أى يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم يتناول هذا الكأس من يد هذا وهذا من يد هذا (لَّا لَغْوٌ فِيهَا) فى شربها (وَلَا تَأْثِيمٌ) أى لا يجرى بينهم ما يلغى يعنى لا يجرى بينهم باطل ولا ما فيه إثم لو فعله فاعل فى دار التكليف من الكذب والشتم ونحوهما كشاربى خمر الدنيا لأن عقولهم ثابتة فيتكلمون بالحكم والكلام الحسن لالغوَ فيها ولاتأثيمَ مكى وبصرى (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ) مملوكون لهم مخصوصون بهم (كَأَنَّهُمْ) من بياضهم وصفائهم (لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ) فى الصدف لأنه رطبا أحسن وأصفى أومخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالى القيمة فى الحديث: إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ) يسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله وما استحق به نيل ما عند الله (قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ) أى فى الدنيا (فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ) أرقاء القلوب من خشية الله أوخائفين

من نزع الإيمان وفوت الأمان أو من رد الحسنات والأخذ بالسيئات (فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا) بالمغفرة والرحمة (وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) هي الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لأنها بهذه الصفة (إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ) من قبل لقاء الله تعالى والمصير إليه يعنون في الدنيا (نَدْعُوهُ) نعبده ولا نعبد غيره ونسأله الوقاية (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ) المحسن (الرَّحِيمُ) العظيم الرحمة الذي إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب . أنه بالفتح مدني وعلي أي بأنه أو لأنه (فَذَكِّرْ) فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم (فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ) برحمة ربك وإنعامه عليك بالنبوة ورجاحة العقل (بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ) كما زعموا وهو في موضع الحال والتقدير لست كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك (أَمْ يَقُولُونَ) هو (شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) حوادث الدهر أي ننتظر نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة. وأم في أوائل هذه الآي منقطعة بمعنى بل والهمزة (قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم) عقولهم (بِهَٰذَآ) التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى (أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ) اختلقه محمد من تلقاء نفسه (بَل) رد عليهم أي ليس الأمر كما زعموا (لَّا يُؤْمِنُونَ) فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وأنه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد إلا واحد من العرب (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ) مختلق (مِّثْلِهِ) مثل القرآن (إِن كَانُوا صَادِقِينَ) في أن محمدا تقوله من تلقاء نفسه لأنه بلسانهم وهم فصحاء (أَمْ خُلِقُوا) أم أحدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم (مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ) من غير مقدر (أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) أم هم الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق وقيل أخلقوا من أجل لا شيء من جزاء ولا حساب أم هم الخالقون فلا يأتمرون (أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) فلا يعبدون خالقهما (بَل لَّا يُوقِنُونَ) أي لا يتدبرون في الآيات فيعلموا خالقهم وخالق السموات والأرض (أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ) من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاءوا بما شاءوا (أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ) الأرباب

الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الأمور على مشيئتهم. وبالسين مكى وشامى (أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ) منصوب يرتقون به إلى السماء (يَسْتَمِعُونَ فِيهِ) كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون قال الزجاج يستمعون فيه أى عليه (فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ) بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم (أَمْ لَهُ الْبَنَٰتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ) ثم سفه أحلامهم حيث اختاروا لله ما يكرهون وهم حكماء عند أنفسهم (أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً) على التبليغ والإنذار (فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ) المغرم أن يلتزم الإنسان ماليس عليه أى لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك فى اتباعك (أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ) أى اللوح المحفوظ (فَهُمْ يَكْتُبُونَ) مافيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لم نعذب (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا) وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله وبالمؤمنين (فَالَّذِينَ كَفَرُوا) إشارة إليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله تعالى (هُمُ الْمَكِيدُونَ) هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك أنهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته (أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ) يمنعهم من عذاب الله (سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَإِن يَرَوْا كِسْفاً مِّنَ السَّمَآءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ) والكسف القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب (مَّرْكُومٌ) قد ركم أى جمع بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب (فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ) بضم الياء عاصم وشامى الباقون بفتح الياء يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعق (يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) وإن لهؤلاء الظلمة (عَذَاباً دُونَ ذَٰلِكَ) دون يوم القيامة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك ثم أمره بالصبر إلى أن يقع بهم العذاب فقال (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) بإمهالهم وبما يلحقك فيه من المشقة (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) أى بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لأن الضمير بلفظ الجماعة ألا

ترى إلى قـــوله ولتصنع على عينى (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) للصلاة وهو ما يقال بعد التـكبير سبحانك اللهم وبحمدك أو من أى مكان قمت أو من منامك (وَمِنَ ٱلَّيْـلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ) وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل وأدبار زيد أى فى أعقاب النجوم وآثارها إذا غربت والمراد الأمر بقول سبحان الله وبحمده فى هذه الأوقات وقيل التسبيح الصلاة إذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاءين وإدبار النجوم صلاة الفجر وبالله التوفيق .

﴿ سورة النجم إثنتان وستون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالنَّجْمِ) أقسم بالثريا أوبجنس النجوم (إِذَا هَوَىٰ) إذا غرب أو انتثر يوم القيامة وجواب القسم (مَا ضَلَّ) عن قصد الحق (صَاحِبُكُمْ) أى محمد ﷺ والخطاب لقريش (وَمَا غَوَىٰ) فى اتباع الباطل وقيل الضلال نقيض الهدى والغى نقيض الرشد أى هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتـكم إياه إلى الضلال والغى (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه إنمــا هو وحى من عند الله يوحى إليه. ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للأنبياء عليهم السلام ويجاب بأن الله تعالى إذا سوغ لهم الاجتهاد وقررهم عليه كان كالوحى لا نطقا عن الهوى (عَلَّمَهُ) علم محمداً عليه السلام (شَدِيدُ الْقُوَىٰ) ملك شديد قواه والإضافة غير حقيقية لأنها إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها وهو جبريل عليه السلام عند الجمهور ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين (ذُو مِرَّةٍ) ذو منظر حسن عن ابن عباس (فَاسْتَوَىٰ) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى وكان ينزل فى صورة دحية وذلك أن رسول الله ﷺ أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها فاستوى له فى الأفق الأعلى وهو أفق الشمس فملأ الأفق وقيل ما رآه أحد من الأنبياء عليهم السلام فى صورته

الحقيقية سوى محمد ﷺ مرتين مرة فى الأرض ومرة فى السماء (وَهُوَ) أى جبريل عليه السلام (بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ) مطلع الشمس (ثُمَّ دَنَا) جبريل من رسول الله ﷺ (فَتَدَلَّىٰ) فزاد فى القرب، والتدلى هو النزول بقرب الشيء (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ) مقدار قوسين عربيتين وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع ومنه: لاصلاة إلى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين ، وفى الحديث: لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها. والقد السوط وتقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات (أَوْ أَدْنَىٰ) أى على تقديركم كقوله أو يزيدون وهذا لأنهم خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رمحين أو أنقص وقيل بل أدنى (فَأَوْحَىٰ) جبريل عليه السلام (إِلَىٰ عَبْدِهِ) إلى عبد الله وإن لم يجر لاسمه ذكر لأنه لا يلتبس كقوله ما ترك على ظهرها (مَآ أَوْحَىٰ) تفخيم للوحى الذى أوحى إليه قيل أوحى إليه إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ) فؤاد محمد (مَا رَأَىٰ) ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام أى ماقال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه يعنى أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك فى أن مارآه حق وقيل المرئى هو الله سبحانه، رآه بعين رأسه وقيل بقلبه (أَفَتُمَارُونَهُ) أفتجادلونه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه ، أفتمرونه حمزة وعلى وخلف ويعقوب أفتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة قال (عَلَىٰ مَا يَرَىٰ) فعدى بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه يقال مريته حقه إذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح إلا على مذهب التضمين (وَلَقَدْ رَءَاهُ) رأى محمد جبريل عليهما السلام (نَزْلَةً أُخْرَىٰ) مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها أى نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى فى صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج (عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ) الجمهور على أنها شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وآخرها ، وقيل لم يجاوزها أحد وإليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل

تنتهى إليها أرواح الشهداء (عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ) أى الجنة التي يصير إليها المتقون وقيل تأوى إليها أرواح الشهداء (إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ) أى رآه إذ يغشى السدرة مايغشى وهو تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى وجلاله أشياء لا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يغشاها فراش من ذهب (مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ) بصر رسول الله ﷺ ما عدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها (وَمَا طَغَىٰ) وما جاوز ما أمر برؤيته (لَقَدْ رَأَىٰ) والله لقد رأى (مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ) الآيات التى هى كبراها وعظماها يعنى حين رقى به إلى السماء فأرى عجائب الملكوت (أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ) أى أخبرونا عن هذه الأشياء التى تعبدونها من دون الله عز وجل هل لها من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة اللات والعزى ومناة أصنام لهم وهى مؤنثات. فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهى فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة، والعزى كانت لغطفان وهى ثمرة وأصلها تأنيث الأعز وقطعها خالد بن الوليد، ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها أى تراق ومناءة مكى مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها (ٱلْأُخْرَىٰٓ) هى صفة ذم أى المتأخرة الوضيعة القدار، كقوله وقالت: أخراهم لأولاهم أى وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون : إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات وكراهتهم لهن فقيل لهم (أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ) أى جعلكم لله البنات ولكم البنين قسمة ضيزى أى جائرة من ضازه يضيزه إذا ضامه وضيزى فعلى إذ لا فعلى فى النعوت فكسرت الضاد للياء كما قيل بيض وهو بوض مثل حمر وسود، ضئزى بالهمز مكى من ضأزه مثل ضازه (إِنْ هِيَ) ما الأصنام (إِلَّآ أَسْمَآءٌ) ليس تحتها فى الحقيقة مسميات لأنكم تدعون الإلهية لما هو أبعد شىء منها وأشد منافاة لها (سَمَّيْتُمُوهَآ) أى سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد (أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم

مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ) حجة (إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ) إلا توهم أن ماهم عليه حق (وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ) وماتشتهيه أنفسهم (وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ) الرسول والكتاب فتركوه ولم يعملوا به (أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ) هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي ليس للإنسان يعني الكافر ما تمنى من شفاعة الأصنام أو من قوله: ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى. وقيل هو تمنى بعضهم أن يكون هو النبي (فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَىٰ) أي هو مالكهما وله الحكم فيهما يعطي النبوة والشفاعة من شاء وارتضى لا من تمنى (وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ) يعني أن أمر الشفاعة ضيق فإن الملائكة مع قربتهم وكثرتهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تغن شفاعتهم شيئا قط ولا تنفع إلا إذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم فى الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لأن يشفع له فكيف تشفع الأصنام إليه لعبدتهم (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَٰئِكَةَ) أي كل واحد منهم (تَسْمِيَةَ الأُنثَىٰ) لأنهم إذا قالوا للملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الأنثى (وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ) أي بمايقولون وقرئ بها أي بالملائكة أو التسمية (إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ) هو تقليد الآباء (وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) أي إنما يعرف الحق الذى هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم (فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا) فأعرض عمن رأيته معرضا عن ذكر الله أي القرآن (وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ذَٰلِكَ) أي اختيارهم الدنيا والرضا بها (مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ) منتهى علمهم (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ) أي هو أعلم بالضال والمهتدى ومجازيهما (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَٰٓـُوا بِمَا عَمِلُوا) بعقاب ما عملوا من السوء أو بسبب ما عملوا من السوء (وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) بالمثوبة الحسنى وهي الجنة أو بسبب الأعمال الحسنى والمعنى أن الله عز وجل إنما خلق العالم وسوى هذه الملكوت ليجزى المحسن من المكلفين والمسيء منهم إذ الملك أهل لنصر الأولياء وقهر الأعداء (الَّذِينَ) بدل أو فى موضع رفع

على المدح أى هم الذين (يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ) أى الكبائر من الإثم لأن الإثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التى يكبر عقابها، كبير حمزة وعلى أى النوع الكبير منه (وَٱلْفَوَٰحِشَ) مافحش من الكبائر كأنه قال والفواحش منها خاصة قيل الكبائر ماأوعد الله عليه النار والفواحش ما شرع فيها الحد (إِلَّا ٱللَّمَمَ) أى الصغائر والاستثناء منقطع لأنه ليس من الكبائر والفواحش وهو كالنظرة والقبلة واللمسة والغمزة (إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ) فيغفر ما يشاء من الذنوب من غير توبة (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم) أى أباكم (مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ) جمع جنين (فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ) فلا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات أو إلى الزكاة والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه السلام وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم، وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت. وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء لا على سبيل الاعتراف بالنعمة فإنه جائز لأن المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ) فاكتفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس (أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ) أعرض عن الإيمان (وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ) قطع عطيته وأمسك، وأصله إكداء الحافر وهو أن تلقاه كدية وهى صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر * عن ابن عباس رضى الله عنهما فيمن كفر بعد الإيمان وقيل فى الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله ﷺ فعيره بعض الكافرين وقال له تركت دين الأشياخ وزعمت أنهم فى النار قال إنى خشيت عذاب الله فضمن له إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله ففعل وأعطى الذى عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل به ومنعه (أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ) فهو يعلم أن ما ضمنه من عذاب الله حق (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ) يخبر (بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ) أى التوراة (وَإِبْرَٰهِيمَ) أى وفى صحف إبراهيم (ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ) أى وفر وأتم كقوله فأتمهن وإطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية وقرىء مخففا والتشديد مبالغة فى الوفاء * وعن الحسن ما أمره الله بشىء إلا وفى به، وعن عطاء بن السائب عهد أن لا يسأل مخلوقا فلما قذف

فى النار قال له جبريل : ألك حاجة؟ فقال أما إليك فلا * وعن النبى ﷺ : وفى عمله كل يوم بأربع ركعات فى صدر النهار وهى صلاة الضحى ، وروى ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى؟ كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى فسبحان الله حين تمسون إلى حين تظهرون وقيل وفى سهام الإسلام وهى ثلاثون عشرة فى التوبة التائبون وعشرة فى الأحزاب إن المسلمين وعشرة فى المؤمنين قد أفلح المؤمنون ثم أعلم بمـا فى صحف موسى وإبراهيم فقال (أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) تزر من وزر يزر إذا اكتسب وزرا وهو الإثم وأن مخففة من الثقيلة والمعنى أنه لا تزر والضمير ضمير الشأن ومحل أن وما بعدها الجر بدلا من ما فى صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأن قائلا قال وما فى صحف موسى وإبراهيم فقيل ألا تزر وازرة وزرأخرى أى لا تحمل نفس ذنب نفس (وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَٰنِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ) إلا سعيه وهذه أيضا مما فى صحف إبراهيم وموسى وأما ما صح فى الأخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه فقد قيل إن سعى غيره لما لم ينفعه إلا مبنيا على سعى نفسه وهو أن يكون مؤمنا كان سعى غيره كأنه سعى نفسه لكونه تابعاً له وقائما بقيامه ولأن سعى غيره لا ينفعه إذا عمـله لنفسه ولـكن إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه (وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ) أى يرى هو سعيه يوم القيامة فى ميزانه (ثُمَّ يُجْزَىٰهُ) ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وإيصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله (الْجَزَآءَ الأَوْفَىٰ) أو أبدله عنه (وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ) هذا كله فى الصحف الأولى والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء أى ينتهى إليه الخلق ويرجعون إليه كقوله: وإلى الله المصير (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ) خلق الضحك والبكاء وقيل خلق الفرح والحزن وقيل أضحك المؤمنين فى العقبى بالمواهب وأبكاهم فى الدنيا بالنوائب (وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا) قيل أمات الآباء وأحيا الأبناء أو أمات بالكفر وأحيا بالإيمان أو أمات هنا وأحيا ثمة (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ) إذا تدفق فى الرحم يقال منى وأمنى (وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَىٰ) الإحياء بعد الموت (وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ)وأعطى القنية وهى المال الذى تأثلته وعزمت أن لا تخرجـه من يدك (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ)

هو كوكب يطلع بعد الجوزاء فى شدة الحر وكانت خزاعة تعبدها فأعلم الله أنه رب معبودهم هذا (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ) هم قوم هود وعاد الأخرى إرم . عاد الُّولى مدنى وبصرى غير سهل بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة اولى ونقل ضمتها إلى لام التعريف (وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ) حمزة وعاصم الباقون وثمودا وهو معطوف على عادا ولا ينصب بفما أبقى لأن ما بعد الفاء لايعمل فيما قبله لا تقول زيدا فضربت وكذا مابعد النفى لايعمل فيما قبله والمعنى وأهلك ثمود فما أبقاهم (وَقَوْمَ نُوحٍ) أى أهلك قوم نوح (مِّن قَبْلُ) من قبل عاد وثمود (إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ) من عاد وثمود لأنهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه (وَالْمُؤْتَفِكَةَ) والقرى التى ائتفكت بأهلها أى انقلبت وهم قوم لوط يقال أفكه فأتفك (أَهْوَىٰ) أى رفعها إلى السماء على جناح جبريل ثم أهواها إلى الأرض أى أسقطها والمؤتفكة منصوب بأهوى (فَغَشَّاهَا) ألبسها (مَا غَشَّىٰ) تهويل وتعظيم لماصب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ) أيها المخاطب (تَتَمَارَىٰ) تتشكك بما أولاك من النعم أوبما كفاك من النقم أوبأى نعم ربك الدالة على وحدانيته وربوبيته تشكك (هَٰذَا نَذِيرٌ) أى محمد منذر (مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ) من المنذرين الأولين وقال الأولى على تأويل الجماعة أو هذا القرآن نذير من النذر الأولى أى إنذار من جنس الإنذارات الأولى التى أنذر بها من قبلكم (أَزِفَتِ الْآزِفَةُ) قربت الموصوفة بالقرب فى قوله: اقتربت الساعة (لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ) أى ليس لها نفس كاشفة أى مبينة متى تقوم كقوله: لايجليها لوقتها إلاهو. أو ليس لها نفس كاشفة أى قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله تعالى غير أنه لا يكشفها (أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ) أى القرآن (تَعْجَبُونَ) إنكارا (وَتَضْحَكُونَ) استهزاء (وَلَا تَبْكُونَ) خشوعا (وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ) غافلون أو لاهون لاعبون وكانوا إذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا) أى فاسجدوا لله واعبدوه ولا تعبدوا الآلهة والله أعلم .

﴿سورة القمر خمس وخمسون آية مكية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) قربت القيامة (وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) نصفين وقرئ وقد انشق أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبل الأمير وقد جاء البشر بقدومه * قال ابن مسعود رضى الله عنه رأيت حراء بين فلقتى القمر وقيل معناه ينشق يوم القيامة والجمهور على الأول وهو المروى فى الصحيحين ولا يقال لو انشق لما خفى على أهل الأقطار ولو ظهر عندهم لنقلوه متواترا لأن الطباع جبلت على نشر العجائب لأنه يجوز أن يحجبه الله عنهم بغيم (وَإِن يَرَوْا) يعنى أهل مكة (ءَايَةً) تدل على صدق محمد ﷺ (يُعْرِضُوا) عن الإيمان به (وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) محكم قوى من المرة القوة أو دائم مطرد أو مار ذاهب يزول ولا يبقى (وَكَذَّبُوا) النبى ﷺ (وَاتَّبَعُوٓا أَهْوَآءَهُمْ) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وَكُلُّ أَمْرٍ) وعدهم الله (مُّسْتَقِرٌّ) كائن فى وقته وقيل كل ما قدر واقع وقيل كل أمر من أمرهم واقع مستقر أى سيثبت ويستقر عند ظهور العقاب والثواب (وَلَقَدْ جَآءَهُم) أهل مكة (مِّنَ الْأَنۢبَآءِ) من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) ازدجار عن الكفر تقول زجرته وازدجرته أى منعته وأصله ازتجر ولكن التاء إذا وقعت بعد زاى ساكنة أبدلت دالا لأن التاء حرف مهموس والزاى حرف مجهور فأبدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسبا وهذا فى آخر كتاب سيبويه (حِكْمَةٌ) بدل من ما أو على هو حكمة (بَٰلِغَةٌ) نهاية الصواب أو بالغة من الله إليهم (فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ) ما نفى والنذر جمع نذير وهم الرسل أو المنذر به أو النذر مصدر بمعنى الإنذار (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) لعلمك أن الإنذار لايغنى فيهم. نصب (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ) بيخرجون أو بإضمار اذكر. الداعى، إلى الداعى سهل ويعقوب ومكى فيهما وافق مدنى وأبو عمرو فى الوصل ومن أسقط الياء اكتفى بالكسرة عنها وحذف الواو من يدعو فى الكتابة لمتابعة اللفظ والداعى إسرافيل عليه السلام (إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ) منكر فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة نكر

بالتخفيف مكي (خُشَّعاً أبْصَارُهُمْ) خاشعا عراقي غير عاصم وهو حال من الخارجين وهو فعل للأبصار وذكر كما تقول يخشع أبصارهم غيرهم خشعا على يخشعن أبصارهم وهى لغة من يقول أكلونى البراغيث ويجوز أن يكون فى خشعا ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه وخشوع الأبصار كناية عن الذلة لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران فى عيونهما (يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ) من القبور (كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ) فى كثرتهم وتفرقهم فى كل جهة والجراد مثل فى الكثرة والتموج يقال فى الجيش الكثير المائج بعضه فى بعض جاءوا كالجراد (مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ) مسرعين مادى أعناقهم إليه (يَقُولُ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ) صعب شديد (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ) قبل أهل مكة (قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا) نوحا عليه السلام ومعنى تكرار التكذيب أنهم كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أى لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لأنه من جملة الرسل (وَقَالُوا مَجْنُونٌ) أى هو مجنون (وَازْدُجِرَ) زجر عن أداء الرسالة بالشتم وهدد بالشتم وهدد بالقتل أو هو من جملة قيلهم أى قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى) أى بأنى (مَغْلُوبٌ) غلبنى قومى فلم يسمعوا منى واستحكم اليأس من إجابتهم لى (فَانتَصِرْ) فانتقم لى منهم بعذاب تبعثه عليهم (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ) ففتّحنا شامى ويزيد وسهل ويعقوب (بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ) منصب فى كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا) وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الأرض (فَالْتَقَى الْمَاءُ) أى مياه السماء والارض وقرئ الماءان أى النوعان من الماء السماوى والارضى (عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) على حال قدرها الله كيف شاء أو على أمر قدقدر فى اللوح المحفوظ أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ) أراد السفينة وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدى مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكنّ قميصى مسرودة من حديد أراد ولكن قميصى درع ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح وهذا من فصيح الكلام

وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره إذا دفعه لأنه يدسر به منفذه (تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منا أو بحفظنا أو بأعيننا حال من الضمير فى تجرى أى محفوظة بنا (جَزَآءً) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أى فعلنا ذلك جزاء (لِّمَن كَانَ كُفِرَ) وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لأن النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى: وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين . فكان نوح نعمة مكفورة (وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ) أى السفينة أو الفعلة أى جعلناها (ءَايَةً) يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة (فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) متعظ يتعظ ويعتبر وأصله مذتكر بالذال والتاء ولكن التاء أبدلت منها الدال والدال والذال من موضع فأدغمت الذال فى الدال (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ) جمع نذير وهو الإنذار ونذرى يعقوب فيهما وافقه سهل فى الوصل. غيرهما بغير ياء وعلى هذا الاختلاف مابعده إلى آخر السورة (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ) سهلناه للادكار والاتعاظ بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد (فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) متعظ يتعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويروى أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل والزبور لا يتلوها أهلها إلا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن (كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ) أى وإنذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله أو وإنذاراتى فى تعذيبهم لمن بعدهم (إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) باردة أو شديدة الصوت (فِى يَوْمِ نَحْسٍ) شؤم (مُّسْتَمِرٍّ) دائم الشر فقد استمر عليهم حتى أهلكهم وكان فى أربعاء فى آخر الشهر (تَنزِعُ النَّاسَ) تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذا بعضهم بأيدى بعض ويتداخلون فى الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم (كَأَنَّهُمْ) حال (أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ) أصول نخل منقلع عن مغارسه وشبهوا بأعجاز النخل لأن الريح كانت تقطع رءوسهم فتبقى أجسادا بلا رءوس فيتساقطون على الأرض أمواتا وهم جثث طوال كأنهم أعجاز نخل وهى أصولها بلا فروع وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لأنث كما قال كأنهم أعجاز نخل خاوية (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ

لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ فَقَالُوٓا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا) انتصب بشرا بفعل يفسره (نَّتَّبِعُهُۥ) تقديره أنتبع بشرا منا واحدا (إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ) كأن يقول إن لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا إن اتبعناك كنا إذا كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون وقولهم أبشرا إنكار لأن يتبعوا مثلهم فى الجنسية وطلبوا أن يكون من الملائكة وقالوا منا لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا إنكارا لأن تتبع الأمة رجلا واحدا أو أرادوا واحدا من أفنائهم ليس من أشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قوله (أَءُلْقِىَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا) أى أأنزل عليه الوحى من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة (بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ) بطر متكبر حمله بطره وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك (سَيَعْلَمُونَ غَدًا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ) أصالح أم من كذبه. ستعلمون شامى وحمزة على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم أو هو كلام الله على سبيل الالتفات (إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ) باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا (فِتْنَةً لَّهُمْ) امتحانا لهم وابتلاء وهو مفعول له أو حال (فَارْتَقِبْهُمْ) فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون (وَاصْطَبِرْ) على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمرى (وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ) مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وقال بينهم تغليبا للعقلاء (كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ) محضور يحضر القوم الشرب يوما وتحضر الناقة يوما (فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فَتَعَاطَىٰ) فاجترأ على تعاطى الأمر العظيم غير مكترث له (فَعَقَرَ) الناقة أو فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف وإنما قال فعقروا الناقة فى آية أخرى لرضاهم به أو لأنه عقر بعونهم (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ) فى اليوم الرابع من عقرها (صَيْحَةً وَاحِدَةً) صاح بهم جبريل عليه السلام (فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذى يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أى الحظيرة (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِالنُّذُرِ إِنَّآ أَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ) يعنى على قوم لوط (حَاصِبًا) ريحا تحصبهم بالحجارة أى ترميهم (إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ) ابنتيه ومن آمن معه (نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ) من الأسحار ولذا صرفه ويقال لقيته بسحر إذا لقيته فى سحر يومه وقيل هما سحران فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه (نِّعْمَةً) مفعول له أى إنعاما (مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ) نعمة الله بإيمانه وطاعته (وَلَقَدْ أَنذَرَهُم) لوط عليه السلام (بَطْشَتَنَا) أخذتنا بالعذاب (فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ) فكذبوا بالنذر متشاكين (وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ) طلبوا الفاحشة من أضيافه (فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ) أعميناهم وقيل مسحناها وجلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روى أنهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون ولا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط (فَذُوقُوا) فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة (عَذَابِى وَنُذُرِ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً) أول النهار (عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ) ثابت قد استقر عليهم إلى أن يفضى بهم إلى عذاب الآخرة وفائدة تكرير (فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكارا واتعاظا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وهذا حكم التكرير فى قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها وكذلك تكرير الأنباء والقصص فى أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية فى كل أوان (وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ) موسى وهرون وغيرهما من الأنبياء أو هو جمع نذير وهو الإنذار (كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا) بالآيات التسع (فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ) لا يغالب (مُّقْتَدِرٍ) لا يعجزه شىء (أَكُفَّارُكُمْ) يا أهل مكة (خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أى أهم خير قوة وآلة ومكانة فى الدنيا أو أقل كفرا وعنادا يعنى أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم (أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى الزُّبُرِ) أم أنزلت عليكم يا أهل مكة براءة فى الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة (أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ)

جماعة أمرنا مجتمع (مُنْتَصِرٌ) ممتنع لا نرام ولا نضام (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ) جمع أهـل مكة (وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) أى الأدبار كما قال * كلوا فى بعض بطنكم تعفوا * أى ينصرفون منهزمين يعنى يوم بدر وهذه من علامات النبوة (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ) موعد عذابهم بعد بدر (وَالسَّاعَةُ أَدْهَى) أشد من موقف بدر والداهية الأمر المنكر الذى لا يهتدى لدوائه (وَأَمَرُّ) مذاقا من عذاب الدنيا أو أشد من المرة (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ) عن الحق فى الدنيا (وَسُعُرٍ) ونيران فى الآخرة أوفى هلاك ونيران (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ) يجرون فيها (عَلَى وُجُوهِهِمْ) ويقال لهم (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لأن النار إذا أصابتهم بحرها فكأنها تمسهم مسا بذلك وسقر غير منصرف للتأنيث والتعريف لأنها علم لجهنم من سقرته النار إذا لوحته (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) كل منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ بالرفع شاذا والنصب أولى لأنه لو رفع لأمكن أن يكون خلقناه فى موضع الجر وصفا لشىء ويكون الخبر بقدر وتقديره إنا كل شىء مخلوق لنا كائن بقدر ويحتمل أن يكون خلقناه هو الخبر وتقديره إنا كل شىء مخلوق لنا بقدر فلما تردد الأمر فى الرفع عدل إلى النصب وتقديره إنا خلقنا كل شىء بقدر فيكون الخلق عاما لكل شىء وهو المراد بالآية ولا يجوز فى النصب أن يكون خلقناه صفة لشىء لأنه تفسير الناصب والصفة لا تعمل فى الموصوف. والقدْر والقدَر التقدير أى بتقدير سابق أو خلقنا كل شىء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا فى اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه قال أبو هريرة جاء مشركو قريش إلى النبى ﷺ يخاصمونه فى القدر فنزلت الآية وكان عمر يحلف أنها نزلت فى القدرية (وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ) إلا كلمة واحدة أى وما أمرنا لشىء نريد تكوينه إلا أن نقول له كن فيكون (كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) على قدر ما يلمح أحدكم ببصره وقيل المراد بأمرنا القيامة كقوله وما أمر الساعة إلا كلمح البصر (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ) أشباهكم فى الكفر من الأمم (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) متعظ (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ) أى أولئك الكفار أى وكل شىء مفعول لهم ثابت (فِي الزُّبُرِ) فى دواوين الحفظة ففعلوه فى موضع جر نعت لشىء وفى الزبر خبر لكل (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ)

من الأعمال ومن كل ما هو كائن (مُسْتَطَرٌ) مسطور فى اللوح (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ) وأنهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء ومنه النهار (فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ) فى مكان مرضى (عِندَ مَلِيكٍ) عندية منزلة وكرامة لامسافة ومماسة (مُّقْتَدِرٍ) قادر وفائدة التنكير فيهما أن يعلم أن لا شىء إلا هو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شىء قدير .

﴿ سورة الرحمن جل وعلا مكية وهى ست وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ خَلَقَ الْإِنسَٰنَ) أى الجنس أو آدم أو محمدا عليهما السلام (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) عدد الله عز وجل آلاءه فأراد أن يقدم أول شىء ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه وصنوف نعمائه وهى نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ماهو سنام فى أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لأنه أعظم وحى الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه فى أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره ثم أتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وقدم ما خلق الإنسان من أجله عليه ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير والرحمن مبتدأ وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك مالم يفعل أحد بأحد فما تنكر من إحسانه (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) بحساب معلوم وتقدير سوى يجريان فى بروجهما ومنازلهما وفى ذلك منافع للناس منها علم السنين والحساب (وَالنَّجْمُ) النبات الذى ينجم من الأرض لاساق له كالبقول (وَالشَّجَرُ) الذى له ساق وقيل النجم نجوم السماء (يَسْجُدَانِ) ينقادان لله تعالى فيما خلقا له تشبيها بالساجد من المكلفين فى انقياده واتصلت هاتان الجملتان بالرحمن بالوصل المعنوى لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ولم يذكر العاطف فى الجمل الأولى ثم جىء به بعد لأن الأولى وردت على سبيل التعديد تبكيتا

لمن أنكر آلاءه كما يبكت منكر أيادى المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه فى المثال المذكور ثم رد الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت فى وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعطف وبيان التناسب أن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل . وإن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين وإن جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر (وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا) خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه (وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) أى كل ما توزن به الأشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أى خلقه موضوعا على الأرض حيث علق به أحكام عباده من التسوية والتعديل فى أخذهم وإعطائهم (أَلَّا تَطْغَوْا فِى الْمِيزَانِ) لئلا تطغوا أو هى أن المفسرة (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ) وقوّموا وزنكم بالعدل (وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا) خفضها مدحوّة على الماء (لِلْأَنَامِ) للخلق وهو كل ما على ظهر الأرض من دابة وعن الحسن الإنس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فِيهَا فَاكِهَةٌ) ضروب مما يتفكه به (وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ) هى أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف أو كل ما يكم أى يغطى من ليفه وسعفه وكفرّاه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجمّاره وجذوعه (وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ) هو ورق الزرع أو التبن (وَالرَّيْحَانُ) الرزق وهو اللب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى هو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب. والريحان بالجر حمزة وعلى أى والحب ذو العصف الذى هو علف الأنعام والريحان الذى هو مطعم الأنام والرفع على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذى يشم. والحبَّ ذا العصف والريحانَ شامى أى وخلق الحب والريحان أو وأخص الحب والريحان (فَبِأَىِّ ءَالَآءِ) أى النعم مما عدد من أول السورة جمع أَلَى وإِلَى (رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) الخطاب للثقلين

بدلالة الأنام عليهما (خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ) طين يابس له صلصلة (كَٱلْفَخَّارِ) أى الطين المطبوخ بالنار وهو الخذف ولا اختلاف فى هذا وفى قوله من حمإ مسنون من طين لازب من تراب لاتفاقها معنى لأنه يفيد أنه خلقه من تراب ثم جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا (وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ) أبا الجن قيل هو إبليس (مِن مَّارِجٍ) هو اللهب الصافى الذى لادخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشىء إذا اضطرب واختلط (مِّن نَّارٍ) هو بيان لمارج كأنه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة كقوله فأنذرتكم نارا تلظى (فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ) أراد مشرق الشمس فى الصيف والشتاء ومغربيهما (فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) أى أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لافصل بين الماءين فى مرأى العين (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ) حاجز من قدرة الله تعالى (لَّا يَبْغِيَانِ) لايتجاوزان حديهما ولا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة (فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَخْرُجُ) يُخرَج مدنى وبصرى (مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ) بلا همز أبوبكر ويزيد وهو كبار الدر (وَٱلْمَرْجَانُ) صغاره وإنما قال منهما وهما يخرجان من الملح لأنهما لما التقيا وصارا كالشىء الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وإنما خرجت من محلة من محاله وقيل لايخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب (فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَلَهُ) ولله (ٱلْجَوَارِ) السفن جمع جارية قال الزجاج الوقف عليها بالياء والاختيار وصلها وإن وقف عليها واقف بغير ياء فذا جائز على بعد ولكن يروم الكسر فى الراء ليدل على حذف الياء (ٱلْمُنشَـَٔاتُ) المرفوعات الشرع المنشآت بكسر الشين حمزة ويحيي الرافعات الشرع أو اللاتى ينشئن الأمواج بجريهن (فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ) جمع علم وهو الجبل الطويل (فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا) على الأرض (فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ) ذاته (ذُو ٱلْجَلَٰلِ) ذوالعظمة والسلطان وهو صفة الوجه (وَٱلْإِكْرَامِ) بالتجاوز والإحسان وهذه الصفة من عظيم صفات الله

وفى الحديث ألظوا بياذا الجلال والإكرام وروى أنه عليه السلام مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والإكرام فقال قد استجيب لك (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) والنعمة فى الفناء باعتبار أن المؤمنين به يصلون إلى النعيم السرمد وقال يحيى بن معاذ حبذا الموت فهو الذى يقرب الحبيب إلى الحبيب (يَسْئَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) وقف عليها نافع كل من أهل السموات والأرض مفتقرون إليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم وأهل الأرض ما يتعلق بدينهم ودنياهم وينتصب (كُلَّ يَوْمٍ) ظرفا بمادل عليه (هُوَ فِي شَأْنٍ) أى كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا كما روى أنه عليه السلام تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله يومان أحدهما اليوم الذى هو مدة الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهى والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت فى اليهود حين قالوا إن الله لا يقضى يوم السبت شأنا وسأل بعض الملوك وزيره عن الآية فاستمهله إلى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يا مولاى أخبرنى ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدى فأخبره فقال أنا أفسرها للملك فأعلمه فقال : أيها الملك شأن الله أنه يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويشفى سقيما ويسقم سليما ويبتلى معافى ويعافى مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغنى فقيرا فقال الأمير أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاى هذا من شأن الله وقيل سوق المقادير إلى المواقيت وقيل إن عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لى قوله فأصبح من النادمين وقد صح أن الندم توبة وقوله كل يوم هو فى شأن وقد صح أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة وقوله وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فما بال الأضعاف فقال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة فى تلك الأمة وقيل إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وكذا قيل وأن ليس للإنسان إلا ما سعى مخصوص بقوم ابراهيم وموسى عليهما السلام وأما قوله كل يوم هو فى شأن فإنها شئون يبديها لا شئون يبتديها فقام عبدالله وقبل رأسه وسوغ خراجه

(فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ سَنَفْرُغُ لَكُمْ) مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شئون الخلق التي أرادها بقوله كل يوم هو في شأن فلا يبقى إلى شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل. سيفرغ حمزة وعلي أي الله تعالى (أَيُّهَ الثَّقَلَانِ) الإنس والجن سميا بذلك لأنهما ثقلا الأرض (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ) هو كالترجمة لقوله أيها الثقلان (إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا) أي إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هربا من قضائي فاخرجوا ثم قال (لَا تَنفُذُونَ) لا تقدرون على النفوذ (إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ) بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك وقيل دلهم على العجز عن قوتهم للحساب غدا بالعجز عن نفوذ الأقطار اليوم وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة حين تحدق بهم الملائكة فإذا رآهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجها إلا وجدوا الملائكة احتاطت به (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ) وبكسر الشين مكي وكلاهما اللهب الخالص (وَنُحَاسٌ) أي دخان ونحاس مكي وابو عمرو فالرفع عطف على شواظ والجر على نار والمعنى إذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكما لهب خالص من النار ودخان يسوقكم إلى المحشر (فَلَا تَنتَصِرَانِ) فلا تمتنعان منهما (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ) انفك بعضها من بعض لقيام الساعة (فَكَانَتْ وَرْدَةً) فصارت كلون الورد الأحمر وقيل أصل لون السماء الحمرة ولكن من بعدها ترى زرقاء (كَالدِّهَانِ) كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن وقيل الدهان الأديم الأحمر (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَيَوْمَئِذٍ) أي فيوم تنشق السماء (لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ) أي ولا جن فوضع الجان الذي هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده والتقدير لا يسئل إنس ولا جان عن ذنبه والتوفيق بين هذه الآية وبين قوله فوربك لنسئلنهم أجمعين وقوله وقفوهم إنهم مسئولون أن ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسئلون في موطن ولا يسئلون في آخر وقال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم

على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسئل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسئل للتوبيخ (فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ) بسواد وجوههم وزرقة عيونهم (فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِى وَالْأَقْدَامِ) أى يؤخذ تارة بالنواصى وتارة بالأقدام (فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ) ماء حار قد انتهى حره أى يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحيم (فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) والنعمة فى هذا نجاة الناجى منه بفضله ورحمته وما فى الإنذار به من التنبيه (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة فترك المعاصى أو فأدى الفرائض وقيل هو مقحم كقوله ونفيت عنه مقام الذئب أى نفيت عنه الذئب (جَنَّتَانِ) جنة الإنس وجنة الجن لأن الخطاب للثقلين وكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الإنسى وجنة للخائف الجنى (فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ) أغصان جمع فنن وخص الأفنان لأنها هى التى تورق وتثمر فنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار أو ألوان جمع فن أى له فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين قال :

ومن كل أفنان اللذاذة والصبا لهوت به والعيش أخضر ناضر

(فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا) فى الجنتين (عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ) حيث شاءوا فى الأعالى والأسافل وعن الحسن تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل (فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ) صنفان صنف معروف وصنف غريب (فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِـِٔينَ) نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لأن من خاف فى معنى الجمع (عَلَىٰ فُرُشٍ) جمع فراش (بَطَآئِنُهَا) جمع بطانة (مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) ديباج ثخين وهو معرب قيل ظهائرها من سندس وقيل لا يعلمها إلا الله (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ) وثمرها قريب يناله القائم والقاعد والمتكىء (فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ) فى الجنتين لاشتمالها على أماكن وقصور ومجالس أو فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى (قَٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ) نساء قصرن

أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ) بكسر الميم الدورى وعلى بضم الميم والطمث الجماع بالتدمية (إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) وهذا دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الإنس (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ) صفاء (وَالْمَرْجَانُ) بياضا فهو أبيض من اللؤلؤ (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَلْ جَزَآءُ الْإِحْسَٰنِ) فى العمل (إِلَّا الْإِحْسَٰنُ) فى الثواب وقيل ما جزاء من قال لا إله إلا الله إلا الجنة وعن إبراهيم الخواص فيه هل جزاء الإسلام الا دار السلام (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَمِن دُونِهِمَا) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين المقربين (جَنَّتَانِ) لمن دونهم من أصحاب اليمين (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُدْهَآمَّتَانِ) سوداوان من شدة الخضرة قال الخليل الدهمة السواد (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ) فوارتان بالماء لاتنقطعان (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ) ألوان الفواكه (وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ) والرمان والتمر ليسا من الفواكه عند أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه للعطف ولأن التمر فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه وهما قالا إنما عطفا على الفاكهة لفضلهما كأنهما جنسان آخران لمالهما من المزية كقوله وجبريل وميكال (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ) أى خيرات نخففت وقرئ خيّرات على الأصل والمعنى فاضلات الأخلاق حسان الخلق (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي الْخِيَامِ) أى مخدرات يقال امرأة قصيرة ومقصورة أى مخدرة قيل الخيام من الدر المجوف (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ) قبل أصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين (وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِـِٔينَ) نصب على الاختصاص (عَلَىٰ رَفْرَفٍ) هو كل ثوب عريض وقيل الوسائد (خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) ديباج أوطنافس (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) وإنما تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأوليين حتى قيل ومن دونهما لأن مدهامتان دون ذواتا أفنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ (تَبَٰرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَٰلِ) ذى العظمة . ذو الجلال شأن سنة للاسم (وَالْإِكْرَامِ) لأوليائه بالإنعام روى جابر أن

النبي ﷺ قرأ سورة الرحمن فقال: مالي أراكم سكوتا الجن كانوا أحسن منكم ردا ما أتيت على قول الله فبأى آلاء ربكما تكذبان إلا قالوا: ولا بشىء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر. وكررت هذه الآية فى هذه السورة إحدى وثلاثين مرة ذكر ثمانية منها عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم وبعد هذه السبعة ثمانية فى وصف الجنتين وأهلهما على عدد أبواب الجنة وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها فتحت له أبواب الجنة وأغلقت عنه أبواب جهنم نعوذ بالله منها والله أعلم.

﴿ سورة الواقعة سبع وتسعون آية مدنية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) قامت القيامة وقيل وصفت بالوقوع لأنها تقع لا محالة فكأنه قيل إذا وقعت الواقعة التى لابد من وقوعها ووقوع الأمر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أى نزل ما كنت أترقب نزوله وانتصاب إذا بإضمار اذكر (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ) نفس كاذبة أى لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب فى تكذيب الغيب لأن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام مثلها فى قوله تعالى: ياليتنى قدمت لحياتى (خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ) أى هى خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين (إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا) حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شىء فوقها من جبل وبناء وهو بدل من إذا وقعت ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الأرض وبس الجبال (وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا) وفتتت حتى تعود كالسويق أو سيقت من بس الغنم إذا ساقها كقوله: وسيرت الجبال (فَكَانَتْ هَبَاءً) غبارا (مُّنبَثًّا) متفرقا (وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا) أصنافا يقال للأصناف التى بعضها من بعض أو يذكر بعضها مع بعض أزواج (ثَلَاثَةً) صنفان فى الجنة وصنف فى النار ثم فسر الأزواج فقال (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) مبتدأ وهم الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم (مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) مبتدأ وخبر وهما خبر المبتدأ الأول

وهو تعجيب من حالهم فى السعادة وتعظيم لشأنهم كأنه قال ما هم وأى شىء هم؟ (وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ) أى الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية الخسيسة من قولك فلان منى باليمين وفلان منى بالشمال إذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال (مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ) أى أى شىء هم وهو تعجيب من حالهم بالشقاء (وَٱلسَّٰبِقُونَ) مبتدأ (ٱلسَّٰبِقُونَ) خبره تقديره السابقون إلى الخيرات السابقون إلى الجنات وقيل الثانى تأكيد للأول والخبر (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ) والأول أوجه (فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ) أى هم فى جنات النعيم (ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ) أى هم ثلة والثلة الأمة من الناس الكثيرة والمعنى أن السابقين كثير من الأولين وهم الأمم من لدن آدم إلى نبينا محمد عليهما السلام وقليل من الآخرين وهم أمة محمد ﷺ وقيل من الأولين من متقدمى هذه الأمة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبى ﷺ الثلتان جميعا من أمتى (عَلَىٰ سُرُرٍ) جمع سرير ككثيب وكثب (مَّوْضُونَةٍ) مرمولة ومنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت (مُّتَّكِـِٔينَ) حال من الضمير فى على وهو العامل فيها أى استقروا عليها متكئين (عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ) ينظر بعضهم فى وجوه بعض ولا ينظر بعضهم فى أقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق وصفاء المودة ومتقابلين حال أيضا (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ) يخدمهم (وِلْدَٰنٌ) غلمان جمع وليد (مُّخَلَّدُونَ) مبقون أبدا على شكل الولدان لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها وفى الحديث : أولاد الكفار خدام أهل الجنة (بِأَكْوَابٍ) جمع كوب وهى آنية لا عروة لها ولا خرطوم (وَأَبَارِيقَ) جمع إبريق وهو ماله خرطوم وعروة (وَكَأْسٍ) وقدح فيه شراب وإن لم يكن فيه شراب فليس بكأس (مِّن مَّعِينٍ) من خمر تجرى من العيون (لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا) أى بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها أو لا يفرقون عنها (وَلَا يُنزِفُونَ) ولا يسكرون نزف الرجل ذهب عقله بالسكر ولا ينزفون بكسر الزاى كوفى أى لا ينفد شرابهم يقال أنزف القوم إذا فنى شرابهم (وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ)

يأخذون خيره وأفضله (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ) يتمنون (وَحُورٌ) جمع حوراء (عِينٌ) جمع عيناء أى وفيها حور عين أو ولهم حور عين ويجوز أن يكون عطفا على ولدان. وحورٍ يزيد وحمزة وعلى عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم فى جنات النعيم وفاكهة ولحم وحورٍ (كَأَمْثَلِ اللُّؤْلُؤِ) فى الصفاء والنقاء (الْمَكْنُونِ) المصون وقال الزجاج كأمثال الدر حين يخرج من صدفه لم يغيره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال (جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) جزاء مفعول له أى يفعل بهم ذلك كله لجزاء أعمالهم أو مصدر أى يجزون جزاء (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا) فى الجنة (لَغْوًا) باطلا (وَلَا تَأْثِيمًا) هذيانا (إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا) إلا قولا ذا سلامة والاستثناء منقطع وسلاما بدل من قيلا أو مفعول به لقيلا أى لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَآ أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ) السدر شجر النبق والمخضود الذى لا شوك له كأنما خضد شوكه (وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ) الطلح شجر الموز والمنضود الذى نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه فليست له ساق بارزة (وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ) ممتد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ) جار بلا حد ولا خد أى يجرى على الأرض فى غير أخدود (وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ) أى كثيرة الأجناس (لَّا مَقْطُوعَةٍ) لا تنقطع فى بعض الأوقات كفوا كه الدنيا بل هى دائمة (وَلَا مَمْنُوعَةٍ) لا تمنع عن متناولها بوجه وقيل لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان (وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ) رفيعة القدر أو نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الأسرة وقيل هى النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك قال الله تعالى: هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون . ويدل عليه قوله (إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً) ابتدأنا خلقهن ابتداء من غير ولادة فإما أن يراد اللاتى ابتدىء انشاؤهن أو اللاتى أعيد انشاؤهن وعلى غير هذا التأويل أضمر لهن لأن ذكر الفرش وهى المضاجع دل عليهن (فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا) عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا (عُرُبًا) عرْبا حمزة وخلف ويحيى وحماد جمع عروب وهى المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعل (أَتْرَابًا) مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن كذلك واللام فى

(لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ) من صلة أنشأنا (ثُلَّةٌ) أى أصحاب اليمين ثلة (مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ) فإن قلت كيف قال قبل هذا وقليل من الآخرين ثم قال هنا وثلة من الآخرين قلت ذاك فى السابقين وهذا فى أصحاب اليمين وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعا وعن الحسن سابقوا الأمم أكثر من سابقى أمتنا وتابعو الأمم مثل تابعى هذه الأمة (وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ) الشمال والشأمة واحدة (فِى سَمُومٍ) فى حر نار ينفذ فى المسام (وَحَمِيمٍ) وماء حار متناهى الحرارة (وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ) من دخان أسود (لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ) نفى لصفتى الظل عنه يريد أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوى إليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما فى مدلول الظل من الاسترواح إليه والمعنى أنه ظل حار ضار (إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ) أى فى الدنيا (مُتْرَفِينَ) منعمين فمنعهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار (وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ) يداومون (عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ) أى على الذنب العظيم أو على الشرك لأنه نقض عهد الميثاق والحنث نقض العهد المؤكد باليمين أو الكفر بالبعث بدليل قوله وأقسموا بالله جهد إيمانهم لا يبعث الله من يموت (وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) تقديره أنبعث إذا متنا وهو العامل فى الظرف وجاز حذفه إذ مبعوثون يدل عليه ولا يعمل فيه مبعوثون لأن إن والاستفهام يمنعان أن يعمل ما بعدهما فيما قبلهما (أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف وحسن العطف على المضمر فى لمبعوثون من غير توكيد بنحن للفاصل الذى هو الهمزة كما حسن فى قوله ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي . أو آباؤنا مدنى وشامى (قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ) إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والإضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشىء أى حد ومنه مواقيت الإحرام وهى الحدود التى لا يجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرما (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ) عن الهدى (ٱلْمُكَذِّبُونَ) بالبعث وهم أهل مكة ومن فى مثل حالهم (لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ) من لابتداء الغاية (مِّن زَقُّومٍ) من لبيان الشجر (فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ) أنث ضمير الشجر على المعنى

وذكره على اللفظ فى منها وعليه (فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ) بضم الشين مدنى وعاصم وحمزة وسهل وبفتح الشين غيرهم وهما مصدران (الْهِيمِ) هى إبل عطاش لاتروى جمع أهيم وهيماء والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع مايضطرهم إلى أكل الزقوم الذى هو كالمهل فإذا ملئوا منه البطون سلط عليهم من العطش مايضطرهم إلى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم وإنما صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان لأن كونهم شاربين للحميم على ماهو عليه من تناهى الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين (هَٰذَا نُزُلُهُمْ) هو الرزق الذى يعد للناس تكرمة له (يَوْمَ الدِّينِ) يوم الجزاء (نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا) فهلا (تُصَدِّقُونَ) تحضيض على التصديق إما بالخلق لأنهم وإن كانوا مصدقين به إلا أنه لما كان مذهبهم خلاف مايقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به وإما بالبعث لأن من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا (أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ) ما تمنونه أى تقذفونه فى الأرحام من النطف (ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ) تقدرونه وتصورونه وتجعلونه بشرا سويا (أَمْ نَحْنُ الْخَٰلِقُونَ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ) تقديرا قسمناه عليكم قسمة الأرزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط قدرنا بالتخفيف مكى سبقته بالشىء إذا أعجزته عنه وغلبته عليه فمعنى قوله (وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ) إنا قادرون على ذلك لاتغلبوننا عليه وأمثالكم جمع مثل أى على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق (وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ) وعلى أن ننشئكم فى خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعنى أنا نقدر على الأمرين جميعا على خلق ما يماثلكم ومالا يماثلكم فكيف نعجز عن إعادتكم ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أى على أن نبدل ونغير صفاتكم التى أنتم عليها فى خلقكم وأخلاقكم وننشئكم فى صفات لا تعلمونها (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ) النشاءة مكى وأبو عمرو (فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ) أن من قدر على شىء مرة لم يمتنع عليه ثانيا وفيه دليل صحة القياس حيث جهلهم فى ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى (أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ) ما تحرثونه من الطعام أى تثيرون الأرض وتلقون فيها البذر (ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ) تنبتونه

وتردونه نباتا (أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) المنبتون وفى الحديث : لايقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت (لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا) هشيما متكسرا قبل إدراكه (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) تعجبون أو تندمون على تعبكم فيه وإنفاقكم عليه أو على مااقترفتم من المعاصى التى أصبتم بذلك من أجلها (إِنَّا) أى تقولون إنا ، أئنا أبو بكر (لَمُغْرَمُونَ) لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك (بَلْ نَحْنُ) قوم (مَحْرُومُونَ) محارفون محدودون لا مجدودون لاحظ لنا ولابخت لنا ولو كنا مجدودين لماجرى علينا هذا (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ) أى الماء العذب الصالح للشرب (ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ) السحاب الأبيض وهوأعذب ماء (أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ) بقدرتنا (لَوْنَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا) ملحا أو مرا لا يقدر على شربه (فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) فهلا تشكرون ودخلت اللام على جواب لو فى قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هنا لأن لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كإن ولا عاملة مثلها وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث إفادتها فى مضمونى جملتيها أن الثانى امتنع لامتناع الأول افتقرت فى جوابها إلى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك ولما شهر موقعه لم يبال بإسقاطه عن اللفظ لعلم كل أحد به وتساوى حالى حذفه وإثباته على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ولأن هذه اللام تفيد معنى التأكيد لامحالة فأدخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن المطعوم مقدم على أمر المشروب وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعا للمطعوم ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الأعلى الزند والأسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة (ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا) التى منها الزناد (أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ) الخالقون لها ابتداء (نَحْنُ جَعَلْنَاهَا) أى النار (تَذْكِرَةً) تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش وعممنا بالحاجة إليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها ويذكرون ما أوعدوا به (وَمَتَاعًا) ومنفعة (لِلْمُقْوِينَ) للمسافرين النازلين فى القواء

وهى القفر أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام من قولهم أقوت الدار إذا خلت من ساكنيها بدأ بذكر خلق الإنسان فقال أفرأيتم ما تمنون لأن النعمة فيه سابقة على جميع النعم ثم بما فيه قوامه وهو الحب فقال أفرأيتم ما تحرثون ثم بما يعجن به ويشرب عليه وهو الماء ثم بما يخبز به وهو النار فحصول الطعام بمجموع الثلاثة ولا يستغنى عنه الجسد ما دام حيا (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ) فنزه ربك عما لا يليق به أيها المستمع المستدل أو أراد بالاسم الذكر أى فسبح بذكر ربك (الْعَظِيمِ) صفة للمضاف أو للمضاف إليه وقيل قل سبحان ربى العظيم وجاء مرفوعا أنه لمانزلت هذه الآية قال اجعلوها فى ركوعكم (فَلَآ أُقْسِمُ) أى فأقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها فى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وقرىء فلأقسم ومعناه فلأنا أقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهى أنا أقسم ثم حذف المبتدأ ولايصح أن تكون اللام لام القسم لأن حقها أن تقرن بهاالنون المؤكدة (بِمَوَٰقِعِ النُّجُومِ) بمساقطها ومغاربها بموقع حمزة وعلى ولعل لله تعالى فى آخر الليل إذاانحطت النجوم إلى المغرب أفعالا مخصوصة عظيمة أوللملائكة عبادات موصوفة أولأنه وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) وهو اعتراض فى اعتراض لأنه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله (إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ) حسن مرضى أو نفاع جم المنافع أو كريم على الله واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته (فِى كِتَٰبٍ) أى اللوح المحفوظ (مَّكْنُونٍ) مصون من أن يأتيه الباطل أو من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم (لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) من جميع الأدناس أدناس الذنوب وغيرها إن جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وإن جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغى أن يمسه إلا من هو على الطهارة من الناس والمراد مس المكتوب منه (تَنزِيلٌ) صفة رابعة للقرآن أى منزل (مِّن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ) أو وصف بالمصدر لأنه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكأنه فى نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه فقيل جاء فى التنزيل كذا ونطق به التنزيل أو هو تنزيل على حذف المبتدأ (أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ) أى القرآن (أَنتُم مُّدْهِنُونَ) متهاونون به كمن يدهن

فى بعض الأمر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) أى تجعلون شكر رزقكم التكذيب أى وضعتم التكذيب موضع الشكر وفى قراءة على رضى الله عنه وهى قراءة رسول الله ﷺ وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أى تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل نزلت فى الأنواء ونسبتهم السقيا إليها والرزق المطر أى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى النجوم (فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ) النفس أى الروح عند الموت (الْحُلْقُومَ) ممر الطعام والشراب (وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ) الخطاب لمن حضر الميت تلك الساعة (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ) إلى المحتضر (مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ) لا تعقلون ولا تعلمون (فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) مربوبين من دان السلطان الرعية إذا ساسهم (تَرْجِعُونَهَآ) تردون النفس وهى الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) أنكم غير مربوبين مقهورين فلولا فى الآيتين للتحضيض يستدعى فعلا وذا قوله ترجعونها واكتفى بذكره مرة وترتيب الآية فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتأكيد ونحن أقرب إليه منكم ياأهل الميت بقدرتنا وعلمنا أو بملائكة الموت والمعنى أنكم فى جحودكم آيات الله فى كل شىء ، إن أنزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وإن أرسل إليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وإن رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدى إلى الإهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثمة قابض وكنتم صادقين فى تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد (فَأَمَّآ إِن كَانَ) المتوفى (مِنَ الْمُقَرَّبِينَ) من السابقين من الأزواج الثلاثة المذكورة فى أول السورة (فَرَوْحٌ) فله استراحة (وَرَيْحَانٌ) ورزق (وَجَنَّتُ نَعِيمٍ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ الْيَمِينِ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ الْيَمِينِ) أى فسلام لك ياصاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين أى يسلمون عليك كقوله إلا قيلا سلاما سلاما (وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّآلِّينَ) هم الصنف الثالث من الأزواج الثلاثة وهم الذين قيل لهم فى هذه السورة ثم إنكم أيها الضالون المكذبون (فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ) أى

إدخال فيها وفى هذه الآيات إشارة إلى أن الكفر كله ملة واحدة وأن أصحاب الكبائر من أصحاب اليمين لأنهم غيرمكذبين (إِنَّ هَٰذَا) الذى أنزل فىهذه السورة (لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ) أى الحق الثابت من اليقين (فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ) روى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على ابن مسعود رضى الله عنه فى مرض موته فقال له ما تشتكى فقال ذنوبى فقال ماتشتهى قال رحمة ربى قال أفلاندعو الطبيب قال الطبيب أمرضنى فقال ألانأمر بعطائك قال لا حاجة لى فيه قال ندفعه إلى بناتك قال لا حاجة لهن فيه قد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا . وليس فى هذه السور الثلاث ذكر الله : اقتربت ، الرحمن ، الواقعة ، والله أعلم.

﴿ سورة الحديد مكية وهى تسع وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سَبَّحَ لِلَّهِ) جاء فى بعض الفواتح سبح بلفظ الماضى وفى بعضها بلفظ المضارع وفى بنى اسرائيل بلفظ المصدر وفى الأعلى بلفظ الأمر استيمادا لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهى أربع: المصدر والماضى والمضارع والأمر وهذا الفعل قد عدى باللام تارة وبنفسه أخرى فى قوله وتسبحوه وأصله التعدى بنفسه لأن معنى سبحته بعدته من السوء منقول من سبح إذا ذهب وبعد فاللام إما أن تكون مثل اللام فى نصحته ونصحت له وإما أن يراد بسبح الله اكتسب التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصا (مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) ما يتأتى منه التسبيح ويصح (وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ) المنتقم من مكلف لم يسبح له عنادا (ٱلْحَكِيمُ) فى مجازاة من سبح له انقيادا (لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) لا لغيره وموضع (يُحْىِۦ) رفع أى هو يحيى الموتى (وَيُمِيتُ) الأحياء أو نصب أى له ملك السموات والأرض محييا ومميتا (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ هُوَ ٱلْأَوَّلُ) هوالقديم الذى كان قبل كل شىء (وَٱلْآخِرُ) الذى يبقى بعدهلاك كل شىء (وَٱلظَّٰهِرُ) بالأدلة الدالة عليه (وَٱلْبَاطِنُ) لكونه غيرمدرك بالحواس وإن كان مرئيا والواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية

والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأولين ومجموع الصفتين الأخريين فهو مستمر الوجود فى جميع الأوقات الماضيـة والآتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن وقيل الظاهر العالى على كل شىء الغالب له من ظهر عليه إذا علاه وغلبه والباطن الذى بطن كل شىء أى علم باطنه (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) عن الحسن من أيام الدنيا ولو أراد أن يجعلها فى طرفة عين لفعل ولـكن جعل الستة أصلا ليـكون عليها المدار (ثُمَّ اسْتَوَىٰ) استولى (عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ) ما يدخل فى الأرض من البـذر والقطر والـكنور والموتى (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) من النبات وغيره (وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) من الملائـكة والأمطار (وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا) من الأعمال والدعوات (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ) بالعلم والقدرة عموما وبالفضل والرحمة خصوصا (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم على حسب أعمالـكم (لَّهُ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ) يدخل الليل فى النهار بأن ينقص من الليل ويزيد فى النهار (وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا) يحتمل الزكاة والإنفاق فى سبيل الله (مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) يعنى أن الأموال التى فى أيديكم إنمـا هى أموال الله بخلقه وإنشائه لها وإنما مولـكم إياها للاستمتاع بها وجعلـكم خلفاء فى التصرف فيها فليست هى بأموالـكم فى الحقيقة وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب فأنفقوا منها فى حقوق الله تعالى وليهن عليـكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل الإنفاق من مال غيره إذا أذن له فيه أو جعلـكم مستخلفين ممن كان قبلـكم فيما فى أيديكم بتوريثه إياكم وسينقله منكم إلى من بعدكم فاعتبروا بحالهم ولا تبخلوا به (فَالَّذِينَ ءَامَنُوا) بالله ورسله (مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) هو حال من معنى الفعل فى مالـكم كما تقول مالك قائما بمعنى ما تصنع قائمـا أى ومالـكم كافرين بالله والواو فى (وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ) واو الحال فهما حالان متداخلتان والمعنى وأى عذر لـكم فى ترك الإيمان والرسول يدعوكم (لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ) وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقـكم بقوله :

ألست بربكم أو بما ركب فيكم من العقول ومكنكم من النظر فى الأدلة فإذا لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) لموجب ما فإن هذا الموجب لا مزيد عليه أُخِذ ميثاقكم أبو عمرو (هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ) محمد ﷺ (ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ) يعنى القرآن (لِّيُخْرِجَكُم) الله تعالى أو محمد بدعوته (مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ) من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ) بالمد والهمزة حجازى وشامى وحفص (رَّحِيمٌ) الرأفة أشد الرحمة (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا) فى أن لا تنفقوا (فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) يرث كل شىء فيهما لا يبقى منه باق لأحد من مال وغيره يعنى وأى غرض لكم فى ترك الإنفاق فى سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من أبلغ البعث على الإنفاق فى سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَٰتَلَ) أى فتح مكة قبل عز الإسلام وقوة أهله ودخول الناس فى دين الله أفواجا ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لأن قوله من الذين أنفقوا من بعد يدل عليه (أُوْلَٰئِكَ) الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم النبى ﷺ: لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه. (أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَٰتَلُوا وَكُلًّا) أى كل واحد من الفريقين (وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة مع تفاوت الدرجات وكلا مفعول أول لوعد والحسنى مفعول ثان وكل شامى أى وكل وعده الله الحسنى نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه لأنه أول من أسلم وأول من أنفق فى سبيل الله وفيه دليل على فضله وتقدمه (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) فيجازيكم على قدر أعمالكم (مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) بطيب نفسه والمراد الإنفاق فى سبيله واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء (فَيُضَٰعِفَهُ لَهُ) أى يعطيه أجره على إنفاقه أضعافا مضاعفة من فضله (وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) أى وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم فى نفسه فيضعّفُهُ مكى فيضعّفَهُ شامى فيضاعفَهُ عاصم وسهل فيضاعفُهُ غيرهم فالنصب على جواب الاستفهام والرفع على فهو يضاعفه أو عطف على يقرض (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ)

ظرف لقوله وله أجر كريم أو منصوب بإضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم (يَسْعَىٰ) يمضى (نُورُهُم) نور التوحيد والطاعات وإنما قال (بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم) لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور فى الجهتين شعارا لهم وآية لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا فإذا ذهب بهم إلى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعى بسعيهم ذلك النور وتقول لهم الملائكة (بُشْرَىٰكُمُ الْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ) أى دخول جنات لأن البشارة تقع بالأحداث دون الجثث (تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ) هو بدل من يوم ترى (الْمُنَـٰفِقُونَ وَالْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا) أى انتظرونا لأنه يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة. أنظرونا حمزة من النظرة وهى الإمهال جعل اتئادهم فى المضى إلى أن يلحقوا بهم إنظارا لهم (نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ) نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به (قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) طردلهم وتهكم بهم أى تقول لهم الملائكة أو المؤمنون ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الإيمان (فَضُرِبَ بَيْنَهُم) بين المؤمنين والمنافقين (بِسُورٍ) بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الأعراف (لَّهُ) لذلك السور (بَابٌ) لأهل الجنة يدخلون منه (بَاطِنُهُ) باطن السور أو الباب وهو الشق الذى يلى الجنة (فِيهِ الرَّحْمَةُ) أى النور أو الجنة (وَظَـٰهِرُهُ) ماظهر لأهل النار (مِن قِبَلِهِ) من عنده ومن جهته (الْعَذَابُ) أى الظلمة أوالنار (يُنَادُونَهُمْ) أى ينادى المنافقون المؤمنين (أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ) يريدون مرافقتهم فى الظاهر (قَالُوا) أى المؤمنون (بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ) محنتموها بالنفاق وأهلكتموها (وَتَرَبَّصْتُمْ) بالمؤمنين الدوائر (وَارْتَبْتُمْ) وشككتم فى التوحيد (وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِىُّ) طول الآمال والطمع فى امتداد الأعمار (حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) أى الموت (وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ) وغركم الشيطان بأن الله عفو كريم لايعذبكم أوبأنه لابعث ولا حساب (فَالْيَوْمَ

لاَ يُؤْخَذُ) وبالتاء شامى (مِنكُمْ) أيها المنافقون (فِدْيَةٌ) ما يفتدى به (وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ) مرجعكم (هِيَ مَوْلَاكُمْ) هى أولى بكم وحقيقة مولاكم محرا كم أى مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مئنة للكرم أى مكان لقول القائل إنه لكريم (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) النار (أَلَمْ يَأْنِ) من أنى الأمر يأنى إذا جاء إناه أى وقته قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين وعن ابن أبى بكر رضى الله عنه إن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر إليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب (لِلَّذِينَ ءامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) بالتخفيف نافع وحفص الباقون نزّل وما بمعنى الذى والمراد بالذكر ومانزل من الحق القرآن لأنه جامع للأمرين للذكر والموعظة وأنه حق نازل من السماء (وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ) القراءة بالياء عطف على تخشع وبالتاء ورش على الالتفات ويجوز أن يكون نهياً لهم عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعدأن وبخوا وذلك أن بنى إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ماأحدثوا من التحريف وغيره (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ) الأجل أو الزمان (فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ) باتباع الشهوات (وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) خارجون عن دينهم رافضون لما فى الكتابين أى وقليل منهم مؤمنون (اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) قيل هذا تمثيل لأثر الذكر فى القلوب وأنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض (إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ) بتشديد الدال وحده مكى وأبوبكر وهو اسم فاعل من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعنى المؤمنين. الباقون بتشديد الصاد والدال وهو اسم فاعل من تصدق فأدغمت التاء فى الصاد وقرئ على الأصل (وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا) هو عطف على معنى الفعل فى المصدقين لأن اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى الفعل وهو اصّدّقوا كأنه قيل إن الذين اصّدّقوا وأقرضوا والقرض الحسن أن يتصدق من

الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة (يُضَعَّفُ لَهُمْ) يضعّف مكى وشامى (وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ) أى الجنة (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ) يريد أن المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله (لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) أى مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ويجوز أن يكون والشهداء مبتدأ ولهم أجرهم خبره (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا أُوْلَٰئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ اعْلَمُوٓا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ) كلعب الصبيان (وَلَهْوٌ) كلهو الفتيان (وَزِينَةٌ) كزينة النسوان (وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ) كتفاخر الأقران (وَتَكَاثُرٌ) كتكاثر الدهقان (فِى الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ) أى مباهاة بهما والتكاثر ادعاء الاستكثار (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا) بعد خضرته (ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا) متفتتا شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى وقوى وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع (وَفِى الْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ) للكفار (وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرِضْوَٰنٌ) للمؤمنين يعنى أن الدنيا وما فيها ليست إلا من محقرات الأمور وهى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر وأما الآخرة فما هى إلا أمور عظام وهى العذاب الشديد والمغفرة والرضوان من الله الحميد والكاف فى كمثل غيث فى محل رفع على أنه خبر بعد خبر أى الحياة الدنيا مثل غيث (وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ) لمن ركن إليها واعتمد عليها قال ذو النون يا معشر المريدين لا تطلبوا الدنيا وإن طلبتموها فلا تحبوها فإن الزاد منها والمقيل فى غيرها ولما حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة بعث عباده على المسارعة إلى نيل ما وعد من ذلك وهى المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة بقوله (سَابِقُوٓا) أى بالأعمال الصالحة (إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) وقيل سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم فى المضمار (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ) قال السدى كعرض سبع السموات وسبع الأرضين وذكر العرض

دون الطول لأن كل ماله عرض وطول فإن عرضه أقل من طوله فإذا وصف عرضه بالبسطة عرف أن طوله أبسط أو أريد بالعرض البسطة وهذا ينفى قول من يقول إن الجنة فى السماء الرابعة لأن التى فى إحدى السموات لا تكون فى عرض السموات والأرض (أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) وهذا دليل على أنها مخلوقة (ذَٰلِكَ) الموعود من المغفرة والجنة (فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ) وهم المؤمنون وفيه دليل على أنه لايدخل أحد الجنة إلا بفضل الله (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) ثم بين أن كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ) من الجدب وآفات الزروع والثمار وقوله فى الأرض فى موضع الجر أى ماأصاب من مصيبة ثابتة فى الأرض (وَلَآ فِىٓ أَنفُسِكُمْ) من الأمراض والأوصاب وموت الأولاد (إِلَّا فِى كِتَٰبٍ) فى اللوح وهو فى موضع الحال أى إلا مكتوبا فى اللوح (مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ) من قبل أن نخلق الأنفس (إِنَّ ذَٰلِكَ) إن تقدير ذلك وإثباته فى كتاب (عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) وإن كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه بقوله (لِّكَيْلَا تَأْسَوْا) تحزنوا حزنا يطغيكم (عَلَىٰ مَافَاتَكُمْ) من الدنيا وسعتها أومن العافية وصحتها (وَلَا تَفْرَحُوا) فرح المختال الفخور (بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ) أعطاكم من الإيتاء . أبو عمرو أتاكم أى جاءكم من الإتيان يعنى أنكم إذاعلمتم أن كل شىء مقدر مكتوب عندالله قل أساكم على الفائت وفرحكم على الآتى لأن من علم أن ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لأنه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم أن بعض الخير واصل إليه وأن وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله وليس أحد إلا وهو يفرح عند منفعة تصيبه ويحزن عند مضرة تنزل به ولكن ينبغى أن يكون الفرح شكرا والحزن صبرا وإنما يذم من الحزن الجزع المنافى للصبر ومن الفرح الأشر المطغى الملهى عن الشكر (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) لأن من فرح بحظ من الدنيا وعظم فى نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من كل مختال فخور كأنه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغى إذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به (وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) ويحضون غيرهم على البخل ويرغبونهم

فى الإمساك (وَمَن يَتَوَلَّ) يعرض عن الإنفاق أو عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الأسى على الفائت والفرح بالآتى (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِىُّ) عن جميع المخلوقات فكيف عنه (الْحَمِيدُ) فى أفعاله. فإن الله الغنى بترك هومدنى وشامى (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا) يعنى أرسلنا الملائكة إلى الأنبياء (بِالْبَيِّنَٰتِ) بالحجج والمعجزات (وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ) أى الوحى وقيل الرسل الأنبياء والأول أولى لقوله معهم لأن الأنبياء ينزل عليهم الكتاب (وَالْمِيزَانَ) روى أن جبريل نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال مر قومك يزنوا به (لِيَقُومَ النَّاسُ) ليتعاملوا بينهم إيفاء واستيفاء (بِالْقِسْطِ) بالعدل ولايظلم أحد أحدا (وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة وروى ومعه المرّ والمسحاة وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه (فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) وهو القتال به (وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ) فى مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة إلا والحديد آلة فيها اومايعمل بالحديد (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح فى مجاهدة أعداء الدين وقال الزجاج ليعلم الله من يقاتل مع رسوله فى سبيله (بِالْغَيْبِ) غائبا عنهم (إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ) يدفع بقوته بأس من يعرض عن ملته (عَزِيزٌ) يربط بعزته جأش من يتعرض لنصرته والمناسبة بين هذه الأشياء الثلاثة أن الكتاب قانون الشريعة ودستور الأحكام الدينية يبين سبل المراشد والعهود ويتضمن جوامع الأحكام والحدود ويأمر بالعدل والإحسان وينهى عن البغى والطغيان واستعمال العدل والاجتناب عن الظلم إنما يقع بآلة يقع بها التعامل ويحصل بها التساوى والتعادل وهى الميزان ومن المعلوم أن الكتاب الجامع للأوامر الإلهية والآلة الموضوعة للتعامل بالتسوية إنما تحض العامة على اتباعهما بالسيف الذى هو حجة الله على من جحد وعند، ونزع عن صفقة الجماعة اليد. وهو الحديد الذى وصف بالبأس الشديد (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ) خصا بالذكر لأنهما أبوان للأنبياء عليهم السلام (وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا) أولادهما (النُّبُوَّةَ وَالْكِتَٰبَ) الوحى وعن ابن عباس رضى الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة (فَمِنْهُم) فمن الذرية أو من المرسل إليهم وقد دل عليهم ذكر الإرسال والمرسلين (مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ

فَٰسِقُونَ) هذا تفصيل لحالهم أى فمنهم من اهتدى باتباع الرسل ومنهم من فسق أى خرج عن الطاعة والغلبة للفساق (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم) أى نوح وإبراهيم ومن مضى من الأنبياء (بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً) مودة ولينا (وَرَحْمَةً) تعطفا على إخوانهم كما قال فى صفة أصحاب النبى ﷺ رحماء بينهم (وَرَهْبَانِيَّةً) هى ترهبهم فى الجبال فارّين من الفتنة فى الدين مخلصين أنفسهم للعبادة وهى الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية (ٱبْتَدَعُوهَا) أى أخرجوها من عند أنفسهم ونذروها (مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ) لم نفرضها نحن عليهم (إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ) استثناء منقطع أى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) كما يجب على الناذر رعاية نذره لأنه عهد مع الله لا يحل نكثه (فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ) أى أهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام أو الذين آمنوا بمحمد ﷺ (وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ) الكافرون (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا) الخطاب لأهل الكتاب (ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِۦ) محمد ﷺ (يُؤْتِكُمْ) الله (كِفْلَيْنِ) نصيبين (مِن رَّحْمَتِهِۦ) لإيمانكم بمحمد ﷺ وإيمانكم بمن قبله (وَيَجْعَل لَّكُمْ) يوم القيامة (نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ) وهو النور المذكور فى قوله يسعى نورهم الآية (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ذنوبكم (وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ لِّئَلَّا يَعْلَمَ) ليعلم (أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ) الذين لم يسلموا ولا مزيدة (أَلَّا يَقْدِرُونَ) أن مخففة من الثقيلة أصله أنه لا يقدرون يعنى أن الشأن لا يقدرون (عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ) أى لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة لأنهم لم يؤمنوا برسول الله ﷺ فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط (وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ) عطف على أن لا يقدرون (بِيَدِ ٱللَّهِ) أى فى ملكه وتصرفه (يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ) من عباده (وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ) والله أعلم .

﴿ سورة المجادلة مدنية وهى اثنتان وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَٰدِلُكَ) تحاورك وقرئ بها وهى خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت أخى عبادة رآها وهى تصلى وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فأبت فغضب فظاهر منها فأتت رسول الله ﷺ فقالت إن أوسا تزوجنى وأنا شابة مرغوب فىّ فلما خلا سنى ونثرت بطنى ـ أى كثر ولدى ـ جعلنى عليه كأمه وروى أنها قالت: إن لى صبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلىّ جاعوا. فقال ﷺ: ما عندى فى أمرك شىء. وروى أنه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وإنما هو أبو ولدى وأحب الناس إلىّ فقال حرمت عليه فقالت أشكو إلى الله فاقتى ووجدى كلما قال رسول الله ﷺ حرمت عليه هتفت وشكت فنزلت (فِى زَوْجِهَا) فى شأنه ومعناه (وَتَشْتَكِىٓ إِلَى اللهِ) تظهر ما بها من المكروه (وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ) مراجعتكما الكلام من حار إذا رجع (إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ) يسمع شكوى المضطر (بَصِيرٌ) بحاله (الَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ) عاصم يظَّهَّرون حجازى وبصرى غيرهم يَظَّاهرون وفى (مِنكُم) توبيخ للعرب لأنه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم (مِّن نِّسَآئِهِم) زوجاتهم (مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ) أمهاتُهم المفضل، الأول حجازى والثانى تميمى (إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلاَّ الَّٰئِى وَلَدْنَهُمْ) يريد أن الأمهات على الحقيقة الوالدات والمرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع وكذا أزواج رسول الله ﷺ لزيادة حرمتهن وأما الزوجات فأبعد شىء من الأمومة فلذا قال (وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ الْقَوْلِ) تنكره الحقيقة والأحكام الشرعية (وَزُوراً) وكذبا باطلا منحرفا عن الحق (وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ) لما سلف منهم (وَالَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ) بين فى الآية الأولى أن ذلك من قائله منكر وزور وبين فى الثانية حكم الظهار (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) العود الصيرورة ابتداء أو بناء فمن الأول قوله تعالى: حتى عاد كالعرجون القديم. ومن الثانى: وإن عدتم عدنا. ويعدى بنفسه كقولك عدته إذا أتيته وصرت إليه وبحرف الجر بإلى وعلى وفى واللام كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ومنه ثم يعودون لما قالوا أى يعودون لنقض

ماقالوا أو لتداركه على حذف المضاف وعن ثعلبة يعودون لتحليل ماحرموا على حذف المضاف أيضا غير أنه أراد بما قالوا ما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كقوله ونرثه ما يقول أراد المقول فيه وهو المال والولد ثم اختلفوا أن النقض بماذا يحصل فعندنا بالعزم على الوطء وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة وعند الشافعى بمجرد الإمساك وهو أن لايطلقها عقيب الظهار (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) فعليه اعتاق رقبة مؤمنة أو كافرة ولم يجز المدبر وأم الولد والمكاتب الذى أدى شيئا (مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا) الضمير يرجع إلى مادل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها والمماسة الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أونظر إلى فرجها بشهوة (ذَٰلِكُمْ) الحكم (تُوعَظُونَ بِهِ) لأن الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لاتعودوا إلى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) والظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى وإذا وضع موضع أنت عضوا منها يعبر به عن الجملة أو مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر إليه من الأم كالبطن والفخذ أو مكان الأم ذات رحم محرم منه بنسب أو رضاع أو صهر أو جماع نحو أن يقول أنت على كظهر أختى من الرضاع أوعمتى من النسب أو امرأة ابنى أوأبى أو أم امرأتى أو ابنتها فهو مظاهر وإذا امتنع المظاهر من الكفارة للمرأة أن ترافعه وعلى القاضى أن يجبره على أن يكفر وأن يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس إلا كفارة الظهار لأنه يضر بها فى ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فإن مس قبل أن يكفر استغفر الله ولا يعود حتى يكفر وإن أعتق بعض الرقبة ثم مس عليه أن يستأنف عند أبى حنيفة رضى الله عنه (فَمَن لَّمْ يَجِدْ) الرقبة (فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ) فعليه صيام شهرين (مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ) الصيام (فَإِطْعَامُ) فعليه إطعام (سِتِّينَ مِسْكِينًا) لكل مسكين نصف صاع من بر أوصاع من غيره ويجب أن يقدمه على المسيس ولكن لا يستأنف إن جامع فى خلال الإطعام (ذَٰلِكَ) البيان والتعليم للأحكام (لِتُؤْمِنُوا) لتصدقوا (بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) فى العمل بشرائعه التى شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم (وَتِلْكَ) أى الأحكام التى وصفنا فى الظهار والكفارة

(حُدُودُ اللهِ) التى لا يجوز تعديها (وَلِلْكَـٰفِرِينَ) الذين لا يتبعونها (عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ) يعادون ويشاقون (كُبِتُوا) أخزوا وأهلكوا (كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) من أعداء الرسل (وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ) تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (وَلِلْكَـٰفِرِينَ) بهذه الآيات (عَذَابٌ مُّهِينٌ) يذهب بعزهم وكبرهم (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ) منصوب بمهين أو بإضمار اذكر تعظيما لليوم (اللهُ جَمِيعاً) كلهم لا يترك منهم أحدا غير مبعوث أومجتمعين فى حال واحدة (فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا) تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزى على رءوس الأشهاد (أَحْصَـٰهُ اللهُ) أحاط به عددا لم يفته منه شىء (وَنَسُوهُ) لأنهم تهاونوا به حين ارتكبوه وإنما تحفظ معظمات الأمور (وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ) لايغيب عنه شىء (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مَا يَكُونُ) من كان التامة أى ما يقع (مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ) النجوى التناجى وقد أضيفت إلى ثلاثة أى من نجوى ثلاثة نفر (إِلَّا هُوَ) أى الله (رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ) ولا أقل (مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ) يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ماهم فيه وقد تعالى عن المكان علوا كبيرا وتخصيص الثلاثة والخمسة لأنها نزلت فى المنافقين وكانوا يتحلقون للتناجى مغايظة للمؤمنين على هذين العددين وقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة ولا أدنى من عدديهم ولا أكثر إلا والله معهم يسمع مايقولون ولأن أهل التناجى فى العادة طائفة من أهل الرأى والتجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا إلى خمسة إلى ستة إلى مااقتضته الحال فذكر عزوعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا أدنى من ذلك فدل على الاثنين والأربعة وقال ولا أكثر فدل على ما يقارب هذا العدد (أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ) فيجازيهم عليه (إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ) كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين ويريدون أن يغيظوهم ويوهموهم فى نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا فنهاهم رسول الله ﷺ فعادوا لمثل فعلهم وكان

تناجيهم بماهو إثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته، وينتجون حمزة وهو بمعنى الأول (وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ) يعنى أنهم يقولون فى تحيتك السام عليك يامحمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ، ويا أيها الرسول، ويا أيها النبى (وَيَقُولُونَ فِى أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ) أى يقولون فيما بينهم لو كان نبيا لعاقبنا الله بما نقوله فقال الله تعالى (حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ) عذابا (يَصْلَوْنَهَا) حال أى يدخلونها (فَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع جهنم (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) بألسنتهم وهو خطاب للمنافقين والظاهر أنه خطاب للمؤمنين (إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ) أى إذا تناجيتم فلا تشبهوا باليهود والمنافقين فى تناجيهم بالشر (وَتَنَٰجَوْا بِالْبِرِّ) بأداء الفرائض والطاعات (وَالتَّقْوَىٰ) وترك المعاصى (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) للحساب فيجازيكم بما تتناجون به من خير أوشر (إِنَّمَا النَّجْوَىٰ) بالإثم والعدوان (مِنَ الشَّيْطَٰنِ) من تزيينه (لِيَحْزُنَ) أى الشيطان وبضم الياء نافع (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ) الشيطان أوالحزن (بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بعلمه وقضائه وقدره (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) أى يكلون أمرهم إلى الله ويستعيذون به من الشيطان (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى الْمَجَٰلِسِ) [فى المجلس] توسعوا فيه ، فى المجالس عاصم ونافع والمراد مجلس رسول الله ﷺ وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهى مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال . مقاتل فى صلاة الجمعة (فَافْسَحُوا) فوسعوا (يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ) مطلق فى كل ما يبتغى الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك (وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا) انهضوا للتوسعة على المقبلين أو انهضوا عن مجلس رسول الله ﷺ إذا أمرتم بالنهوض عنه أو انهضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال الخير (فَانشُزُوا) بالضم فيهما مدنى وشامى وعاصم غير حماد (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ) بامتثال أوامره وأوامر رسوله (وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) والعالمين منهم خاصة (دَرَجَٰتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) وفى الدرجات قولان أحدهما فى الدنيا فى المرتبة والشرف والآخر فى الآخرة وعن ابن مسعود

رضى الله عنه أنه كان إذا قرأها قال : يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم وعن النبي ﷺ : فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وعنه ﷺ: عبادة العالم يوما واحدا تعدل عبادة العابد أربعين سنة. وعنه ﷺ : يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء. فأعظم بمرتبة هى واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله ﷺ وعن ابن عباس رضى الله عنهما : خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه وقال ﷺ : أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام ياإبراهيم إنى عليم أحب كل عليم. وعن بعض الحكماء ليت شعرى أى شىء أدرك من فاته العلم وأى شىء فات من أدرك العلم. وعن الزبيرى العلم ذكر فلا يحبه إلا ذكورة الرجال والعلوم أنواع فأشرفها أشرفها معلوما (يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ) إذا أردتم مناجاته (فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً) أى قبل نجواكم وهى استعارة ممن له يدان كقول عمر رضى الله عنه من أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته (ذَٰلِكَ) التقديم (خَيْرٌ لَّكُمْ) فى دينكم (وَأَطْهَرُ) لأن الصدقة طهرة (فَإِن لَّمْ تَجِدُوا) ما تتصدقون به (فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) فى ترخيص المناجاة من غير صدقة قيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان إلا ساعة من نهار ثم نسخ وقال على رضى الله عنه هذه آية من كتاب الله ما عمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى كان لى دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم وسألت رسول الله ﷺ عشر مسائل فأجابنى عنها قلت يارسول الله ماالوفاء، قال : التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله. قلت وماالفساد، قال: الكفر والشرك بالله. قلت وماالحق قال: الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك. قلت وما الحيلة قال : ترك الحيلة. قلت وما علىّ قال: طاعة الله وطاعة رسوله قلت وكيف أدعو الله تعالى قال بالصدق واليقين قلت وماذا أسأل الله قال العافية قلت وماأصنع لنجاة نفسى قال: كل حلالا وقل صدقا قلت وما السرور قال: الجنة قلت وما الراحة قال: لقاء الله. فلما فرغت منها نزل نسخها (ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ) أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الإنفاق الذى تكرهونه (فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا) ما أمرتم به وشق عليكم (وَتَابَ ٱللَّهُ

عَلَيْكُمْ) أى خفف عنكم وأزال عنكم المؤاخذة بترك تقديم الصدقة على المناجاة كما أزال المؤاخذة بالذنب عن التائب عنه (فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ) أى فلا تفرطوا فى الصلاة والزكاة وسائر الطاعات (وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) وهذا وعد ووعيد (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم) كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم فى قوله من لعنه الله وغضب عليه وينقلون إليهم أسرار المؤمنين (مَّا هُم مِّنكُمْ) يا مسلمون (وَلَا مِنْهُمْ) ولا من اليهود كقوله: مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء (وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ) أى يقولون والله إنا لمسلمون لا منافقون (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم كاذبون منافقون (أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) نوعا من العذاب متفاقا (إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى إنهم كانوا فى الزمان الماضى مصرين على سوء العمل أو هى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة (اتَّخَذُوا أَيْمَـٰنَهُمْ) الكاذبة (جُنَّةً) وقاية دون أموالهم ودمائهم (فَصَدُّوا) الناس فى خلال أمنهم وسلامتهم (عَن سَبِيلِ اللهِ) عن طاعته والإيمان به (فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) وعدهم العذاب المخزى لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ اللهِ) من عذاب الله (شَيْئًا) قليلا من الإغناء (أُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ) أى لله فى الآخرة أنهم كانوا مخلصين فى الدنيا غير منافقين (كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ) فى الدنيا على ذلك (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ) فى الدنيا (عَلَىٰ شَيْءٍ) من النفع أو يحسبون أنهم على شىء من النفع ثم بأيمانهم الكاذبة كما انتفعوا ههنا (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَـٰذِبُونَ) حيث استوت حالهم فيه فى الدنيا والآخرة (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَـٰنُ) استولى عليهم (فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ) قال شاه الكرمانى علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والمشارب والملابس ويشغل قلبه عن التفكر فى آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان ويشغل لبه عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها (أُولَـٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَـٰنِ) جنده (أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَـٰنِ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ

اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰئِكَ فِى الْأَذَلِّينَ) فى جملة من هو أذل خلق الله تعالى لا ترى أحـدا أذل منهم (كَتَبَ اللَّهُ) فى اللوح (لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِى) بالحجة والسيف أو بأحدهما (إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ) لا يمتنع عليه ما يريد (عَزِيزٌ) غالب غير مغلوب (لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَآدُّونَ) هو مفعول ثان لتجد أو حال أو صفة لقوما وتجـد بمعنى تصادف على هذا (مَنْ حَآدَّ اللَّهَ) خالفه وعاداه (وَرَسُولَهُ) أى من الممتنع أن تجـد قوما مؤمنين يوالون المشركين والمراد أنه لاينبغى أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة فى الزجر عن مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (وَلَوْ كَانُوا ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) وبقوله (أُوْلَٰئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمَٰنَ) أى أثبته فيها وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله (وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ) أى بكتاب أنزله فيه حياة لهم ويجوز أن يكون الضمير للإيمان أى بروح من الإيمان على أنه فى نفسه روح لحياة القلوب به . وعن الثورى أنه قال كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن أبى رواد أنه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه وتلاها وقال سهل من صحح إيمانه وأخلص توحيده فإنه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه ويظهر له من نفسه العـداوة ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ومن أجاب مبتدعا لطلب عز الدنيا أوغناها أذله الله بذلك العز وأفقره بذلك الغنى ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه ومن لم يصـدق فليجرب (وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بتوحيدهم الخالص وطاعتهم (وَرَضُوا عَنْهُ) بثوابه الجسيم فى الآخرة أو بما قضى عليهم فى الدنيا (أُوْلَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ) أنصار حقه ودعاة خلقه (أَلَآ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الباقون فى النعيم المقيم الفائزون بكل محبوب الآمنون من كل مرهوب .

﴿ سورة الحشر مدنية وهى أربع وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) روى أن هذه السورة نزلت بأسرها فى بنى النضير وذلك أن النبي ﷺ حين قدم المدينة صالح بنو النضير رسول الله ﷺ على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا: هو النبي الذى نعته فى التوراة فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الأشرف فى أربعين راكبا إلى مكة فحالف أبا سفيان عند الكعبة فأمر ﷺ محمد بن مسلمة الأنصارى فقتل كعبا غيلة ثم خرج ﷺ مع الجيش إليهم فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة وأمر بقطع نخيلهم فلما قذف الله الرعب فى قلوبهم طلبوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ماشاءوا من متاعهم فجلوا إلى الشام إلى أريحاء وأذرعات (هُوَ الَّذِىٓ أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتٰبِ) يعنى يهود بنى النضير (مِن دِيٰرِهِمْ) بالمدينة واللام فى (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) تتعلق بأخرج وهى اللام فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى. وقولك جئته لوقت كذا. أى أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم إلى الشأم وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشأم أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم إجلاء عمر إياهم من خيبر إلى الشام أو آخر حشرهم حشر يوم القيامة قال ابن عباس رضى الله عنهما من شك أن المحشر بالشأم فليقرأ هذه الآية فهم الحشر الأول وسائر الناس الحشر الثانى وقال لهم رسول الله ﷺ لما خرجوا «امضوا فإنكم أول الحشر ونحن على الأثر». قتادة: إذا كان آخر الزمان جاءت نار من قبل المشرق فحشرت الناس إلى أرض الشأم وبها تقوم عليهم القيامة. وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم رسول ﷺ (مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا) لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم (وَظَنُّوٓا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ) أى ظنوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذى جاء عليه

أن فى تقديم الخبر على المبتدأ دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم وفى تصيير ضميرهم اسما لأن وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع فى منازلتهم وليس ذلك فى قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم (فَأَتَىٰهُمُ اللَّهُ) أى أمر الله وعقابه وفى الشواذ فآتاهم الله أى فآتاهم الهلاك (مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف غرة على يد أخيه رضاعا (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) الخوف (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) يخربون أبو عمرو والتخريب والإخراب الإفساد بالنقض والهدم والخربة الفساد وكانوا يخرّبون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأفتهم وأن لا تبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديّار والذى دعاهم إلى التخريب حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الأزقة وأن لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وأن ينقلوا معهم ما كان فى أبنيتهم من جيد الخشب والساج وأما المؤمنون فداعيهم إلى التخريب إزالة متحصنهم وأن يتسع لهم مجال الحرب ومعنى تخريبهم لها بأيدى المؤمنين أنهم لما عرضوهم بنكث العهد لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم إياه (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) أى فتأملوا فيما نزل بهؤلاء والسبب الذى استحقوا به ذلك فاحذروا أن تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم وهذا دليل على جواز القياس (وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ) الخروج من الوطن مع الأهل والولد (لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (وَلَهُمْ) سواء أجلوا أوقتلوا (فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ) الذى لا أشد منه (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ) أى إنما أصابهم ذلك بسبب أنهم (شَاقُّوا اللَّهَ) خالفوه (وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ) ورسوله (فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ) هو بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كأنه قيل أى شىء قطعتم وأنث الضمير الراجع إلى ما فى قوله (أَوْ تَرَكْتُمُوهَا) لأنه فى معنى اللينة ، واللينة : النخلة من الألوان وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين (قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ) فقطعها وتركها بإذن الله (وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ) وليذل اليهود ويغيظهم أذن

فى قطعها (وَمَآ أَفَآءَ اللّٰهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ) جعله فيئاً له خاصة (مِنْهُمْ) من بنى النضير (فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) فلم يكن ذلك بإيجاف خيل أو ركاب منكم على ذلك والركاب الإبل والمعنى فما أوجفتم على تحصيله وتغنيمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم فى القتال عليه وإنما مشيتم إليه على أرجلكم لأنه على ميلين من المدينة وكان ﷺ على حمار فحسب (وَلَـٰكِنَّ اللّٰهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ) يعنى أن ما خوّل الله رسوله من أموال بنى النضير شىء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما فى أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم فالأمر فيه مفوض إليه يضعه حيث يشاء ولا يقسمه قسمة الغنائم التى قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرا فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة منهم لفقرهم (وَاللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ مَّآ أَفَآءَ اللّٰهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَـٰمَىٰ وَالْمَسَـٰكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) إنما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لأنها بيان للأولى فهى منها غير أجنبية عنها بين لرسول الله ﷺ ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الأقسام الخمسة وزيف هذا القول بعض المفسرين وقال الآية الأولى نزلت فى أموال بنى النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة وهذه الآية فى غنائم كل قرية تؤخذ بقوة الغزاة وفى الآية بيان مصرف خمسها فهى مبتدأة (كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةً) تكون دولة يزيد على كان التامة والدولة والدولة مايدول للإنسان أى يدور من الجد ومعنى قوله كيلا يكون دولة (بَيْنَ الْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ) كيلا يكون الفىء الذى حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الأغنياء يتكاثرون به (وَمَآ ءَاتَـٰكُمُ الرَّسُولُ) أى أعطاكم من قسمة غنيمة أو فىء (فَخُذُوهُ) فاقبلوه (وَمَا نَهَـٰكُمْ عَنْهُ) عن أخذه منها (فَانتَهُوا) عنه ولا تطلبوه (وَاتَّقُوا اللّٰهَ) أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه (إِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن خالف رسول الله ﷺ والأجود أن يكون عاما فى كل ما آتى رسول الله ﷺ ونهى عنه وأمر الفىء داخل فى عمومه (لِلْفُقَرَآءِ) بدل من قوله ولذى القربى والمعطوف عليه والذى منع الإبدال من لله وللرسول وإن كان المعنى لرسول الله إن الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء فى قوله وينصرون الله ورسوله وأنه يترفع برسول

الله عن التسمية بالفقير وأن الإبدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب فى تعظيم الله عزوجل (الْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ) بمكة وفيه دليل على أن الكفار يملكون بالاستيلاء أموال المسلمين لأن الله تعالى سمى المهاجرين فقراء مع أنه كانت لهم ديار وأموال (يَبْتَغُونَ) حال (فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا) أى يطلبون الجنة ورضوان الله (وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ) أى ينصرون دين الله ويعينون رسوله (أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ) فى إيمانهم وجهادهم (وَٱلَّذِينَ) معطوف على المهاجرين وهم الأنصار (تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ) توطنوا المدينة (وَٱلْإِيمَٰنَ) وأخلصوا الإيمان كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * أو وجعلوا الإيمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك أو أراد دار الهجرة ودار الإيمان فأقام لام التعريف فى الدار مقام المضاف إليه وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه (مِن قَبْلِهِمْ) من قبل المهاجرين لأنهم سبقوهم فى تبوىء دار الهجرة والإيمان وقيل من قبل هجرتهم (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ) حتى شاطروهم أموالهم وأنزلوهم منازلهم ونزل من كانت له امرأتان عن إحداهما حتى تزوج بها رجل من المهاجرين (وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا) ولا يعلمون فى أنفسهم طلب محتاج إليه مما أوتى المهاجرون من الفىء وغيره والمحتاج إليه يسمى حاجة يعنى أن نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح إلى شىء منه تحتاج إليه وقيل حاجة حسدا مما أعطى المهاجرون من الفىء حيث خصهم النبى ﷺ به وقيل لا يجدون فى صدورهم مس حاجة من فقد ما أوتوا فحذف المضافان (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) فقر وأصلها خصاص البيت وهى فروجه والجملة فى موضع الحال أى مفروضة خصاصتهم روى أنه نزل برجل منهم ضيف فنوّم الصبية وقرّب الطعام وأطفأ المصباح ليشبع ضيفه ولا يأكل هو وعن أنس أهدى لبعضهم رأس مشوى وهو مجهود فوجهه إلى جاره فتداولته تسعة أنفس حتى عاد إلى الأول أبو زيد قال لى شاب من أهل بلخ ما الزهد عندكم قلت إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ بل إذا فقدنا صبرنا وإذا وجدنا آثرنا (وَمَن يُوقَ شُحَّ

نفسه فأولئك هم المفلحون) الظافرون بما أرادوا والشح اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع وأما البخل فهو المنع نفسه وقيل الشح أكل مال أخيك ظلما والبخل منع مالك وعن كسرى الشح أضر من الفقر لأن الفقير يتسع إذا وجد بخلاف الشحيح (والذين جاءوا من بعدهم) عطف أيضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون بإحسان وقيل من بعدهم إلى يوم القيامة قال عمر رضى الله عنه دخل فى هذا الفىء كل من هو مولود إلى يوم القيامة فى الإسلام فجعل الواو للعطف فيهما وقرئ للذين فيهما (يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) قيل هم المهاجرون والأنصار عائشة رضى الله عنها أمروا بأن يستغفروا لهم فسبوهم (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) حقدا (للذين آمنوا) يعنى الصحابة (ربنا إنك رءوف رحيم) وقيل لسعيد بن المسيب ماتقول فى عثمان وطلحة والزبير قال أقول ماقولنيه الله وتلى هذه الآية ثم عجب نبيه بقوله (ألم تر إلى الذين نافقوا) أى ألم تر يا محمد إلى عبد الله بن أبىّ وأشياعه (يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى بنى النضير والمراد إخوة الكفر (لئن أخرجتم) من دياركم (لنخرجن معكم) روى أن ابن أبىّ وأصحابه دسوا إلى بنى النضير حين حاصرهم النبي ﷺ لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم (ولا نطيع فيكم) فى قتالكم (أحدا أبدا) من رسول الله والمسلمين إن حملنا عليه أو فى خذلانكم وإخلاف ما وعدناكم من النصرة (وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون) فى مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لأنه إخبار بالغيب (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون) إنما قال ولئن نصروهم بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم على الفرض والتقدير كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم مالا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لاينصرون بعد ذلك أى يهلكهم الله ولاينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين (لأنتم أشد رهبة) أى أشد مرهوبية مصدر رهب المبنى

المفعول وقوله (فِى صُدُورِهِم) دلالة على نفاقهم يعنى أنهم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله وأنتم أهيب فى صدورهم (مِّنَ اللهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ) لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته (لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ) لا يقدرون على مقاتلتكم (جَمِيعاً) مجتمعين يعنى اليهود والمنافقين (إِلاَّ) كائنين (فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ) بالخنادق والدروب (أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ) جدار مكى وأبو عمرو (بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ) يعنى أن البأس الشديد الذى يوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لأن الشجاع يجبن عند محاربة الله ورسوله (تَحْسَبُهُمْ) أى اليهود والمنافقين (جَمِيعاً) مجتمعين ذوى ألفة واتحاد (وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ) متفرقة لا ألفة بينها يعنى أن بينهم إحنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد وهذا تحسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم (ذَٰلِكَ) التفرق (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ) أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم (كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) أى مثلهم كمثل أهل بدر فحذف المبتدأ (قَرِيباً) أى استقروا من قبلهم زمنا قريبا (ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله ﷺ من قولهم كلأ وبيل وخيم سيء العاقبة يعنى ذاقوا عذاب القتل فى الدنيا (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أى ولهم مع ذلك فى الآخرة عذاب النار (كَمَثَلِ الشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَٰنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّى أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَٰلَمِينَ) أى مثل المنافقين فى إغرائهم اليهود على القتال ووعدهم إياهم النصر ثم متاركتهم لهم وإخلافهم كمثل الشيطان إذا استغوى الإنسان بكيده ثم تبرأ منه فى العاقبة وقيل المراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم إلى قوله إنى برىء منكم (فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ) عاقبة الإنسان الكافر والشيطان (أَنَّهُمَا فِى النَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا) عاقبتهما خبر كان مقدم وأن مع اسمها وخبرها أى فى النار فى موضع الرفع على الاسم وخالدين حال (وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا الظَّٰلِمِينَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ) فى أوامره فلا تخالفوها (وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ) نكر النفس تقليلا للأنفس النواظر فيما قدّمن للآخرة (مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) يعنى يوم القيامة سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له أو عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد وتنكيره لتعظيم أمره

أى لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ماعملنا ربحنا ماقدما خسرنا ماخلفنا (وَاتَّقُوا اللهَ) كرر الأمر بالتقوى تأكيدا أواتقوا الله فى أداء الواجبات لأنه قرن بما هو عمل واتقوا الله فى ترك المعاصى لأنه قرن بما يجرى مجرى الوعيد وهو (إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) وفيه تحريض على المراقبة لأن من علم وقت فعله أن الله مطلع على ما يرتكب من الذنوب يمتنع عنه (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ) تركوا ذكر الله عز وجل وماأمرهم به (فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ) فتركهم من ذكره بالرحمة والتوفيق (أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) الخارجون عن طاعة الله (لَا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ) هذا تنبيه للناس وإيذان بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة وتهالكهم على إيثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وأن الفوز العظيم مع أصحاب الجنة والعذاب الأليم مع أصحاب النار فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الأبوة الذى يقتضى البر والتعطف وقد استدلت الشافعية بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر وأن الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء وقد أجبنا عن مثل هذا فى أصول الفقه والكافى (لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ) أى من شأن القرآن وعظمته أنه لو جعل فى الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن لخشع أى لخضع وتطأطأ وتصدع أى تشقق من خشية الله وجائز أن يكون هذا تمثيلا كما فى قوله إنا عرضنا الأمانة ويدل عليه قوله (وَتِلْكَ الْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) وهى إشارة إلى هذا المثل وإلى أمثاله فى مواضع من التنزيل والمراد توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره ثم رد على من أشرك وشبهه بخلقه فقال (هُوَ اللهُ الَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ) أى السر والعلانية أو الدنيا والآخرة أو المعدوم والموجود (هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللهُ الَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ) الذى لا يزول ملكه (الْقُدُّوسُ) المنزه عن القبائح وفى تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح (السَّلَٰمُ) الذى سلم الخلق من ظلمه عن الزجاج (الْمُؤْمِنُ) واهب

الأمن وعن الزجاج الذى آمن الخلق من ظلمه أو المؤمن من عذابه من أطاعه (الْمُهَيْمِنُ) الرقيب على كل شيء الحافظ له مفيعل من الأمن إلا أن همزته قلبت هاء (الْعَزِيزُ) الغالب غير المغلوب (الْجَبَّارُ) العالى العظيم الذى يذل له من دونه أو العظيم الشأن فى القـــدرة والسلطان أو القهار ذو الجبروت (الْمُتَكَبِّرُ) البليغ الكبرياء والعظمة (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) نزه ذاته عما يصفه به المشركون (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ) القدر لما يوجده (الْبَارِئُ) الموجد (الْمُصَوِّرُ) فى الأرحام (لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ) الدالة على الصفات العلا (يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ختم السورة بما بدأ به عن أبى هريرة رضى الله عنه سألت حبيبى رسول الله ﷺ عن الاسم الأعظم فقال: عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته. فأعدت عليه فأعاد علىّ فأعدت عليه فأعاد علىّ .

﴿ سورة الممتحنة مدنية وهى ثلاث عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

روى أن مولاة لأبى عمرو بن صيفى بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله ﷺ بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها : أمسلمة جئت قالت : لا . قال : أفمهاجرة جئت . قالت : لا . قال : فما جاء بك. قالت: احتجت حاجة شديدة فحث عليها بنى عبدالمطلب فكسوها وحملوها وزودوها فأتاها حاطب بن أبى بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا إلى أهل مكة نسخته من حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة اعلموا أن رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله ﷺ عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فأدركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال على والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله ﷺ وسل سيفه وقال أخرجى الكتاب أو تضعى رأسك فأخرجته من عقاص شعرها وروى أن رسول الله ﷺ أمن جميع الناس يوم الفتح إلا أربعة هى أحدهم فاستحضر رسول الله ﷺ حاطبا

وقال: ما حملك عليه ؟ فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولـكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم غيرى فخشيت على أهلى فأردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت أن الله ينزل عليهم بأسه وأن كتابى لا يغنى عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر رضى الله عنه دعنى يا رسول الله أضرب عنق هـذا المنافق فقال ﷺ: وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لـكم ففاضت عينا عمر رضى الله عنه فنزل (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ) عدى اتخذ إلى مفعوليه وهما عدوى وأولياء والعدوّ فعول من عدا كعفوّ من عفا ولـكنه على زنة المصدر أوقع على الجمع إيقاعه على الواحد وفيه دليل على أن الـكبيرة لاتسلب اسم الإيمان (تُلْقُونَ) حال من الضمير فى لا تتخذوا والتقدير لا تتخذوهم أولياء ملقين (إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ) أو مستأنف بعـد وقف على التوبيخ والإلقاء عبارة عن إيصال المودة والإفضاء بها إليهم والباء فى بالمودة زائدة مؤكدة للتعدى كقوله: ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلـكة. أو ثابتة على أن مفعول تلقون محذوف معناه تلقون إليهم إخبار رسول الله ﷺ بسبب المودة التى بينكم وبينهم (وَقَدْ كَفَرُوا) حال من لا تتخذوا أو من تلقون أى لا تتولوهم أو توادونهم وهذه حالهم (بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ) دين الإسلام والقرآن (يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ) استئناف كالتفسير لـكفرهم وعتوهم أو حال من كفروا (أَن تُؤْمِنُوا) تعليل ليخرجون أى يخرجونـكم من مكة لإيمانـكم (بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ) متعلق بلاتتخذوا أى لاتتولوا أعدائى إن كنتم أوليائى وقول[1] النحويين فى مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ماقبله عليه (جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى) مصدر فى موضع الحال أى إن كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى (وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى) ومبتغين مرضاتى (تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ) أى تفضون إليهم بمودتـكم سرا أوتسرون إليهم أسرار رسول الله ﷺ بسبب المودة وهو استئناف (وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ) والمعنى أى طائل لـكم فى أسراركم وقد علمتم أن

---

(١) القول بمعنى المقول وهو مبتدأ خبره هو شرط الخ .

الإخفاء والإعلان سيان فى علمى وأنا مطلع رسولى على ماتسرون (وَمَن يَفْعَلْهُ) أى هذا الإسرار (مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ) فقد أخطأ طريق الحق والصواب (إِن يَثْقَفُوكُمْ) إن يظفروا بكم ويتمكنوا منكم (يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَآءً) خالصى العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم (وَيَبْسُطُوآ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوٓءِ) بالقتل والشتم (وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فإذاً موادة أمثالهم خطأ عظيم منكم والماضى وإن كان يجرى فى باب الشرط مجرى المضارع ففيه نكتة كأنه قيل ودّوا قبل كل شىء كفركم وارتدادكم يعنى أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردكم كفارا أسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم لأنكم بذالون لها دونه والعدو أهم شىء عنده أن يقصد أهم شىء عند صاحبه (لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ) قراباتكم (وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ) الذين توالون الكفار من أجلهم وتتقربون إليهم محاماة عليهم ثم قال (يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ) وبين أقاربكم وأولادكم يوم يفر المرء من أخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفرّ منكم غدا. يَفْصِلُ عاصم. يُفَصِّلُ حمزة وعلى والفاعل هو الله عز وجل يُفَصَّلُ ابن ذكوان غيرهم يُفْصَلُ (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم على أعمالكم (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ) قدوة فى التبرى من الأهل (حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ) أى فى أقواله ولهذا استثنى منها إلا قول إبراهيم (وَالَّذِينَ مَعَهُ) من المؤمنين وقيل كانوا أنبياء (إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا مِنكُمْ) جمع برىء كظريف وظرفاء (وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةُ) بالأفعال (وَالْبَغْضَآءُ) بالقلوب (أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) فحينئذ نترك عداوتكم (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) وذلك لموعدة وعدها إياه أى اقتدوا به فى أقواله ولا تأتسوا به فى الاستغفار لأبيه الكافر (وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَىْءٍ) أى من هداية ومغفرة وتوفيق وهذه الجملة لاتليق بالاستثناء ألا ترى إلى قوله: قل فمن يملك لكم من الله شيئا ولكن المراد استثناء جملة قوله لأبيه والقصد إلى موعد الاستغفار له وما بعده تابع له كأنه قال أستغفر لك وما فى طاقتى إلا الاستغفار (رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا) متصل بما قبل

الاستثناء وهو من جملة الأسوة الحسنة وقيل معناه قولوا ربنا فهو ابتداء أمر من الله للمؤمنين بأن يقولوه (وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا) أقبلنا (وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) المرجع (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا) أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب (وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) أي الغالب الحاكم (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) ثم كرر الحث على الائتساء بإبراهيم عليه السلام وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذا جاء به مصدرا بالقسم لأنه الغاية في التأكيد وأبدل من قوله لكم قوله لمن كان يرجو الله أي ثوابه أي يخشى الله وعقبه بقوله (وَمَن يَتَوَلَّ) يعرض عن أمرنا ويوال الكفار (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ) عن الخلق (الْحَمِيدُ) المستحق للحمد فلم يترك نوعا من التأكيد إلا جاء به ولما أنزلت هذه الآيات وتشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين أطمعهم في تحول الحال إلى خلافه فقال (عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم) أي من أهل مكة من أقربائكم (مَّوَدَّةً) بأن يوفقهم للإيمان فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بأمنيتهم فأسلم قومهم وتم بينهم التحاب وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى أولعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك أو أريد به إطماع المؤمنين (وَاللَّهُ قَدِيرٌ) على تقليب القلوب وتحويل الأحوال وتسهيل أسباب المودة (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) لمن أسلم من المشركين (لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ) تكرموهم وتحسنوا إليهم قولا وفعلا ومحل أن تبروهم جر على البدل من الذين لم يقاتلوكم وهو بدل اشتمال والتقدير عن بر الذين (وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ) وتقضوا إليهم بالقسط ولا تظلموهم وإذا نهى عن الظلم في حق المشرك فكيف في حق المسلم (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ) هو بدل من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وإنما ينهاكم عن تولي هؤلاء (وَمَن يَتَوَلَّهُمْ) منكم (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) حيث وضعوا التولي غير موضعه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ) سماهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة أو لأنهن مشارفات لثبات إيمانهن

بالامتحان (مُهَاجِرَاتٍ) نصب على الحال (فَامْتَحِنُوهُنَّ) فابتلوهن بالنظر فى الأمارات ليغلب على ظنونكم صدق إيمانهن وعن ابن عباس امتحانها أن تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ) منكم فإنكم وإن رزتم أحوالهن لا تعلمون ذلك حقيقة وعند الله حقيقة العلم به (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ) العلم الذى تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بظهور الأمارات وتسمية الظن علما يؤذن بأن الظن الغالب وما يفضى إليه القياس جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل فى قوله ولا تقف ما ليس لك به علم (فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ) فلا تردوهن إلى أزواجهن المشركين (لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ) أى لا حل بين المؤمنة والمشرك لوقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة (وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا) وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا إليهن من المهور نزلت الآية بعد صلح الحديبية وكان الصلح قد وقع على أن يرد على أهل مكة من جاء مؤمنا منهم فأنزل الله هذه الآية بيانا لأن ذلك فى الرجال لا فى النساء لأن المسلمة لا تحل للكافر وقيل نسخت هذه الآية الحكم الأول (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ) ثم نفى عنهم الجناح فى تزوج هؤلاء المهاجرات (إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) اى مهورهن لأن المهر أجر البضع وبه احتج أبو حنيفة رضى الله عنه على أن لا عدة على المهاجرة (وَلَا تُمْسِكُوا) ولا تمسّكوا بصرى (بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ) العصمة ما يعتصم به من عقد وسبب والكوافر جمع كافرة وهى التى بقيت فى دار الحرب أو لحقت بدار الحرب مرتدة أى لا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية. قال ابن عباس رضى الله عنهما: من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدّنّ بها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها منه (وَسْئَلُوا مَآ أَنفَقْتُمْ) من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها (وَلْيَسْئَلُوا مَآ أَنفَقُوا) من مهور نسائهم المهاجرات ممن تزوجها منا (ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللهِ) أى جميع ما ذكر فى هذه الآية (يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أى يحكمه الله أو جعل الحكم حاكما على المبالغة وهو منسوخ فلم يبق سؤال المهر لا منا ولا منهم (وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ) وإن انفلت أحد منهن إلى الكفار وهو فى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه أحد

(فَعَاقَبْتُمْ) فأصبتموهم فى القتال بعقوبة حتى غنمتم من الزواج (فَـَٔاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا) فأعطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار الحرب مهور زوجاتهم من هذه الغنيمة (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ) وقيل هذا الحكم منسوخ أيضا (يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ الْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ) حال (عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ) يريد وأد البنات (وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذى تلصقه بزوجها كذبا لأن بطنها الذى تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذى تلده به بين الرجلين (وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ) طاعة الله ورسوله (فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ) عما مضى (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) بتمحيق ما سلف (رَّحِيمٌ) بتوفيق ما ائتنف وروى أن رسول الله ﷺ لما فرغ من فتح مكة من بيعة الرجال أخذ فى بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد أسفل منه يبايعهن عنه بأمره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبى سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله ﷺ أن يعرفها لما صنعت بحمزة فقال عليه السلام: أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً. فبايع عمر النساء على أن لا يشركن بالله شيئا فقال عليه السلام: ولا يسرقن فقالت هند إن أبا سفيان رجل شحيح وإنى أصبت من ماله هنات فقال أبو سفيان ما أصبت فهو لك حلال فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها: إنك لهند. قالت نعم فاعف عما سلف يانبى الله عفا الله عنك فقال: ولا يزنين. فقالت أو تزنى الحرة فقال: ولا يقتلن أولادهن. فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله ﷺ فقال: ولا يأتين ببهتان. فقالت والله إن البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق فقال ولا يعصينك فى معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شىء وهو يشير إلى أن طاعة الولاة لا تجب فى المنكر (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) ختم السورة بما بدأ به قيل هم المشركون (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْءَاخِرَةِ) من ثوابها لأنهم ينكرون البعث (كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ) أى كما يئسوا إلا

أنه وضع الظاهر موضع الضمير (مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ) أن يرجعوا إليهم أو كما يئس أسلافهم الذين هم فى القبور من الآخرة أى هؤلاء كسلفهم وقيل هم اليهود أى لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من أن يكون لهم حظ فى الآخرة لعنادهم رسول الله ﷺ وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت فى التوراة كما يئس الكفار من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء وقيل من أصحاب القبور بيان للكفار أى كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لأنهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم والله أعلم .

﴿ سورة الصف مدنية وهى أربع عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) روى أنهم قالوا قبل أن يؤمروا بالجهاد لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه فنزلت آية الجهاد فتباطأ بعضهم فنزلت (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) لم هى لام الإضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر فى قولك بم وفيم ومم وعم وإلام وعلام وإنما حذفت الألف لأن ما واللام أو غيرها كشىء واحد وهو كثير الاستعمال فى كلام المستفهم وقد جاء استعمال الأصل قليلا قال * على ما قام يشتمنى جرير * والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان ومن أسكن فى الوصل فلإجرائه مجرى الوقف (كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ) قصد فى كبر التعجب من غير لفظه كقوله * غلت ناب كليب بواؤها * ومعنى التعجب تعظيم الأمر فى قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من شىء خارج عن نظائره وأسند إلى أن تقولوا ونصب مقتا على التمييز وفيه دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه والمعنى كبر قولكم ما لا تفعلون مقتا عند الله واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض وعن بعض السلف أنه قيل له حدثنا فقال أتأمروننى أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله ثم أعلم الله عز وجل ما يحبه فقال (إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا) أى صافين أنفسهم مصدر وقع موقع الحال (كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ)

لاصق بعضه ببعض وقيل أريد به استواء نياتهم فى حرب عدوهم حتى يكونوا فى اجتماع الكلمة كالبنيان الذى رص بعضه إلى بعض وهو حال أيضا (وَإِذْ) منصوب باذكر (قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي) بجحود الآيات والقذف بما ليس فىّ (وَقَد تَّعْلَمُونَ) فى موضع الحال أى لم تؤذوننى عالمين علما يقينا (أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) وقضية علمكم بذلك توقيرى وتعظيمى لا أن تؤذونى (فَلَمَّا زَاغُوا) مالوا عن الحق (أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) من الهداية أو لما تركوا أوامره نزع نور الإيمان من قلوبهم أو فلما اختاروا الزيغ أزاغ الله قلوبهم أى خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) أى لا يهدى من سبق فى علمه أنه فاسق (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ) ولم يقل ياقوم كما قال موسى لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) أى أرسلت إليكم فى حال تصديقى ماتقدمنى من التوراة وفى حال تبشيرى برسول يأتى من بعدى يعنى أن دينى التصديق : التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر بعدىَ حجازى وأبو عمرو وأبو بكر وهو اختيار الخليل وسيبويه وانتصب مصدقا ومبشرا بما فى الرسول من معنى الإرسال (فَلَمَّا جَاءَهُم) عيسى أو محمد عليهما السلام (بِالْبَيِّنَٰتِ) بالمعجزات (قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) ساحر حمزة وعلى (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَٰمِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ) وأىّ الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر والسحر كذب وتمويه (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ) هذا تهكم فى إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم فى القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه والمفعول محذوف واللام للتعليل والتقدير يريدون الكذب ليطفئوا نور الله بأفواههم أى بكلامهم (وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ) مكى وحمزة وعلى وحفص متمٌّ نورَه غيرهم أى متم الحق ومبلغه غايته (وَلَوْ كَرِهَ الْكَٰفِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ) أى الملة الحنيفية (لِيُظْهِرَهُ) ليعليه (عَلَى الدِّينِ

كُلِّهِ) على جميع الأديان المخالفة له ولعمرى لقد فعل فمابقى دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام وعن مجاهد إذا نزل عيسى لم يكن فى الأرض إلا دين الإسلام (وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) تنجّيكم شامى (تُؤْمِنُونَ) استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل؟ فقال تؤمنون وهو بمعنى آمنوا عند سيبويه ولهذا أجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وإنما جيء به على لفظ الخبر للإيذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين (بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ) أى ماذكر من الإيمان والجهاد (خَيْرٌ لَّكُمْ) من أموالكم وأنفسكم (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أموالكم وأنفسكم فتفلحون وتخلصون (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) أى إقامة وخلود يقال عدن بالمكان إذا أقام به كذا قيل (ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا) ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب فى الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم ثم فسرها بقوله (نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) أى عاجل وهو فتح مكة والنصر على قريش أو فتح فارس والروم وفى تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل وقال صاحب الكشف [1] معناه هل أدلكم على تجارة تنجيكم وعلى تجارة أخرى تحبونها ثم قال نصر أى هى نصر (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) عطف على تؤمنون لأنه فى معنى الأمر كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك وقيل هو عطف على قل مرادا قبل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ) أى أنصار دينه أنصارا لله حجازى وأبو عمرو (كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ) ظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى من أنصارى إلى الله ولكنه محمول على المعنى أى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين

---

(١) فى بعض النسخ الكشاف وبمراجعته لم توجد فيه هذه العبارة .

قال لهم من أنصارى إلى الله ومعناه من جندى متوجها إلى نصرة الله ليطابق جواب الحواريين وهو قوله (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ) أى نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصارى من الأنصار الذين يختصون بى ويكونون معى فى نصرة الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا وحوارى الرجل صفيه وخالصه من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أى يبيضونها (فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ) بعيسى (وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ) به (فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ) فقوينا مؤمنيهم على كفارهم (فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) فغلبوا عليهم والله ولى المؤمنين والله أعلم .

﴿ سورة الجمعة مدنية وهى إحدى عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) التسبيح إما أن يكون تسبيح خلقة يعنى إذا نظرت إلى كل شىء دلتك خلقته على وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن الأشباه أو تسبيح معرفة بأن يجعل الله بلطفه فى كل شىء ما يعرف به الله تعالى وينزهه ألا ترى إلى قوله وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم أو تسبيح ضرورة بأن يجرى الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفة له بذلك (هُوَ الَّذِي بَعَثَ) أرسل (فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ) أى بعث رجلا أميا فى قوم أميين وقيل منهم كقوله من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله والأمى منسوب إلى أمة العرب لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرءون من بين الأمم وقيل بدئت الكتابة بالطائف وهم أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الأنبار (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) القرآن (وَيُزَكِّيهِمْ) ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) السنة أو الفقه فى الدين (وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ) من قبل محمد ﷺ (لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) كفر وجهالة وإن مخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أى كانوا فى ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ)

مجرور معطوف على الأميين يعنى أنه بعثه فى الأميين الذين على عهده وفى آخرين من الأميين (لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) أى لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضى الله عنهم أو هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم الدين وقيل هم العجم أو منصوب معطوف على المنصوب فى ويعلمهم أى يعلمهم ويعلم آخرين لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندا إلى أوله فكأنه هو الذى تولى كل ما وجد منه (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فى تمكينه رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم وتأييده عليه واختياره إياه من بين كافة البشر (ذَٰلِكَ) الفضل الذى أعطاه محمدا وهوأن يكون نبى أبناء عصره ونبى أبناء العصور الغوابر هو (فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ) اعطاءه وتقتضيه حكمته (وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ) أى كلفوا علمها والعمل بما فيها (ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا) ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) جمع سفر وهو الكتاب الكبير ويحمل فى محل النصب على الحال أو الجر على الوصف لأن الحمار كاللئيم فى قوله .

* ولقد أمر على اللئيم يسبنى * شبه اليهود فى أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بآياتها وذلك أن فيها نعت رسول الله ﷺ والبشارة به فلم يؤمنوا به بالحمار حمل كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشى بها ولا يدرى منها إلا مايمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله (بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ) أى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله أو بئس مثل القوم المكذبين مثلهم وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد ﷺ (وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) أى وقت اختيارهم الظلم أو لا يهدى من سبق فى علمه أنه يكون ظالما (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا) هاد يهود إذا تهود (إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أى إن كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله أن يميتكم وينقلكم سريعا إلى دار كرامته التى أعدها لأوليائه ثم قال (وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) أى بسبب ماقدموا من الكفر ولا فرق بين لا ولن فى أن كل واحدة منهما نفى للمستقبل إلا أن فى لن تأكيدا وتشديدا ليس

فى لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّـٰلِمِينَ) وعيد لهم (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ) ولا تجسرون أن تتمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم (فَإِنَّهُ مُلَـٰقِيكُمْ) لامحالة والجملة خبر إن ودخلت الفاء لتضمن الذى معنى الشرط (ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ) النداء الأذان ومن بيان لإذا وتفسير له ويوم الجمعة سيد الأيام وفى الحديث: من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر (فَاسْعَوْا) فامضوا وقرىء بها وقال الفراء: السعى والمضى والذهاب واحد وليس المراد به السرعة فى المشى (إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ) أى إلى الخطبة عند الجمهور وبه استدل أبو حنيفة رضى الله عنه على أن الخطيب إذا اقتصر على الحمد لله جاز (وَذَرُوا الْبَيْعَ) أراد الأمر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وإنما خص البيع من بينها لأن يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال فقيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا إلى ذكر الله الذى لا شىء أنفع منه وأربح وذروا البيع الذى نفعه يسير (ذَٰلِكُمْ) أى السعى إلى ذكر الله (خَيْرٌ لَّكُمْ) من البيع والشراء (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ) أى أديت (فَانتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ) أمر إباحة (وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ) الرزق أو طلب العلم أو عيادة المريض أو زيارة أخ فى الله (وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) واشكروه على ما وفقكم لأداء فرضه (لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوٓا إِلَيْهَا) تفرقوا عنك إليها وتقديره وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهوا انفضوا إليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه وإنما خص التجارة لأنها كانت أهم عندهم روى أن اهل المدينة أصابهم جوع وغلاء فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى ﷺ يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه فما بقى معه إلا ثمانية أو اثنا عشر فقال ﷺ: والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لأضرم عليهم الوادى نارا وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو (وَتَرَكُوكَ) على المنبر (قَآئِمًا) تخطب وفيه دليل على أن الخطيب ينبغى أن يخطب قائما (قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ) من الثواب (خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَـٰرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ) أى لا يفوتهم رزق الله بترك البيع فهو خير الرازقين والله أعلم .

﴿سورة المنافقين احدى عشرة آية مدنية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ) أرادوا شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ) أى والله يعلم أن الأمر كما يدل عليه قولهم إنك لرسول الله (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) فى ادعاء المواطأة أو إنهم لكاذبون فيه لأنه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة فهم كاذبون فى تسميته شهادة أو إنهم لكاذبون عند أنفسهم لأنهم كانوا يعتقدون أن قولهم إنك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) وقاية من السبي والقتل وفيه دليل على أن أشهد يمين (فَصَدُّوا) الناس (عَن سَبِيلِ اللَّهِ) عن الإسلام بالتنفير [1] وإلقاء الشبه (إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفى ساء معنى التعجب الذى هو تعظيم أمرهم عند السامعين (ذَٰلِكَ) إشارة إلى قوله ساء ما كانوا يعملون أى ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالا (بِأَنَّهُمْ) بسبب أنهم (ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا) أو إلى ما وصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستجنان بالأيمان أى ذلك كله بسبب أنهم آمنوا أى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الإسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم إن كان مايقوله محمد حقا فنحن حمير ونحو ذلك أونطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام كقوله: وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا. الآية (فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) نختم عليها حتى لا يدخلها الإيمان جزاء على نفاقهم (فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) لا يتدبرون أو لا يعرفون صحة الإيمان والخطاب فى (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ) لرسول الله أو لكل من يخاطب (وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ) كان ابن أبىّ رجلا جسيما صبيحا فصيحا وقوم من المنافقين فى مثل صفته فكانوا يحضرون

---

(١) فى بعض النسخ بالتنغير بالغين المعجمة أى بالصياح .

مجلس النبي ﷺ فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن فكان النبي ﷺ ومن حضر يعجبون بهيا كلهم ويسمعون إلى كلامهم وموضع (كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ) رفع على هم كأنهم خشب أو هو كلام مستأنف لا محل له (مُسَنَّدَةٌ) إلى الحائط شبهوا فى استنادهم ـ وماهم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير ـ بالخشب المسندة إلى الحائط لأن الخشب إذا انتفع به كان فى سقف أو جدار أوغيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا غير منتفع به أسند إلى الحائط فشبهوا به فى عدم الانتفاع أو لأنهم أشباح بلا أرواح وأجسام بلاأحلام، خشْب أبو عمرو غير عباس وعلى جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) كل صيحة مفعول أول والمفعول الثانى عليهم وتم الكلام أى يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لخيفتهم ورعبهم يعنى إذا نادى مناد فى العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه إيقاعا بهم ثم قال (هُمُ الْعَدُوُّ) أى هم الكاملون فى العداوة لأن أعدى الأعداء العدو المداجى الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (فَاحْذَرْهُمْ) ولا تغترر بظاهرهم (قَاتَلَهُمُ اللهُ) دعاء عليهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) كيف يعدلون عن الحق تعجباً من جهلهم وضلالتهم (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ) عطفوها وأمالوها إعراضا عن ذلك واستكبارا لوَوا بالتخفيف نافع (وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ) يعرضون (وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ) عن الاعتذار والاستغفار روى أن رسول الله ﷺ حين لقى بنى المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتلهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر وسنان الجهنى حليف لابن أبى واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للأنصار فأعان جهجاها جمال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجمال وأنت هناك وقال ما صحبنا محمداً إلا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل عنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ ثم قال لقومه والله لو أمسكتم عن جمال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد على رأسه تاج المعراج فى عز من

الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فإنما كنت ألعب فأخبر زيد رسول الله ﷺ فقال عمر رضى الله عنه دعنى أضرب عنق هـذا المنافق يا رسول الله فقال إذن ترعد أنف كثيرة بيثرب . قال : فإن كرهت أن يقتله مهاجرى فأمر به أنصاريا . قال : فكيف إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبدالله: أنت صاحب الكلام الذى بلغنى . قال : والله الذى أنزل عليك الكتاب ماقلت شيئاً من ذلك وإن زيدا لكاذب فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قدوهم فلما نزلت قال رسول الله ﷺ لزيد: ياغلام إن الله قدصدقك وكذب المنافقين. فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آى شداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوى رأسه فقال أمرتمونى أن أومن فآمنت وأمرتمونى أن أزكى مالى فزكيت وما بقى لى إلا أن أسجد لمحمد، فنزل وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث إلا أياما حتى اشتكى ومات (سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) أى ما داموا على النفاق والمعنى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم أو لأن الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لأن أم المعادلة تدل عليه (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَسِقِينَ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا) يتفرقوا (وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) أى وله الأرزاق والقسم فهورازقهم منها وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم (وَلَٰكِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ) ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون لايفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان (يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ) من غزوة بنى المصطلق (إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ) الغلبة والقوة (وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الأخصاء بذلك كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت فى هيئة رثة ألست على الإسلام وهو العز الذى لا ذل معه والغنى الذى لافقر معه وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أن رجلا قال له: إن الناس يزعمون أن فيك تيها . قال : ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية (وَلَٰكِنَّ

الْمُنَفِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ) لا تشغلكم (أَمْوَٰلُكُمْ) والتصرف فيها والسعى فى تدبير أمرها بالنماء وطلب النتاج (وَلاَ أَوْلَـٰدُكُمْ) وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم (عَن ذِكْرِ اللهِ) أى عن الصلوات الخمس أو عن القرآن (وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ) يريد الشغل بالدنيا عن الدين وقيل من يشتغل بتثمير أمواله عن تدبير أحواله وبمرضاة أولاده عن إصلاح معاده (فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ) فى تجارتهم حيث باعوا الباقى بالفانى (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم) من للتبعيض والمراد بالانفاق الواجب (مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) أى من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الإمهال ويتعذر عليه الإنفاق (فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِى) هلا أخرت موتى (إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ) إلى زمان قليل (فَأَصَّدَّقَ) فأتصدق وهو جواب لولا (وَأَكُن مِّنَ الصَّـٰلِحِينَ) من المؤمنين والآية فى المؤمنين وقيل فى المنافقين وأكون أبو عمرو بالنصب عطفا على اللفظ والجزم على موضع فأصدق كأنه قيل إن أخرتنى أصدق وأكن (وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا) عن الموت (إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا) المكتوب فى اللوح المحفوظ (وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) يعملون حماد ويحيى ، والمعنى أنكم إذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه وأنه هاجم لامحالة وأن الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق إلا المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى والله أعلم بالصواب .

﴿ سورة التغابن ثمانى عشرة آية مختلف فيها ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لأن الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شىء والقائم به وكذا الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده (هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ) أى فمنكم آت بالكفر وفاعل له

ومنكم آت بالإيمان وفاعل له ويدل عليه (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) أى عالم وبصير بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذى تفضل عليكم بأصل النعم الذى هو الخلق والإيجاد من العدم وكان يجب أن تكونوا بأجمكم شاكرين فما بالكم تفرقتم أمما فنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لأنه الأغلب عليهم والأكثر فيهم وهو رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين وقيل هو الذى خلقكم فنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) بالحكمة البالغة وهو أن جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ) أى جعلكم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الإنسان لايتمنى أن تكون صورته على خلاف مايرى من سائر الصور ومن حسن صورته أنه خلق منتصبا غير منكب ومن كان دميا مشوه الصورة سمج الخلقة فلا سماجة ثم ، ولكن الحسن على طبقات فلانحطاطها عما فوقها لا تستملح ولكنها غير خارجة عن حد الحسن وقالت الحكماء . شيئان لا غاية لها ، الجمال والبيان (وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) فأحسنوا سرائركم كما أحسن صوركم (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) نبه بعلمه مافى السموات والأرض ثم بعلمه بما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه بذات الصدور أن شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد وكل ماذكره بعد قوله فنكم كافر ومنكم مؤمن فى معنى الوعيد على الكفر وإنكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته (أَلَمْ يَأْتِكُمْ) الخطاب لكفار مكة (نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ) يعنى قوم نوح وهود وصالح ولوط (فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) أى ذاقوا وبال كفرهم فى الدنيا (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى العقبى (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ماذكر من الوبال الذى ذاقوه فى الدنيا وما أعد لهم من العذاب فى الآخرة (بِأَنَّهُ) بأن الشأن والحديث (كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات (فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا) أنكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة للحجر (فَكَفَرُوا) بالرسل (وَتَوَلَّوا) عن الإيمان (وَّاسْتَغْنَى اللهُ) أطلق ليتناول كل شيء ومن جملته إيمانهم وطاعتهم (وَاللهُ غَنِيٌّ) عن خلقه (حَمِيدٌ) على صنعه

(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى أهل مكة، والزعم ادعاء العلم ويتعدى تعدى العلم (أن لَّن يُبْعَثُوا) أن مع ما فى حيزه قائم مقام المفعولين وتقديره أنهم لن يبعثوا (قُلْ بَلَىٰ) هو إثبات لما بعد لن وهو البعث (وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ) أكد الإخبار باليمين * فإن قلت ما معنى اليمين على شىء أنكروه * قلت هو جائز لأن التهديد به أعظم موقعا فى القلب فكأنه قيل لهم ما تنكرونه كائن لامحالة (ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ) البعث (عَلَى اللهِ يَسِيرٌ) هين (فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ) محمد ﷺ (وَالنُّورِ الَّذِى أَنزَلْنَا) يعنى القرآن لأنه يبين حقيقة كل شىء فيهتدى به كما بالنور (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) فراقبوا أموركم (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ) انتصب الظرف بقوله لتنبؤن أو بإضمار اذكر (لِيَوْمِ الْجَمْعِ) ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون (ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) وهو مستعار من تغابن القوم فى التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الأشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الأشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء كما ورد فى الحديث ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس فى غير ذلك اليوم استعظام له وأن تغابنه هو التغابن فى الحقيقة لا التغابن فى أمور الدنيا (وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا) صفة للمصدر أى عملا صالحا (يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ) وبالنون فيهما مدنى وشامى (جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ) شدة ومرض وموت أهل أو شىء يقتضى هما (إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ) بعلمه وتقديره ومشيئته كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه (وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون أو يشرحه للازدياد من الطاعة والخير أو يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد إن ابتلى صبر وإن أعطى شكر وإن ظلم غفر (وَاللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ) عن طاعة الله وطاعة رسوله (فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ) أى فعليه التبليغ وقد فعل (اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) بعث لرسول الله ﷺ على التوكل عليه حتى ينصره على

من كذبه وتولى عنه (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ) أى إن من الأزواج أزواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ومن الأولاد أولادا يعادون آباءهم ويعقّونهم (فَاحْذَرُوهُمْ) الضمير للعدو أو للأزواج والأولاد جميعا أى لما علمتم أن هؤلاء لا يخلون من عدوّ فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم (وَإِن تَعْفُوا) عنهم إذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها (وَتَصْفَحُوا) تعرضوا عن التوبيخ (وَتَغْفِرُوا) تستروا ذنوبهم (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم سيئاتكم قيل إن ناسا أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا فى الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو (إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ) بلاء ومحنة لأنهم يوقعون فى الإثم والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما (وَاللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ) أى فى الآخرة وذلك أعظم من منفعتكم بأموالكم وأولادكم ولم يدخل فيه من كما فى العداوة لأن الكل لا يخلو عن الفتنة وشغل القلب وقد يخلو بعضهم عن العداوة (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) جهدكم ووسعكم، قيل هو تفسير لقوله حق تقاته (وَاسْمَعُوا) ما توعظون به (وَأَطِيعُوا) فيما تؤمرون به وتنهون عنه (وَأَنفِقُوا) فى الوجوه التى وجبت عليكم النفقة فيها (خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ) أى انفاقا خيرا لأنفسكم. وقال الكسائى يكن الإنفاق خيرا لأنفسكم والأصح أن تقديره ائتوا خيرا لأنفسكم وافعلوا ماهو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر وبيان، لأن هذه الأمور خير لأنفسكم من الأموال والأولاد وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا (وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ) أى البخل بالزكاة والصدقة الواجبة (فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) بنية وإخلاص وذكر القرض تلطف فى الاستدعاء (يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ) يكتب لكم بالواحدة عشرا أو سبعمائة إلى ما شاء من الزيادة (وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ) يقبل القليل ويعطى الجزيل (حَلِيمٌ) يقيل الجليل من ذنب البخيل أو يضعف الصدقة لدافعها ولا يعجل العقوبة لمانعها (عَـٰلِمُ الْغَيْبِ) أى يعلم مااستتر من سرائر القلوب (وَالشَّهَـٰدَةِ) أى ماانتشر من ظواهر الخطوب (الْعَزِيزُ) المعز بإظهار السيوب (الْحَكِيمُ) فى الإخبار عن الغيوب والله أعلم .

﴿ سورة الطلاق مدنية وهى اثنتا عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يَـٰأَيُّهَا النَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ) خص النبى ﷺ بالنداء وعم بالخطاب لأن النبى إمام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم يافلان افعلوا كذا إظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وأنه قدوة قومه فكان هو وحده فى حكم كلهم وسادّا مسد جميعهم وقيل التقدير ياأيها النبى والمؤمنون ومعنى إذا طلقتم النساء إذا أردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الأمر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام «من قتل قتيلا فله سلبه» ومنه: كان الماشى إلى الصلاة والمنتظر لها فى حكم المصلى . (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وفى قراءة رسول الله ﷺ فى قبل عدتهن وإذا طلقت المرأة فى الطهر المتقدم للقرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن تطلق المدخول بهن من المعتدات بالحيض فى طهر لم يجامعهن فيه ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن وهـذا أحسن الطلاق (وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ) واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لانقصان فيهن وخوطب الأزواج لغفلة النساء (وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ) حتى تنقضى عدتهن (مِن بُيُوتِهِنَّ) من مساكنهن التى يسكنها قبل العدة وهى بيوت الأزواج وأضيفت إليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وفيه دليل على أن السكنى واجبة وأن الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيما إذا حلف لا يدخل داره ومعنى الإخراج أن لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن أو لحاجة لهم إلى المساكن وأن لا يأذنوا لهن فى الخروج إذا طلبن ذلك إيذانا بأن إذنهم لا أثر له فى رفع الحظر (وَلَا يَخْرُجْنَ) بأنفسهن إن أردن ذلك (إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ) قيل هى الزنا أى إلا أن يزنين فيخرجن لإقامة الحد عليهن وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة فى نفسه (وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ) أى الأحكام المذكورة (وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِى) أيها المخاطب (لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا) بأن يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه فيراجعها، والمعنى فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ولا تخرجوهن

من بيوتهن لعلكم تندمون فتراجعون (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) قاربن آخر المدة (فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) أى فأنتم بالخيار إن شئتم فالرجعة والإمساك بالمعروف والإحسان وإن شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن يراجعها فى آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للمدة عليها وتعذيبا لها (وَأَشْهِدُوا) يعنى عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الإشهاد مندوب إليه لئلا يقع بينهما التجاحد (ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ) من المسلمين (وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) لوجهه خالصا وذلك أن يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الضرر (ذَالِكُمْ) الحث على إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالقسط (يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أى إنما ينتفع به هؤلاء (وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا) هذه جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنة والمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد يجعل الله له مخرجا مما فى شأن الأزواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ويعطه الخلاص (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله: ذلكم يوعظ به. أى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبي ﷺ أنه قرأها فقال : مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة. وقال ﷺ : إنى لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله. فمازال يقرؤها ويعيدها، وروى أن عوف بن مالك أسر المشركون ابنا له فأتى رسول الله ﷺ فقال : أسر ابنى وشكا إليه الفاقة فقال: ما أمسى عند آل محمد إلا مد فاتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. فعاد إلى بيته وقال لامرأته إن رسول الله أمرنى وإياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فقالت : نعم ما أمرنا به فجعلا يقولان ذلك فبينما هو فى بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) يكل أمره إليه عن طمع غيره وتدبير نفسه (فَهُوَ حَسْبُهُ) كافيه فى الدارين (إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ) حفص أى منفذ أمره، غيره بالغٌ أمرَه أى

يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب (قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً) تقديراً وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الأمر إليه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوقيته لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل (وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ) روى أن ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الإقراء فما عدة اللائى لم يحضن فنزلت (إِنِ ارْتَبْتُمْ) أى أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن (فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ) أى فهذا حكمهن وقيل إن ارتبتم فى دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض أو استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر وإذا كانت عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك (وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ) هن الصغائر وتقديره واللائى لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر فحذفت الجملة لدلالة المذكور عليها (وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ) عدتهن (أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) والنص يتناول المطلقات والمتوفى عنهم أزواجهن وعن على وابن عباس رضى الله عنهم عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) ييسر له من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى (ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ) أى ما علم من حكم هؤلاء المعتدات (أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ) من اللوح المحفوظ (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ) فى العمل بما أنزله من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه (يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً) ثم بين التقوى فى قوله ومن يتق الله كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدات فقيل (أَسْكِنُوهُنَّ) وكذا وكذا (مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم) هى من التبعيضية مبعضها محذوف أى أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أى بعض مكان سكناكم (مِّن وُجْدِكُمْ) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد : الوسع والطاقة. وقرئ بالحركات الثلاث والمشهور الضم والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعى لا نفقة للمبتوتة لحديث فاطمة (١) بنت قيس أن زوجها أبت طلاقها فقال رسول الله ﷺ لا سكنى لك ولا

(١) قوله لحديث فاطمة الخ هذا لا يناسب ما قبله فلعل هنا سقطا يدل عليه عبارة الكشاف وهى وعند مالك والشافعى ليس للمبتوتة إلا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة الخ .

نفقة وعن عمر رضى الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لعلها نسيت أو شبه لها سمعت النبي ﷺ يقول لها السكنى والنفقة (وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ) ولا تستعملوا معهن الضرار (لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) فى المسكن ببعض الأسباب من إنزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن إلى الخروج (وَإِن كُنَّ) أى المطلقات (أُوْلَٰتِ حَمْلٍ) ذوات أحمال (فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) وفائدة اشتراط الحمل أن مدة الحمل ربما تطول فيظن ظان النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة الحامل فنفى ذلك الوهم (فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ) يعنى هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولدا من غيرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية (فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) فحكمهن فى ذلك حكم الأظآر ولا يجوز الاستئجار إذا كان الولد منهن مالم يبن خلافا للشافعى رحمه الله (وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم) أى تشاوروا على التراضى فى الأجرة أو ليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والأمهات (بِمَعْرُوفٍ) بما يليق بالسنة ويحسن فى المروءة فلا يماكس الأب ولا تعاسر الأم لأنه ولدهما وهما شريكان فيــــه وفى وجوب الإشفاق عليه (وَإِن تَعَاسَرْتُمْ) تضايقتم فلم ترض الأم بما ترضع به الأجنبية ولم يزد الأب على ذلك (فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ) فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الأم ترضعه وفيه طرف من معاتبة الأم على المعاسرة وقوله له أى للأب أى سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه (لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ) أى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الإنفاق على المطلقات والمرضعات ومعنى قدر عليه رزقه ضيق أى رزقه الله على قدر قوته (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا) أعطاها من الرزق (سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) بعد ضيق فى المعيشة سعة وهذا وعد لذى العسر باليسر (وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ) من أهل قرية (عَتَتْ) أى عصت (عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ) أعرضت عنه على وجه العتو والعناد (فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا) بالاستقصاء والمناقشة (وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا) نُكُرا مدنى وأبو بكر منكرا عظيما (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا) أى خسارا وهلاكا والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضى

لأن المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى فى الحقيقة وما هو كائن فكأن قد (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب (فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا) فليكن لكم ذلك يا أولى الألباب من المؤمنين لطفا فى تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد إحصاء السيئات واستقصاؤها عليهم فى الدنيا وإثباتها فى صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب فى العاجل وأن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لكأين (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا) أى القرآن وانتصب (رَسُولًا) بفعل مضمر تقديره أرسل رسولا أو بدل من ذكرا كأنه فى نفسه ذكرا وعلى تقدير حذف المضاف أى قد أنزل الله إليكم ذا ذكر رسولا أو أريد بالذكر الشرف كقوله وإنه لذكر لك ولقومك أى ذا شرف ومجد عند الله وبالرسول جبريل أو محمد عليهما السلام (يَتْلُوا) أى الرسول أو الله عز وجل (عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ) الله (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) أى ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح أو ليخرج الذين علم أنهم يؤمنون (مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) من ظلمات الكفر أو الجهل إلى نور الإيمان أو العلم (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ) وبالنون مدنى وشامى (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) وحد وجمع حملا على لفظ من ومعناه (قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا) فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ) مبتدأ وخبر (سَبْعَ سَمَاوَاتٍ) أجمع المفسرون على أن السموات سبع (وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) بالنصب عطفا على سبع سموات قيل مافى القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه الآية وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والأرضون مثل السموات وقيل الأرض واحدة إلا أن الأقاليم سبعة (يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) أى يجرى أمر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن (لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) اللام يتعلق بخلق (وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) هو تميز أو مصدر من غير لفظ الأول أى قد علم كل شىء علما وهو علام الغيوب .

﴿ سورة التحريم مدنية وهى اثنتا عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يَٰأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) روى أن رسول الله ﷺ خلا بمارية فى يوم عائشة رضى الله عنها وعلمت بذلك حفصة فقال لها : اكتمى علىّ وقد حرمت مارية على نفسى وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمتى فأخبرت به عائشة وكانتا مصادقتين وقيل خلابها فى يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة فى بيت مارية فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فإنها صوّامة قوّامة وإنها لمن نسائك فى الجنة وروى أنه شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة وقالتا له إنا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله ﷺ التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل (تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ) تفسير لتحرم أو حال أو استئناف وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله (وَاللَّهُ غَفُورٌ) قد غفر لك ما زلت فيه (رَّحِيمٌ) قد رحمك فلم يؤاخذك به (قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ) قد قدر الله لكم ما تحللون به أيمانكم وهى الكفارة أو قد شرع لكم تحليلها بالكفارة أو شرع الله لكم الاستثناء فى أيمانكم من قولك حلل فلان فى يمينه إذا استثنى فيها وذلك أن يقول إن شاء الله عقيبها حتى لا يحنث وتحريم الحلال يمين عندنا وعن مقاتل أن رسول الله ﷺ أعتق رقبة فى تحريم مارية وعن الحسن أنه لم يكفر لأنه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين (وَاللَّهُ مَوْلَٰكُمْ) سيدكم ومتولى أموركم وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم أنفسكم (وَهُوَ الْعَلِيمُ) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الْحَكِيمُ) فيما أحل وحرم (وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِ) يعنى حفصة (حَدِيثًا) حديث مارية وإمامة الشيخين (فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ) أفشته إلى عائشة رضى الله عنها (وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ) وأطلع النبى ﷺ على إفشائها الحديث على لسان جبريل عليه السلام (عَرَّفَ بَعْضَهُ)

أعلم ببعض الحديث (وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ) فلم يخبر به تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام عرف بالتخفيف على أى جازى عليه من قولك للمسىء لأعرفن لك ذلك وقيل المعروف حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية وروى أنه قال لها ألم أقل لك اكتمى على قالت : والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله بها أباها (فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ) نبأ النبى حفصة بما أفشت من السر إلى عائشة (قَالَتْ) حفصة للنبى ﷺ (مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ) بالسرائر (الْخَبِيرُ) بالضمائر (إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ فى معاتبتهما وجواب الشرط محذوف والتقدير إن تتوبا إلى الله فهو الواجب ودل على المحذوف (فَقَدْ صَغَتْ) مالت (قُلُوبُكُمَا) عن الواجب فى مخالصة رسول الله ﷺ من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه (وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ) بالتخفيف كوفى وإن تعاونا عليه بما يسوءه من الإفراط فى الغيرة وإفشاء سره (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ) وليه وناصره وزيادة هو إيذان بأنه يتولى ذلك بذاته (وَجِبْرِيلُ) أيضا وليه (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) ومن صلح من المؤمنين أى كل من آمن وعمل صالحا وقيل من برىء من النفاق وقيل الصحابة وقيل واحد أريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس وقيل أصله صالحو المؤمنين فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ (وَالْمَلَائِكَةُ) على تكاثر عددهم (بَعْدَ ذَٰلِكَ) بعد نصرة الله وجبريل وصالحى المؤمنين (ظَهِيرٌ) فوج مظاهر له فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه ولما كانت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله قال بعد ذلك تعظيما لنصرتهم ومظاهرتهم (عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ) يبدله مدنى وأبو عمرو فالتشديد للكثرة (أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ) فإن قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين قلت إذا طلقهن رسول الله ﷺ لإيذائهن إياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف خيرا منهن (مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ) مقرات مخلصات (قَانِتَاتٍ) مطيعات فالقنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله فى طاعة رسوله (تَائِبَاتٍ) من الذنوب أو راجعات إلى الله وإلى أمر رسوله (عَابِدَاتٍ) لله (سَائِحَاتٍ) مهاجرات أو صائمات وقيل

للصائم سائح لأن السائح لازاد معه فلايزال ممسكا إلى أن يجد مايطعمه فشبه به الصائم فى إمساكه إلى أن يجىء وقت إفطاره (ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا) إنما وسط العاطف بين الثيبات والأبكار دون سائر الصفات لأنهما صفتان متنافيتان بخلاف سائر الصفات (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمْ) بترك المعاصي وفعل الطاعات (وَأَهْلِيكُم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم (نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ)نوعا من النار لاتتقد إلابالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب (عَلَيْهَا) يلى أمرها وتعذيب أهلها (مَلَٰٓئِكَةٌ) يعنى الزبانية التسعة عشر وأعوانهم (غِلَاظٌ شِدَادٌ) فى أجرامهم غلظة وشدة أو غلاظ الأقوال شداد الأفعال (لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ) فى موضع الرفع على النعت (مَآ أَمَرَهُمْ) فى محل النصب على البدل أى لايعصون ما أمر الله أى أمره كقوله أفعصيت أمرى أو لا يعصونه فيما أمرهم (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) وليست الجملتان فى معنى واحد إذ معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون مايؤمرون به ولا يتثاقلون عنه ولايتوانون فيه (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فى الدنيا أى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لاتعتذروا لأنه لا عذر لكم أو لأنه لا ينفعكم الاعتذار (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوٓا إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا) صادقة عن الأخفش رحمه الله وقيل خالصة يقال عسل ناصح إذا خلص من الشمع وقيل نصوحاً من نصاحة الثوب أى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خللك ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أى تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل على مقتضياتها، وبضم النون حماد ويحيى وهو مصدر أى ذات نصوح أو تنصح نصوحا وجاء مرفوعا «إن التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب إلى أن يعود اللبن فى الضرع» وعن حذيفة: بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه. وعن ابن عباس رضى الله عنهما : هى الاستغفار باللسان والندم بالجنان والإقلاع بالإركان (عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ) هذا على ماجرت به عادة الملوك من الإجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت (وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ) ونصب(يَوْمَ)بيدخلكم (لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ) فيه تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر

(نُورُهُمْ) مبتدأ (يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ) فى موضع الخبر (يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا) يقولون ذلك إذا انطفأ نور المنافقين (وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ يَـٰٓأَيُّهَا النَّبِىُّ جَـٰهِدِ الْكُفَّارَ) بالسيف (وَالْمُنَـٰفِقِينَ) بالقول الغليظ والوعد البليغ وقيل بإقامة الحدود عليهم (وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة باللسان (وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ) مثل الله عز وجل حال الكفار فى أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين بلا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من النسب والمصاهرة وإن كان المؤمن الذى يتصل به الكافر نبيا بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين بإفشاء أسرارهما فلم يغن الرسولان عنهما أى عن المرأتين بحق مابينهما وبينهما من الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما أو يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الدين لاوصلة بينهم وبين الأنبياء أو مع داخليها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ) هى آسية بنت مزاحم آمنت بموسى فعذبها فرعون بالأوتاد الأربعة (إِذْ قَالَتْ) وهى تعذب (رَبِّ ابْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ) فكأنها أرادت الدرجة العالية لأنه تعالى منزه عن المكان فعبرت عنها بقولها عندك (وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ) أى من عمل فرعون أومن نفس فرعون الخبيثة وخصوصا من عمله وهو الكفر والظلم والتعذيب بغير جرم (وَنَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ) من القبط كلهم وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَٰنَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) من الرجال (فَنَفَخْنَا) فنفخ جبريل بأمرنا (فِيهِ) فى الفرج (مِن رُّوحِنَا) المخلوقة لنا (وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا) أى بصحفه التى أنزلها على إدريس وغيره (وَكُتُبِهِ) بصرى وحفص، يعنى الكتب الأربعة (وَكَانَتْ مِنَ الْقَـٰنِتِينَ) لما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين غلب ذكوره على إناثه ومن للتبعيض ويجوز أن يكون لابتداء الغاية

على أنها ولدت من القانتين لأنها من أعقاب هرون أخى موسى عليهما السلام. ومثل حال المؤمنين فى أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة أعدى أعداء الله ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفارا . وفى طى هذين التمثيلين تعريض بأمى المؤمنين المذكورتين فى أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله ﷺ بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وإشارة إلى أن من حقهما أن يكونا فى الإخلاص كهاتين المؤمنتين وأن لا يتكلا على أنهما زوجا رسول الله ﷺ .

﴿سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقى قارئها من عذاب القبر وجاء مرفوعا من قرأها فى ليلة فقد أكثر وأطيب﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تَبَارَكَ) تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين (الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ) أى بتصرفه الملك والاستيلاء على كل موجود وهو مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ) من المقدورات أو من الإنعام والانتقام (قَدِيرٌ) قادر على الكمال (الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الذى قبله (وَالْحَيَوٰةَ) أى مايصح بوجوده الإحساس والموت ضده ومعنى خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح وإعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون (لِيَبْلُوَكُمْ) ليمتحنكم بأمره ونهيه فيما بين الموت الذى يعم الأمير والأسير والحياة التى لا تفى بعليل ولا طبيب فيظهر منكم ما علم أنه يكون منكم فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم (أَيُّكُمْ) مبتدأ وخبره (أَحْسَنُ عَمَلًا) أى أخلصه وأصوبه فالخالص أن يكون لوجه الله والصواب أن يكون على السنة والمراد أنه أعطاكم الحياة التى تقدرون بها على العمل وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح فما وراءه إلا البعث والجزاء الذى لابد منه. وقدم الموت على الحياة لأن أقوى الناس

داعيا إلى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لأنه فيما يرجع إلى المسوق له الآية أهم ولما قدم الموت الذى هو أثر صفة القهر على الحياة التى هى أثر اللطف قدم صفة القهر على صفة اللطف بقوله (وَهُوَ الْعَزِيزُ) أى الغالب الذى لا يعجزه من أساء العمل (الْغَفُورُ) الستور الذى لا ييأس منه أهل الإساءة والزلل (الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا) مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل إذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر أو على ذات طباق أو على طوبقت طباقا وقيل جمع طبق كجمل وجمال والخطاب فى (مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ) للرسول أو لكل مخاطب (مِن تَفَٰوُتٍ) تفوُّت حمزة وعلى ومعنى البناءين واحد كالتعاهد والتعهد أى من اختلاف واضطراب . وعن السدى من عيب وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشىء يفوت بعضا ولا يلائمه وهذه الجملة صفة لطباقا وأصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع خلق الرحمن موضع الضمير تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وأنه بباهر قدرته هو الذى يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب (فَارْجِعِ الْبَصَرَ) رده إلى السماء حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة فلا تبقى معك شبهة فيه (هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ) صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) كرر النظر مرتين أى كرتين مع الأولى وقيل سوى الأولى فتكون ثلاث مرات وقيل لم يرد الاقتصار على مرتين بل أراد به التكرير بكثرة أى كرر نظرك ودققه هل ترى خللا أو عيبا وجواب الأمر (يَنقَلِبْ) يرجع (إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا) ذليلا أو بعيدا مما تريد وهو حال من البصر (وَهُوَ حَسِيرٌ) كليل معى ولم ير فيها خللا (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا) القربى أى السماء الدنيا منكم (بِمَصَٰبِيحَ) بكواكب مضيئة كإضاءة الصبح، والمصابيح السرج فسميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بإيقاد المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التى اجتمعتم فيها بمصابيح أى بأى مصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة (وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ) أى لأعدائكم الذين يخرجونكم من النور إلى الظلمات، قال قتادة : خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمى به ما يرجم

به ومعنى كونها رجوما للشياطين أن ينفصل منها شهاب قبس يؤخذ من نار فيقتل الجنى أو يخبله لأن الكواكب لا تزول عن أماكنها لأنها قارة فى الفلك على حالها (وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ) للشياطين (عَذَابَ السَّعِيرِ) فى الآخرة بعد الإحراق بالشهب فى الدنيا (وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عَذَابُ جَهَنَّمَ) ليس الشياطين المرجومون مخصوصون بذلك (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع جهنم (إِذَآ أُلْقُوا فِيهَا) طرحوا فى جهنم كما يطرح الحطب فى النار العظيمة (سَمِعُوا لَهَا) لجهنم (شَهِيقًا) صوتا منكرا كصوت الحمير شبه حسيسها المنكر الفظيع بالشهيق (وَهِىَ تَفُورُ) تغلى بهم غليان المرجل بما فيه (تَكَادُ تَمَيَّزُ) أى تتميز يعنى تتقطع وتتفرق (مِنَ الْغَيْظِ) على الكفار فجعلت كالمغتاظة عليهم استعارة لشدة غليانها بهم (كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ) جماعة من الكفار (سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ) مالك وأعوانه من الزبانية توبيخا لهم (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) رسول يخوفكم من هذا العذاب (قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ) اعتراف منهم بعدل الله وإقرار بأنه تعالى أزاح عللهم ببعث الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه (فَكَذَّبْنَا) أى فكذبناهم (وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَىْءٍ) مما تقولون من وعد ووعيد وغير ذلك (إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ) أى قال الكفار للمنذرين ما أنتم إلا فى خطأ عظيم فالنذير بمعنى الإنذار ثم وصف به منذروهم لغلوهم فى الإنذار كأنهم ليسوا إلا إنذارا وجاز أن يكون هذا كلام الخزنة للكفار على إرادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك أو سموا جزاء الضلال باسمه كما سمى جزاء السيئة والاعتداء سيئة واعتداء ويسمى المشاكلة فى علم البيان أو كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أى قالوا لنا هذا فلم نقبله (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ) الإنذار سماع طالب الحق (أَوْ نَعْقِلُ) أى نعقله عقل متأمل (مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ) فى جملة أهل النار وفيه دليل على أن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل وأنهما حجتان ملزمتان (فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ) بكفرهم فى تكذيبهم الرسل (فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ السَّعِيرِ) وبضم الحاء يزيد وعلى ، فبعدا لهم عن رحمة الله وكرامته اعترفوا أو جحدوا فإن ذلك لا ينفعهم وانتصابه على أنه مصدر وقع موقع الدعاء (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ) قبل معاينة العذاب (لَهُم مَّغْفِرَةٌ) للذنوب (وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) أى

الجنة (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ) ظاهره الأمر بأحد الأمرين الإسرار والإجهار ومعناه ليستوعندكم إسراركم وإجهاركم فى علم الله بهما روى أن مشركى مكة كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل بما قالوه فيه ونالوه منه فقالوا فيما بينهم أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد فنزلت ثم علله بقوله (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) أى بضمائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ) من فى موضع رفع بأنه فاعل يعلم (وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) أنكر أن لا يحيط علما بالضمر والسر والجهر من خلقها وصفته أنه اللطيف أى العالم بدقائق الأشياء الخبير العالم بحقائق الأشياء وفيه إثبات خلق الأقوال فيكون دليلا على خلق أفعال العباد وقال أبو بكر بن الأصم وجعفر بن حرب من مفعول والفاعل مضمر وهو الله تعالى فاحتجا لا بهذا لنفى خلق الأفعال (هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا) لينة سهلة مذللة لاتمنع المشى فيها (فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا) جوانبها استدلالا واسترزاقا أو جبالها أو طرقها (وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ) أى من رزق الله فيها (وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) أى وإليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم (ءَأَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ) أى من ملكوته فى السماء لأنها مسكن ملائكته ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه فكأنه قال أأمنتم خالق السماء وملكه أو لأنهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه فى السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون أنه فى السماء وهو متعال عن المكان (أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ) كما خسف بقارون (فَإِذَا هِىَ تَمُورُ) تضطرب وتتحرك (أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) حجارة أن يرسل بدل من بدل الاشتمال وكذا أن يخسف (فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ) أى إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذارى حين لا ينفعكم العلم (وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) من قبل قومك (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) أى إنكارى عليهم إذ أهلكتهم ثم نبه على قدرته على الخسف وإرسال الحاصب بقوله (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ) جمع طائر (فَوْقَهُمْ) فى الهواء (صَافَّاتٍ) باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانهن (وَيَقْبِضْنَ) ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن ويقبضن معطوف على اسم الفاعل حملا على المعنى أى يصففن ويقبضن أو صافات

وقابضات واختيار هذا التركيب باعتبار أن أصل الطيران هو صف الأجنحة لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والهواء للطائر كالماء للسابح والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح (مَا يُمْسِكُهُنَّ) عن الوقوع عند القبض والبسط (إِلاَّ الرَّحْمَنُ) بقدرته وإلا فالثقيل يتسفل طبعا ولا يعلو وكذا لو أمسك حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الأفلاك وما يمسكهن مستأنف وإن جعل حالا من الضمير في يقبضن يجوز (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب (أَمَّنْ) مبتدأ خبره (هَذَا) ويبدل من هذا (الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ) ومحل (يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ) رفع نعت لجند محمول على اللفظ والمعنى من المشار إليه بالنصر غير الله تعالى (إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ) أي ما هم إلا في غرور (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ) أم من يشار إليه ويقال هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق فلما لم يتعظوا أضرب عنهم فقال (بَل لَّجُّوا) تمادوا (فِي عُتُوٍّ) استكبار عن الحق (وَنُفُورٍ) وشراد عنه لثقله عليهم فلم يتبعوه ثم ضرب مثلا للكافرين والمؤمنين فقال (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ) أي ساقطا على وجهه يعثر كل ساعة ويمشي معتسفا وخبر من (أَهْدَى) أرشد . وأكب مطاوع كبه يقال كببته فأكب (أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا) مستويا منتصبا سالما من العثور والخرور (عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) على طريق مستو وخبر من محذوف لدلالة أهدى عليه وعن الكلبي عنى بالمكب أبو جهل وبالسوى النبي عليه السلام (قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ) خلقكم ابتداء (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) خصها لأنها آلات العلم (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) هذه النعم لأنكم تشركون بالله ولا تخلصون له العبادة والمعنى تشكرون شكرا قليلا وما زائدة وقيل القلة عبارة عن العدم (قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ) خلقكم (فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) للحساب والجزاء (وَيَقُولُونَ) أي الكافرون

للمؤمنين استهزاء (مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ) الذى تعدوننا به يعنى العذاب (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) فى كونه فأعلمونا زمانه (قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ) أى علم وقت العذاب (عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ) مخوّف (مُّبِينٌ) أبين لكم الشرائع (فَلَمَّا رَأَوْهُ) أى الوعد يعنى العذاب الموعود (زُلْفَةً) قريبا منهم وانتصابها على الحال (سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة والمساءة وغشيتها القترة والسواد (وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِى) القائلون الزبانية (كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ) تفتعلون من الدعاء أى تسألون تعجيله وتقولون ائتنا بما تعدنا أوهو من الدعوى أى كنتم بسببه تدعون أنكم لاتبعثون وقرأ يعقوب تدعون (قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ اللَّهُ) أى أماتنى الله كقوله إن امرؤ هلك (وَمَن مَّعِىَ) من أصحابى (أَوْ رَحِمَنَا) أو أخر فى آجالنا (فَمَن يُجِيرُ) ينجى (الْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم كان كفار مكة يدعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بأن يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لإحدى الحسنيين إما أن نهلك كما تتمنون فتقلب إلى الجنة أو نرحم بالنصرة عليكم كما نرجو فأنتم ماتصنعون مَنْ مجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لابد لكم منه (قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ) أى الذى أدعوكم إليه الرحمن (ءَامَنَّا بِهِۦ) صدقنا به ولم نكفر به كما كفرتم (وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا) فوضنا إليه أمورنا (فَسَتَعْلَمُونَ) إذا نزل بكم العذاب وبالياء على (مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ) نحن أم أنتم (قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا) غائرا ذاهبا فى الأرض لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل بمعنى عادل (فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ) جار يصل إليه من أراده وتليت عند ملحد فقال يأتى بالمعول والمعن فذهب ماء عينه فى تلك الليلة وعمى وقيل إنه محمد بن زكريا المتطبب زادنا الله بصيرة .

﴿ سورة ن مكية وهى اثنتان وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(نٓ) الظاهر أن المراد به هذا الحرف من حروف المعجم وأما قول الحسن إنه الدواة وقول ابن عباس إنه الحوت الذى عليه الأرض واسمه بهموت فمشكل لأنه لابد له من الإعراب سواء كان اسم جنس أو اسم علم فالسكون دليل على أنه من حروف المعجم (وَٱلْقَلَمِ) أى ما كتب به اللوح أوقلم الملائكة أو الذى يكتب به الناس أقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التى لا يحيط بها الوصف (وَمَا يَسْطُرُونَ) أى ما يسطره الحفظة أو ما يكتب به من الخير من كتب وما موصولة أو مصدرية وجواب القسم (مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ) أى بإنعامه عليك بالنبوة وغيرها فأنت اسم ما وخبرها (بِمَجْنُونٍ) وبنعمة ربك اعتراض بين الاسم والخبر والباء فى بنعمة ربك تتعلق بمحذوف ومحله النصب على الحال والعامل فيها بمجنون وتقديره ما أنت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لأنها زائدة لتأكيد النفى وهو جواب قولهم وقالوا ياأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون (وَإِنَّ لَكَ) على احتمال ذلك والصبر عليه (لَأَجْرًا) لثوابا (غَيْرَ مَمْنُونٍ) غير مقطوع أو غير ممنون عليك به (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) قيل هو ما أمره الله تعالى به فى قوله: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين. وقالت عائشة رضى الله عنها: كان خلقه القرآن أى ما فيه من مكارم الأخلاق وإنما استعظم خلقه لأنه جاد بالكونين وتوكل على خالقهما (فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ) أى عن قريب ترى ويرون وهذا وعد له ووعيد لهم (بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ) المجنون لأنه فتن أى محن بالجنون والباء مزيدة أو المفتون مصدر كالمعقول أى بأيكم الجنون وقال الزجاج الباء بمعنى فى تقول كنت ببلد كذا أى فى بلد كذا وتقديره فى أيكم المفتون أى فى أى الفريقين منكم المجنون فريق الإسلام أو فريق الكفر (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ) أى هو أعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ) أى هو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون (فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ) تهييج للتصميم على معاصاتهم وقد

أرادوه على أن يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ) لو تلين لهم (فَيُدْهِنُونَ) فيلينون لك ولم ينصب بإضمار أن وهو جواب التمنى لأنه عدل به إلى طريق آخر وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف أى فهم يدهنون أى فهم الآن يدهنون لطمعهم فى ادهانك (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ) كثير الحلف فى الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف (مَّهِينٍ) حقير فى الرأى والتميز من المهانة وهى القلة والحقارة أو كذاب لأنه حقير عند الناس (هَمَّازٍ) عياب طعان مغتاب (مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ) نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم، والنميم والنميمة: السعاية (مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ) بخيل، والخير: المال أو مناع أهله من الخير وهو الإسلام والمراد الوليد بن المغيرة عند الجمهور وكان يقول لبنيه العشرة من أسلم منكم منعته رفدى (مُعْتَدٍ) مجاوز فى الظلم حده (أَثِيمٍ) كثير الآثام (عُتُلٍّ) غليظ جاف (بَعْدَ ذَٰلِكَ) بعد ما عد له من المثالب (زَنِيمٍ) دعى وكان الوليد دعيا فى قريش ليس من سنخهم ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية والنطفة إذا خبثت خبث الناشىء منها روى أنه دخل على أمه وقال إن محمدا وصفنى بعشر صفات وجدت تسعا فىّ فأما الزنيم فلا علم لى به فإن أخبرتنى بحقيقته وإلا ضربت عنقك فقالت : إن أباك عنين وخفت أن يموت فيصل ماله إلى غير ولده فدعوت راعيا إلى نفسى فأنت من ذلك الراعى (أَن كَانَ ذَا مَالٍ) متعلق بقوله ولا تطع أى ولا تطعه مع هذه المثالب لأن كان ذا مال أى ليساره وحظه من الدنيا ويجوز أن يتعلق بما بعده أى لأن كان ذا مال (وَبَنِينَ) كذب بآياتنا يدل عليه (إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا) أى القرآن (قَالَ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ) ولا يعمل فيه قال لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله أأن حمزة وأبو بكر أى ألأن كان ذا مال كذب؟ آأن شامى ويزيد ويعقوب وسهل قالوا لما عاب الوليد النبى ﷺ كاذبا باسم واحد وهو المجنون سماه الله تعالى بعشرة أسماء صادقا فإن كان من عدله أن يجزى المسىء إلى رسول الله ﷺ بعشرة كان من فضله أن من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا (سَنَسِمُهُ) سنكويه (عَلَى الْخُرْطُومِ) على أنفه مهانة له وعلما يعرف به وتخصيص الأنف بالذكر لأن الوسم عليه أبشع وقيل خطم بالسيف يوم بدر فبقيت

سمة على خرطومه (إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ) امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف والرمم بدعاء النبي ﷺ حيث قال : اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسنى يوسف. (كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ) هم قوم من أهل الصلات كانت لأبيهم هذه الجنة بقرية يقال لها ضروان وكانت على فرسخين من صنعاء وكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقى على الفقراء فلما مات قال بنوه : إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين فى السدف خيفة من المساكين ولم يستثنوا فى يمينهم فأحرق الله جنتهم وقال الحسن كانوا كفارا والجمهور على الأول (إِذْ أَقْسَمُوا) حلفوا (لَيَصْرِمُنَّهَا) ليقطعن ثمرها (مُصْبِحِينَ) داخلين فى الصبح قبل انتشار الفقراء حال من فاعل ليصرمنها (وَلَا يَسْتَثْنُونَ) ولا يقولون إن شاء الله وسمى استثناء وإن كان شرطاً صورة لأنه يؤدى مؤدى الاستثناء من حيث إن معنى قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد (فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ) نزل عليها بلاء قيل أنزل الله تعالى عليها نارا فأحرقتها (وَهُمْ نَآئِمُونَ) أى فى حال نومهم (فَأَصْبَحَتْ) فصارت الجنة (كَٱلصَّرِيمِ) كالليل المظلم أى احترقت فاسودت أوكالصبح أى صارت أرضا بيضاء بلا شجر وقيل كالمصرومة أى كأنها صرمت لهلاك ثمرها (فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ) نادى بعضهم بعضا عند الصباح (أَنِ ٱغْدُوا) باكروا (عَلَىٰ حَرْثِكُمْ) ولم يقل إلى حرثكم لأن الغدوّ إليه ليصرموه كان غدوّا عليه أو ضمن الغدوّ معنى الإقبال أى فأقبلوا على حرثكم باكرين (إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ) مريدين صرامه (فَٱنطَلَقُوا) ذهبوا (وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ) يتساررون فيما بينهم لئلا يسمعوا المساكين (أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا) أى الجنة وإن مفسرة وقرئ بطرحها بإضمار القول أى يتخافتون يقولون لا يدخلنها (ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ) والنهى عن دخول المساكين نهى عن التمكين أى لا تمكنوه من الدخول (وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ) على جد فى المنع (قَٰدِرِينَ) عند أنفسكم على المنع كذا عن نفطويه أو الحرد القصد والسرعة أى وغدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وزى منفعتها عن المساكين أو هو علم للجنة أى غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم (فَلَمَّا رَأَوْهَا) أى جنتهم محترقة

(قَالُوٓا) فى بديهة وصولهم (إِنَّا لَضَآلُّونَ) أى ضللنا جنتنا وماهى بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا أنها هى قالوا (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) أعدلهم وخيرهم (أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) هلا تستثنون إذ الاستثناء التسبيح لالتقائهما فى معنى التعظيم لله لأن الاستثناء تفويض إليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم أو لولا تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة فعصوه فعيرهم ولهذا (قَالُوا سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ) فتكلموا بعد خراب البصرة بما كان يدعوهم إلى التكلم به أولا وأقروا على أنفسهم بالظلم فى منع المعروف وترك الاستثناء ونزهوه عن أن يكون ظالما (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ) يلوم بعضهم بعضا بما فعلوا من الهرب من المساكين ويحيل كل واحد منهم اللائمة على الآخر ثم اعترفوا جميعا بأنهم تجاوزوا الحد بقوله (قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ) بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء (عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا) وبالتشديد مدنى وأبو عمرو (خَيْرًا مِّنْهَآ) من من هذه الجنة (إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ) طالبون منه الخير راجون لعفوه عن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى أنهم أخلصوا فأبدلهم بها جنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا (كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ) أى مثل ذلك العذاب الذى ذكرناه من عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ) أعظم منه (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) لما فعلوا ما يفضى إلى هذا العذاب ثم ذكر ماعنده للمؤمنين فقال (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ) عن الشرك (عِندَ رَبِّهِمْ) أى فى الآخرة (جَنَّٰتِ النَّعِيمِ) جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص بخلاف جنات الدنيا (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ) استفهام إنكار على قولهم لو كان ما يقول محمد حقا فنحن نعطى فى الآخرة خيرا مما يعطى هو ومن معه كما فى الدنيا فقيل لهم أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) هذا الحكم الأعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصى كأن أمر الجزاء مفوض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم (أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ) من السماء (فِيهِ تَدْرُسُونَ)

تقرءون فى ذلك الكتاب (إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ) أى إن ما تختارونه وتشتهونه لكم والأصل تدرسون أن لكم ماتخيرون بفتح أن لأنه مدروس لوقوع الدرس عليه وإنما كسرت لمجىء اللام ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله: وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح . وتخير الشىء واختاره أخذ خيره (أَمْ لَكُمْ أَيْمَـٰنٌ عَلَيْنَا) عهود مؤكدة بالأيمان (بَـٰلِغَةٌ) نعت أيمان ويتعلق (إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ) ببالغة أى أنها تبلغ ذلك اليوم وتنتهى إليه وافرة لم تبطل منها يمين إلى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم أو بالمقدر فى الظرف أى هى ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لانخرج عن عهدتها إلا يومئذ إذا حكمنا كم وأعطيناكم ما تحكمون (إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ) به لأنفسكم وهو جواب القسم لأن معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية فى التوكيد (سَلْهُمْ) أى المشركين (أَيُّهُم بِذَٰلِكَ) الحكم (زَعِيمٌ) كفيل بأنه يكون ذلك (أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ) أى ناس يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم فيه (فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا صَـٰدِقِينَ) فى دعواهم يعنى أن أحدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما أنه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يضمن لهم من الله بهذا (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ) ناصب الظرف فليأتوا أو اذكر مضمرا والجمهور على أن الكشف عن الساق عبارة عن شدة الأمر وصعوبة الخطب فمعنى يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الأمر ويصعب ولا كشف ثمة ولا ساق ولكن كنى به عن الشدة لأنهم إذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق وهذا كما تقول للأقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثمة ولا غل وإنما هو كناية عن البخل وأما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره فى علم البيان ولو كان الأمر كما زعم المشبه لكان من حق الساق أن يعرف لأنها ساق معهودة عنده (وَيُدْعَوْنَ) أى الكفار ثمة (إِلَى السُّجُودِ) لا تكليفا ولكن توبيخا على تركهم السجود فى الدنيا (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ) ذلك لأن ظهورهم تصير كصياصى البقر لا تنثنى عند الخفض والرفع (خَـٰشِعَةً) ذليلة حال من الضمير فى يدعون (أَبْصَـٰرُهُمْ) أى يدعون فى حال خشوع أبصارهم (تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) يغشاهم صغار (وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ) على ألسن الرسل (إِلَى السُّجُودِ) فى الدنيا (وَهُمْ سَـٰلِمُونَ) أى وهم أصحاء فلا يسجدون

فلذلك منعوا عن السجود ثم (فَذَرْنِى) يقال ذرني وإياه أى كله إلىّ فإنى أكفيكه (وَمَن يُكَذِّبُ) معطوف على المفعول أو مفعول معه (بِهَٰذَا الْحَدِيثِ) بالقرآن والمراد كل أمره إلىّ وخل بيني وبينه فإنى عالم بما ينبغى أن يفعل به مطيق له فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل علىّ فى الانتقام منه تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد للمكذبين (سَنَسْتَدْرِجُهُم) سندنيهم من العذاب درجة درجة يقال استدرجه إلى كذا أى استنزله إليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله تعالى العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون رزق الله ذريعة إلى ازدياد المعاصى (مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) من الجهة التى لا يشعرون أنه استدراج قيل كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وأنسيناهم شكرها قال عليه السلام «إذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج » وتلا الآية (وَأُمْلِى لَهُمْ) وأمهلهم (إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ) قوى شديد فسمى إحسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه فى صورة الكيد حيث كان سببا للهلاك . والأصل أن معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الأخذ من جهة الأمن ولا يجوز أن يسمى الله كائدا وماكرا ومستدرجا (أَمْ تَسْأَلُهُمْ) على تبليغ الرسالة (أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ) غرامة (مُّثْقَلُونَ) فلا يؤمنون استفهام بمعنى النفى أى لست تطلب أجرا على تبليغ الوحى فيثقل عليهم ذلك فيمتنعوا لذلك (أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ) أى اللوح المحفوظ عند الجمهور (فَهُمْ يَكْتُبُونَ) منه ما يحكمون به (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم لأنهم وإن أمهلوا لم يهملوا (وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ) كيونس عليه السلام فى العجلة والغضب على القوم حتى لا تبتلى ببلائه . والوقف على الحوت لأن إذ ليس بظرف لما تقدمه إذ النداء طاعة فلا ينهى عنه بل مفعول محذوف أى اذكر (إِذْ نَادَىٰ) دعا ربه فى بطن الحوت بلا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين (وَهُوَ مَكْظُومٌ) مملوء غيظا من كظم السقاء إذا ملأه (لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ) رحمة (مِّن رَّبِّهِ) أى لولا أن الله أنعم عليه بإجابة دعائه وقبول عذره (لَنُبِذَ) من بطن الحوت (بِالْعَرَاءِ) بالفضاء (وَهُوَ مَذْمُومٌ) معاتب بزلته لكنه رحم فنبذ غير مذموم (فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ) اصطفاه لدعائه وعذره (فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) من المستكملين لصفات الصلاح ولم يبق له

زلة وقيل من الأنبياء وقيل من المرسلين والوجه هو الأول لأنه كان مرسلا ونبيا قبله لقوله تعالى: وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون. الآيات (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) وبفتح الياء مدنى إن مخففة من الثقيلة واللام علمها زلقه وأزلقه أزاله عن مكانه أى قارب الكفار من شدة نظرهم إليك شزرا بعيون العداوة أن يزيلوك بأبصارهم عن مكانك أو يهلكوك لشدة حنقهم عليك . وكانت العين فى بنى أسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم أر كاليوم مثله إلا هلك فأريد بعض العيانين على أن يقول فى رسول الله مثل ذلك فقال لم أر كاليوم مثله رجلا فعصمه الله من ذلك وفى الحديث: العين حق وإن العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر. وعن الحسن رقية العين هذه الآية (لما سمعوا الذكر) القرآن (ويقولون) حسدا على ما أوتيت من النبوة (إنه لمجنون) إن محمدا لمجنون حيرة فى أمره وتنفيرا عنه (وما هو) أى القرآن (إلا ذكر) وعظ (للعالمين) للجن والإنس يعنى أنهم جننوه لأجل القرآن وما القرآن إلا موعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله وقيل لما سمعوا الذكر أى ذكره عليه السلام وما هو أى محمد عليه السلام إلا ذكر شرف للعالمين فكيف ينسب إليه الجنون والله أعلم .

﴿ سورة الحاقة إحدى وخمسون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التى هى آتية لا ريب فيها من حق يحق بالكسر أى وجب (ما الحاقة) مبتدأ وخبر وهما خبر الحاقة والأصل الحاقة ماهى أى أيّ شيء هي تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها أى حقها أن يستفهم عنها لعظمها فوضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التهويل (وما أدراك) وأى شيء أعلمك (ما الحاقة) يعنى أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها لأنه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية المخلوقين. وما رفع بالابتداء وأدراك الخبر والجملة بعده فى موضع نصب لأنها مفعول ثان لأدرى (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أى بالحاقة فوضعت القارعة موضعها لأنها من أسماء القيامة وسميت بها

لأنها تقرع الناس بالأفزاع والأهوال ولماذكرها وفخمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لأهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة. واختلف فيها فقيل الرجفة وقيل الصيحة وقيل الطاغية مصدر كالعافية أى بطغيانهم ولكن هذا لا يطابق قوله (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ) أى بالدبور لقوله ﷺ: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور. (صَرْصَرٍ) شديدة الصوت من الصرة الصيحة أو باردة من الصر كأنها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق بشدة بردها (عَاتِيَةٍ) شديد العصف أو عتت على خزانها فلم يضبطوها بإذن الله غضبا على أعداء الله (سَخَّرَهَا) سلطها (عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ) وكان ابتداء العذاب يوم الأربعاء آخر الشهر إلى الأربعاء الأخرى (حُسُومًا) أى متتابعة لا تنقطع جمع حاسم كشهود تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى إعادة الكى على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وجاز أن يكون مصدرا أى تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا (فَتَرَى) أيها المخاطب (الْقَوْمَ فِيهَا) فى مهابها أو فى الليالى والأيام (صَرْعَىٰ) حال جمع صريع (كَأَنَّهُمْ) حال أخرى (أَعْجَازُ) أصول (نَخْلٍ) جمع نخلة (خَاوِيَةٍ) ساقطة أو بالية (فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ) من نفس باقية أو من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ) ومن تقدمه من الأمم. ومن قِبَله بصرى وعلى أى ومن عنده من أتباعه (وَالْمُؤْتَفِكَاتُ) قرى قوم لوط فهى ائتفكت أى انقلبت بهم (بِالْخَاطِئَةِ) بالخطأ أو بالفعلة او بالأفعال ذات الخطأ العظيم (فَعَصَوْا) أى قوم لوط (رَسُولَ رَبِّهِمْ) لوطا (فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً) شديدة زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح (إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ) ارتفع وقت الطوفان على أعلى جبل فى الدنيا خمسة عشر ذراعا (حَمَلْنَاكُمْ) أى آباءكم (فِي الْجَارِيَةِ) فى سفينة نوح عليه السلام (لِنَجْعَلَهَا) أى الفعلة وهى إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين (لَكُمْ تَذْكِرَةً) عبرة وعظة (وَتَعِيَهَا) وتحفظها (أُذُنٌ) بضم الذال غير نافع (وَاعِيَةٌ) حافظة لما تسمع قال قتادة وهى أذن عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ) هى النفخة الأولى ويموت عندها الناس والثانية يبعثون عندها (وَحُمِلَتِ

الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ) رفعتا عن موضعهما (فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) دقتا وكسرتا أى ضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا (فَيَوْمَئِذٍ) فحينئذ (وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) نزلت النازلة وهى القيامة وجواب إذا وقعت ويومئذ بدل من إذا (وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ) فتحت أبوابا (فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) مسترخية ساقطة القوة بعد ما كانت محكمة (وَالْمَلَكُ) للجنس بمعنى الجمع وهو أعم من الملائكة (عَلَىٰ أَرْجَائِهَا) جوانبها واحدها رجا مقصور لأنها إذا انشقت وهى مسكن الملائكة فيلجؤن إلى أطرافها (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ) فوق الملك الذين على أرجائها (يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) منهم واليوم تحمله أربعة وزيدت أربعة أخرى يوم القيامة وعن الضحاك ثمانية صفوف وقيل ثمانية أصناف (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ) للحساب والسؤال شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرّف أحواله (لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ) سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا وبالياء كوفى غير عاصم وفى الحديث يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما الثالثة فعندها تطير الصحف فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله (فَأَمَّا) تفصيل للعرض (مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ) سرورا به لما يرى فيه من الخيرات خطابا لجماعته (هَاؤُمُ) اسم للفعل أى خذوا (اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ) تقديره هاؤم كتابى اقرؤا كتابيه فحذف الأول لدلالة الثانى عليه والعامل فى كتابيه اقرءوا عند البصريين لأنهم يعملون الأقرب والهاء فى كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت وحقها أن تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل وقد استحب إيثار الوقف إيثارا لثباتها لثبوتها فى المصحف (إِنِّي ظَنَنتُ) علمت وإنما أجرى الظن مجرى العلم لأن الظن الغالب يقوم مقام العلم فى العادات والأحكام ولأن ما يدرك بالاجتهاد قلما يخلو عن الوسواس والخواطر وهى تفضى إلى الظنون فجاز إطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه (أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ) معاين حسابى (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ) ذات رضا يرضى بها صاحبها كلابن (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) رفيعة المكان أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المبانى والقصور وهو خبر بعد خبر (قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) ثمارها قريبة من مريدها ينالها القائم والقاعد والمتكىء يقال لهم (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا) أكلا وشربا هنيئا لا مكروه فيهما ولا أذى

أو هنئتم هنيئاً على الصدر (بِمَآ أَسْلَفْتُمْ) بما قدمتم من الأعمال الصالحة (فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) الماضية من أيام الدنيا وعن ابن عباس هي فى الصائمين أى كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ) لما يرى فيها من الفضائح (وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ) أى ياليتنى لم أعلم ما حسابى (يَالَيْتَهَا) ياليت الموتة التى متها (كَانَتِ الْقَاضِيَةَ) أى القاطعة لأمرى فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى (مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ) أى لم ينفعنى ما جمعته فى الدنيا فالنفى والمفعول محذوف أى شيئا (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ) ملكى وتسلطى على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ضلت عنى حجتى أى بطلت حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا فيقول الله تعالى لخزنة جهنم (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ) أى اجمعوا يديه إلى عنقه (ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ) أى أدخلوه يعنى ثم لا تصلوه إلا الجحيم وهى النار العظمى أو نصب الجحيم بفعل يفسره صلوه (ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا) طولها (سَبْعُونَ ذِرَاعًا) بذراع الملك عن ابن جريج وقيل لا يعرف قدرها إلا الله (فَاسْلُكُوهُ) فأدخلوه والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التصلية (إِنَّهُ) تعليل كأنه قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد فأجيب بأنه (كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ) على بذل طعام المسكين وفيه إشارة إلى أنه كان لا يؤمن بالبعث لأن الناس لا يطلبون من المساكين الجزاء فيما يطعمونهم وإنما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب فى الآخرة فإذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على إطعامهم أى أنه مع كفره لا يحرّض غيره على إطعام المحتاجين وفيه دليل قوى على عظم جرم حرمان المسكين لأنه عطفه على الكفر وجعله دليلا عليه وقرينة له ولأنه ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض إذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل أحق وعن أبى الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالإيمان فلنخلع نصفها بهذا وهذه الآيات ناطقة على أن المؤمنين يرحمون جميعا والكافرين لا يرحمون لأنه قسّم الخلق نصفين فجعل صنفا منهم أهل اليمين ووصفهم بالإيمان فحسب بقوله إنى ظننت أنى ملاق حسابيه وصنفا منهم أهل الشمال ووصفهم بالكفر بقوله إنه كان لا يؤمن

بالله العظيم وجاز أن الذى يعاقب من المؤمنين إنما يعاقب قبل أن يؤتى كتابه بيمينه (فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ) قريب يرفع عنه ويحترق له قلبه (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ) غسالة أهل النار فعلين من الغسل والنون زائدة وأريد به هنا مايسيل من أبدانهم من الصديد والدم (لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ) الكافرون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل إذا تعمد الذنب (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ) من الأجسام والأرض والسماء (وَمَا لَا تُبْصِرُونَ) من الملائكة والأرواح فالحاصل أنه أقسم بجميع الأشياء (إِنَّهُ) أى إن القرآن (لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) أى محمد ﷺ أوجبريل عليه السلام أى يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ) كما تدعون (قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ) كما تقولون (قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) وبالياء فيهما مكى وشامى ويعقوب وسهل. وبتخفيف الذال كوفى غير أبى بكر والقلة فى معنى العدم يقال هذه أرض قلما تنبت أى لاتنبت أصلا والمعنى لاتؤمنون ولاتذكرون البتة (تَنْزِيلٌ) هوتنزيل بيانا لأنه قول رسول نزل عليه (مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ) ولو ادعى علينا شيئاً لم نقله (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين لأن القتّال إذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاه أخذ بيساره وإذا أراد أن يوقعه فى جيده وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره إلى السيف أخذ بيمينه ومعنى لأخذنا منه باليمين لأخذنا بيمينه وكذا (ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) لقطعنا وتينه وهو نياط القلب إذا قطع مات صاحبه (فَمَا مِنْكُمْ) الخطاب للناس أوللمسلمين (مِنْ أَحَدٍ) من زائدة (عَنْهُ) عن قتل محمد وجمع (حَاجِزِينَ) وإن كان وصف أحدلأنه فى معنى الجماعة ومنه قوله تعالى لانفرق بين أحد من رسله (وَإِنَّهُ) وإن القرآن (لَتَذْكِرَةٌ) لعظة (لِلْمُتَّقِينَ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ وَإِنَّهُ) وإن القرآن (لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) به المكذبين له إذا رأوا ثواب المصدقين به (وَإِنَّهُ) وإن القرآن (لَحَقُّ الْيَقِينِ) لعين اليقين ومحض اليقين (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله .

﴿ سورة المعارج مكية وهى أربع وأربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سَأَلَ سَآئِلٌ) هو النضر بن الحرث قال إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم أو هو النبي ﷺ دعا بنزول العذاب عليهم ولما ضمن سأل معنى دعا عدى تعديته كأنه قيل دعا داع (بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) من قولك دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى: يدعون فيها بكل فاكهة. وسال بغير همز مدنى وشامى وهو من السؤال أيضا إلا أنه خفف بالتليين وسائل مهموز إجماعا (لِّلْكَٰفِرِينَ) صفة لعذاب أى بعذاب واقع كائن للكافرين (لَيْسَ لَهُ) لذلك العذاب (دَافِعٌ) راد (مِّنَ اللَّهِ) متصل بواقع أى واقع من عنده أو بدافع أى ليس له دافع من جهته تعالى إذا جاء وقته (ذِى الْمَعَارِجِ) أى مصاعد السماء للملائكة جمع معرج وهو موضع العروج ثم وصف المصاعد وبعد مداها فى العلو والارتفاع فقال (تَعْرُجُ) تصعد وبالياء على (الْمَلَٰٓئِكَةُ وَالرُّوحُ) أى جبريل عليه السلام خصه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه أو خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة علينا أو أرواح المؤمنين عند الموت (إِلَيْهِ) إلى عرشه ومهبط أمره (فِى يَوْمٍ) من صلة تعرج (كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) من سنى الدنيا لو صعد فيه غير الملك أو من صلة واقع أى يقع فى يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة فإما أن يكون استطالة له لشدته على الكفار أو لأنه على الحقيقة كذلك فقد قيل فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة وما قدر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر (فَاصْبِرْ) متعلق بسأل سائل لأن استعجال النضر بالعذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله ﷺ والتكذيب بالوحى وكان ذلك مما يضجر رسول الله ﷺ فأمر بالصبر عليه (صَبْرًا جَمِيلًا) بلا جزع ولاشكوى (إِنَّهُمْ) إن الكفار (يَرَوْنَهُ) أى العذاب أو يوم القيامة (بَعِيدًا) مستحيلا (وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا) كائنا لا محالة فالمراد بالبعيد البعيد من الإمكان وبالقريب القريب منه نصب (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَآءُ) بقريبا أى يمكن فى ذلك اليوم أو هو

بدل عن فى يوم فيمن علقه بواقع (كَالْمُهْلِ) كدردى الزيت أو كالفضة المذابة فى تلونها (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) كالصوف المصبوغ ألواناً لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فإذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح (وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً) لا يسأل قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه وعن البزى والبرجمى بضم الياء أى ولا يسأل قريب عن قريب أى لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه (يُبَصَّرُونَهُمْ) صفة أى حميا مبصرين معرفين إياهم أو مستأنف كأنه لما قال ولا يسئل حميم حميا قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم والواو ضميرالحميم الأول وهم ضمير الحميم الثانى أى يبصر الأحماء الأحماء فلايخفون عليهم وإنما جمع الضميران وهما للحميمين لأن فعيلا يقع موقع الجمع (يَوَدُّ الْمُجْرِمُ) يتمنى المشرك وهو مستأنف أو حال من الضمير المرفوع أو المنصوب من يبصرونهم (لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ) وبالفتح مدنى وعلى على البناء للإضافة إلىغير متمكن (بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ) وزوجته (وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ) وعشيرته الأدنين (الَّتِى تُؤْوِيهِ) تضمه انتماء إليها وبغير همز يزيد (وَمَن فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً) من الناس (ثُمَّ يُنجِيهِ) الافتداء عطف على يفتدى (كَلَّا) ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على أنه لاينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب (إِنَّهَا) إن النار ودل ذكر العذاب عليها أو هو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر أو ضمير القصة (لَظَىٰ) علم للنار (نَزَّاعَةً) حفص والمفضل على الحال المؤكدة أوعلى الاختصاص للتهويل. وغيرهما بالرفع خبر بعد خبر لإن أو على هى نزاعة (لِّلشَّوَىٰ) لأطراف الإنسان كاليدين والرجلين أو جمع شواة وهى جلدة الرأس تنزعها نزعا فتفرقها ثم تعود إلى ما كانت (تَدْعُوا) بأسمائهم يا كافر يا منافق إلىّ إلىّ أو تهلك من قولهم دعاك الله أى أهلكك أو لما كان مصيره إليها جعلت كأنها دعته (مَنْ أَدْبَرَ) عن الحق (وَتَوَلَّىٰ) عن الطاعة (وَجَمَعَ) المال (فَأَوْعَىٰ) فجعله فى وعاء ولم يؤد حق الله منه (إِنَّ الْإِنسَانَ) أريد به الجنس ليصح استثناء المصلين منه (خُلِقَ هَلُوعاً) عن ابن عباس رضى الله عنهما تفسيره ما بعده (إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً) والهلع: سرعة الجزع عندمس المكروه وسرعة

المنع عند مس الخير. وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال قد فسره الله تعالى، ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذى إذا ناله شر أظهر شدة الجزع وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس وهذا طبعه وهو مأمور بمخالفة طبعه وموافقة شرعه والشر: الضر والفقر. والخير: السعة والغنى أو المرض والصحة (إِلاَّ الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ) أى صلواتهم الخمس (دَائِمُونَ) أى يحافظون عليها فى مواقيتها وعن ابن مسعود رضى الله عنه (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ) يعنى الزكاة لأنها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها فى أوقات معلومة (لِلسَّائِلِ) الذى يسأل (وَالْمَحْرُومِ) الذى يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) أى يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة (وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ) خائفون واعترض بقوله (إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ) بالهمز سوى أبى عمرو أى لاينبغى لأحد وإن بالغ فى الاجتهاد والطاعة أن يأمنه وينبغى أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ) نسائهم (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) أى إمائهم (فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) على ترك الحفظ (فَمَنِ ابْتَغَىٰ) طلب منكحا (وَرَاءَ ذَٰلِكَ) أى غير الزوجات والمملوكات (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) المتجاوزون عن الحلال إلى الحرام. وهذه الآية تدل على حرمة المتعة ووطء الذكران والبهائم والاستمناء بالكف (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ) لأمانتهم مكى وهى تتناول أمانات الشرع وأمانات العباد (وَعَهْدِهِمْ) أى عهودهم ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والأيمان (رَاعُونَ) حافظون غير خائنين ولا ناقضين. وقيل الأمانات ماتدل عليه العقول والعهد ماأتى به الرسول (وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ) بشهادتهم سهل وبالألف حفص ويعقوب (قَائِمُونَ) يقيمونها عند الحكام بلا ميل إلى قريب وشريف وترجيح للقوى على الضعيف إظهارا للصلابة فى الدين ورغبة فى إحياء حقوق المسلمين (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) كرر ذكر الصلاة لبيان أنها أهم أولأن إحداها للفرائض والأخرى للنوافل وقيل الدوام عليها الاستكثار منها والمحافظة عليها أن لا تضيع عن مواقيتها أو الدوام عليها أداؤها فى أوقاتها والمحافظة عليها حفظ أركانها وواجباتها وسننها وآدابها (أُولَٰئِكَ) أصحاب

هذه الصفات (فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ) هما خبران (فَمَالِ) كتب مفصولا اتباعا لمصحف عثمان رضى الله عنه (الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ) نحوك مممول (مُهْطِعِينَ) مسرعين حال من الذين كفروا (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ) عن يمين النبي ﷺ وعن شماله (عِزِينَ) حال أى فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة كأن كل فرقة تمتزى إلى غير من تمتزى إليه الأخرى فهم مفترقون كان المشركون يحتفون حول النبي ﷺ حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ) بضم الياء وفتح الخاء سوى المفضل (جَنَّةَ نَعِيمٍ) كالمؤمنين (كَلَّا) ردع لهم عن طمعهم فى دخول الجنة (إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ) أى من النطفة المذرة لذلك أبهم إشعارا بأنه منصب يستحيا من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم أو معناه إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم ومن حكمنا أن لا يدخل أحد الجنة إلا بالإيمان فلم يطمع أن يدخلها من لا إيمان له (فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَٰرِقِ) مطالع الشمس (وَالْمَغَٰرِبِ) ومغاربها (إِنَّا لَقَٰدِرُونَ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ) على أن نهلكهم ونأتى بخلق أمثل منهم وأطوع لله (وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) بعاجزين (فَذَرْهُمْ) فدع المكذبين (يَخُوضُوا) فى باطلهم (وَيَلْعَبُوا) فى دنياهم (حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ) فيه العذاب (يَوْمَ) بدل من يومهم (يَخْرُجُونَ) بفتح الياء وضم الراء سوى الأعشى (مِنَ الْأَجْدَاثِ) القبور (سِرَاعًا) جمع سريع حال أى إلى الداعى (كَأَنَّهُمْ) حال (إِلَىٰ نُصُبٍ) شامى وحفص وسهل. نَصَب المفضل. نَصْب غيرهم وهو كل ما نصب وعبد من دون الله (يُوفِضُونَ) يسرعون (خَٰشِعَةً) حال من ضمير يخرجون أى ذليلة (أَبْصَٰرُهُمْ) يعنى لا يرفعونها لذلتهم (تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) يغشاهم هوان (ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ) فى الدنيا وهم يكذبون به .

﴿ سورة نوح عليه السلام مكية وهى ثمان وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِنَّآ أَرْسَلْنَآ نُوحًا) قيل معناه بالسريانية الساكن (إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ) خوف أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل ومحله عند الخليل جر وعند غيره نصب أو أن مفسرة بمعنى أى لأن فى الإرسال معنى القول (قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) عذاب الآخرة أو الطوفان (قَالَ يَٰقَوْمِ) أضافهم إلى نفسه إظهارا للشفقة (إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ) مخوف (مُّبِينٌ) أبين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه وأن هذه نحو أن انذر فى الوجهين (وَاتَّقُوهُ) واحذروا عصيانه (وَأَطِيعُونِ) فيما آمركم به وأنهاكم عنه وإنما أضافه إلى نفسه لأن الطاعة قد تكون لغير الله تعالى بخلاف العبادة (يَغْفِرْ لَكُم) جواب الأمر (مِّن ذُنُوبِكُمْ) للبيان كقوله: فاجتنبوا الرجس من الأوثان. أو للتبعيض لأن ما يكون بينه وبين الخلق يؤاخذ به بعد الإسلام كالقصاص وغيره كذا فى شرح التأويلات (وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) وهو وقت موتكم (إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ) أى الموت (إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) أى لو كنتم تعلمون ما يحل بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم لآمنتم قيل إن الله تعالى قضى مثلا أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة وإن لم يؤمنوا أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى أى تبلغوا ألف سنة ثم أخبر أن الأجل إذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت وقيل إنهم كانوا يخافون على أنفسهم الإهلاك من قومهم بإيمانهم وإجابتهم لنوح عليه السلام فكأنه عليه السلام أمنهم من ذلك ووعدهم أنهم بإيمانهم يبقون إلى الأجل الذى ضرب لهم لو لم يؤمنوا أى أنكم إن أسلمتم بقيتم إلى أجل مسمى آمنين من عدوكم (قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا) دائبا بلا فتور (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِى إِلَّا فِرَارًا) عن طاعتك ونسب ذلك إلى دعائه لحصوله عنده وإن لم يكن الدعاء سببا للفرار فى الحقيقة وهو كقوله: وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم. والقرآن لا يكون سببا لزيادة الرجس وكان الرجل يذهب بابنه

إلى نوح عليه السلام فيقول احذر هـــذا فلا يغرنك فإن أبي قد وصاني به (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ) إلى الإيمان بك (لِتَغْفِرَ لَهُمْ) أي ليؤمنوا فتغفر لهم فاكتفى بذكر المسبب (جَعَلُوٓا أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ) سدوامسامعهم لئلايسمعوا كلامي (وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ) وتغطوا بثيابهم لئلا يبصروني كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم في دين الله (وَأَصَرُّوا) وأقاموا على كفرهم (وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً) وتعظموا عن إجابتي وذكر المصدر دليل على فرط استكبارهم (ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً) مصدر في موضع الحال أي مجاهرا أو مصـدر دعوتهم كقعد القرفصاء لأن الجهار أحد نوعي الدعاء يعني أظهرت لهم الدعوة في المحافل (ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً) أي خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر فالحاصل أنه دعاهم ليلاونهارا في السر ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن وهكذا يفعل الآمر بالمعروف يبتدئ بالأهون ثم بالأشد فالأشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنّى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلّث بالجمع بين الإسرار والإعلان وثم تدل على تباعـد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) من الشرك لأن الاستغفار طلب المغفرة فإن كان المستغفر كافرا فهو من الكفر وإن كان عاصيا مؤمنا فهو من الذنوب (إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً) لم يزل غفارا لذنوب من ينيب إليه (يُرْسِلِ السَّمَآءَ) المطر (عَلَيْكُم مِّدْرَارًا) كثيرة الدرور ومفعال يستوى فيه المذكر والمؤنث (وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ) يزدكم أموالا وبنين (وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ) بساتين (وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا) جارية لمزارعكم وبساتينكم وكانوا يحبون الأموال والأولاد فحرّكوا بهذا على الإيمان وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة أوسبعين فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله الخصب ورفع عنهم ما كانوا فيه. وعن عمر رضي الله عنه أنه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر. شبه عمر الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا تخطىء وقرأ الآيات وعن الحسن أن رجلا شكا إليه الجـدب فقال استغفر الله وشكا إليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال

يشكون أبوابا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآيات (مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) لا تخافون لله عظمة . عن الأخفش قال : والرجاء هنا الخوف لأن مع الرجاء طرفا من الخوف ومن اليأس والوقار العظمة أو لا تأملون له توقيرا أى تعظيما . والمعنى مالكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم فى دار الثواب (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) فى موضع الحال أى ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهى حال موجبة للإيمان به لأنه خلقكم أطوارا أى تارات وكرّات خلقكم أولا نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما نبههم أولا على النظر فى أنفسكم لأنها أقرب ثم على النظر فى العالم وما سوّى فيه من العجائب الدالة على الصانع بقوله (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا) بعضها على بعض (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا) أى فى السموات وهو فى السماء الدنيا لأن بين السموات ملابسة من حيث إنها طباق فجاز أن يقال فيهن كذا وإن لم يكن فى جميعهن كما يقال فى المدينة كذا وهو فى بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم أن الشمس والقمر وجوههما مما يلى السموات وظهورهما مما يلى الأرض فيكون نور القمر محيطا بجميع السموات لأنها لطيفة لا تحجب نوره (وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا) مصباحا يبصر أهل الدنيا فى ضوئها كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره وضوء الشمس أقوى من نور القمر وأجمعوا على أن الشمس فى السماء الرابعة (وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ) أنشأكم استعير الإنبات للإنشاء (نَبَاتًا) فنبتم نباتا (ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا) بعد الموت (وَيُخْرِجُكُمْ) يوم القيامة (إِخْرَاجًا) أكده بالمصدر أى أىّ إخراج (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا) مبسوطة (لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا) لتتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (سُبُلًا) طرقا (فِجَاجًا) واسعة أو مختلفة (قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي) فيما أمرتهم به من الإيمان والاستغفار (وَاتَّبَعُوا) أى السفلة والفقراء (مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ) أى الرؤساء وأصحاب الأموال والأولاد . وَوُلْده مكى وعراقى غير عاصم وهو جمع ولد كأسد وأسد (إِلَّا خَسَارًا) فى الآخرة (وَمَكَرُوا) معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع إلى من لأنه فى معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح

وتحريش الناس على أذاه وصدهم عن الميل إليه (مَكْرًا كُبَّارًا) عظيما وهو أكبر من الكبار وقرئ به وهو أكبر من الكبير (وَقَالُوا) أى الرؤساء لسفلتهم (لَا تَذَرُنَّ ءالِهَتَكُمْ) على العموم أى عبادتها (وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا) بفتح الواو وضمها وهو قراءة نافع لغتان: صنم على صورة رجل (وَلَا سُوَاعًا) هو على صورة امرأة (وَلَا يَغُوثَ) هو على صورة أسد (وَيَعُوقَ) هو على صورة فرس وهما لا ينصرفان للتعريف ووزن الفعل إن كانا عربيين وللتعريف والعجمة إن كانا أعجميين (وَنَسْرًا) هو على صورة نسر أى هذه الأصنام الخمسة على الخصوص وكأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها بعد العموم وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هى أسماء رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروهم ليكون ذلك أدعى لهم إلى العبادة فلما طال الزمان قال لهم إبليس إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم (وَقَدْ أَضَلُّوا) أى الأصنام كقوله إنهن أضللن (كَثِيرًا) من الناس أو الرؤساء (وَلَا تَزِدِ الظَّـٰلِمِينَ) عطف على رب إنهم عصونى على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب إنهم عصونى وقال لا تزد الظالمين أى قال هذين القولين وهما فى محل النصب لأنهما مفعولا قال (إِلَّا ضَلَـٰلًا) هلاكا كقوله ولا تزد الظالمين إلا تبارا (مِّمَّا خَطِيئَـٰتِهِمْ) خطاياهم أبو عمرو أى ذنوبهم (أُغْرِقُوا) بالطوفان (فَأُدْخِلُوا نَارًا) عظيمة وتقديم مما خطيئاتهم لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان وإدخالهم فى النيران إلا من أجل خطيئاتهم وأكد هذا المعنى بزيادة ما وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فإن كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وإن كانت كبراهن والفاء فى فأدخلوا للإيذان بأنهم عذبوا بالإحراق عقيب الإغراق فيكون دليلا على إثبات عذاب القبر (فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا) ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله (وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا) أى أحدا يدور فى الأرض وهو فيعال من الدور وهو من الأسماء المستعملة فى النفى العام (إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ) ولا تهلكهم (يُضِلُّوا عِبَادَكَ) يدعوهم إلى الضلال (وَلَا يَلِدُوٓا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) إلا من إذا بلغ فجر وكفر

وإنما قال ذلك لأن الله تعالى أخبره بقوله: لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ) وكانا مسلمين واسم أبيه لمك واسم أمه شمخاء وقيل هما آدم وحواء وقرئ ولولدى يريد ساما وحاما (وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ) منزلى أو مسجدى أو سفينتى (مُؤْمِنًا) لأنه علم أن من دخل بيته مؤمنا لايعود إلى الكفر (وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ) إلى يوم القيامة خص أولا من يتصل به لأنهم أولى وأحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات (ولاَ تَزِدِ الظَّٰلِمِينَ) أى الكافرين (إِلاَّ تَبَارًا) هلاكا فأهلكوا قال ابن عباس رضى الله عنهما دعا نوح عليه السلام بدعوتين إحداهما للمؤمنين بالمغفرة وأخرى على الكافرين بالتبار وقد أجيبت دعوته فى حق الكفار بالتبار فاستحال أن لاتستجاب دعوته فى حق المؤمنين واختلف فى صبيانهم حين أغرقوا فقيل أعقم الله أرحام نسائهم قبل الطوفان بأربعين سنة فلم يكن معهم صبي حين أغرقوا وقيل علم الله براءتهم فأهلكوا بغير عذاب والله أعلم .

﴿ سورة الجن مكية وهى ثمان وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قُلْ) يا محمد لأمتك (أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ) أن الأمر والشأن أجمعوا على فتح أنه لأنه فاعل أوحى وأن لو استقاموا وأن المساجد للعطف على أنه استمع فأن مخففة من الثقيلة وأن قد أبلغوا لتعدى يعلم إليها وعلى كسر ما بعد فاء الجزاء وبعد القول نحو فإن له نار جهنم وقالوا إنا سمعنا لأنه مبتدأ محكى بعد القول، واختلفوا فى فتح الهمزة وكسرها من أنه تعالى جد ربنا إلى وأنا منا المسلمون ففتحها شامى وكوفى غير أبى بكر عطفا على أنه استمع أوعلى محل الجار والمجرور فى آمنا به تقديره صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيهنا الى آخرها وكسرها غيرهم عطفا على إنا سمعنا وهم يقفون على آخر الآيات (اسْتَمَعَ نَفَرٌ) جماعة من الثلاثة إلى العشرة (مِّنَ الْجِنِّ) جن نصيبين (فَقَالُوا) لقومهم حين رجعوا إليهم من استماع قراءة النبى ﷺ فى صلاة الفجر (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا) عجيبا بديعا مباينا لسائر الكتب فى حسن نظمه وصحة معانيه والعجب ما يكون خارجا عن العادة وهو مصدر

وضع موضع العجيب (يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ) يدعوا إلى الصواب أو إلى التوحيد والإيمان (فَـَٔامَنَّا بِهِۦ) بالقرآن ولما كان الإيمان به إيمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا (وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا) من خلقه وجاز أن يكون الضمير فى به لله تعالى لأن قوله بربنا يفسره (وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا) عظمته يقال جد فلان فى عينى أى عظم ومنه قول عمر أوأنس كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أى عظم فى عيوننا (مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً) زوجة (وَلَا وَلَدًا) كما يقول كفار الجن والإنس (وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا) جاهلنا أو إبليس إذ ليس فوقه سفيه (عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا) كفرا لبعده عن الصواب من شطت الدار أى بعدت أو قولا يجوز فيه عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد إليه والشطط مجاوزة الحد فى الظلم وغيره (وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا) قولا كذبا أو مكذوبا فيه أو نصب على المصدر إذ الكذب نوع من القول أى كان فى ظننا أن أحدا لن يكذب على الله بنسبة الصاحبة والولد إليه فكنا نصدقهم فيما أضافوا إليه حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم كان الرجل من العرب إذا نزل بمخوف من الأرض قال أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه يريد كبير الجن فقال (وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ) أى زاد الإنس الجن باستعاذتهم بهم (رَهَقًا) طغيانا وسفها وكبرا بأن قالوا سدنا الجن الإنس أو فزاد الجن الإنس رهقا اثما لاستعاذتهم بهم وأصل الرهق غشيان المحظور (وَأَنَّهُمْ) وأن الجن (ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ) يا أهل مكة (أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا) بعد الموت أى أن الجن كانوا ينكرون البعث كإنكاركم ثم بسماع القرآن اهتدوا وأقروا بالبعث فهلا أقررتم كما أقروا (وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ) طلبنا بلوغ السماء واستماع أهلها، واللمس: المس فاستعير للطلب لأن الماس طالب متعرف (فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا) جمعا أقوياء من الملائكة يحرسون، جمع حارس ونصب على التميز وقيل الحرس اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام ولذا وصف بشديد ولو نظر إلى معناه لقيل شدادا (وَشُهُبًا) جمع شهاب أى كواكب مضيئة (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا) من السماء قبل هذا (مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ) لاستماع أخبار السماء يعنى كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل البعث (فَمَن يَسْتَمِعِ)

يرد الاستماع (ٱلْآنَ) بعد البعث (يَجِدْ لَهُ) لنفسه (شِهَابًا رَّصَدًا) صفة لشهابا بمعنى الراصد أى يجدشهابا راصدا له ولأجله أوهو اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم وهم الملائـكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع، والجمهور على أن ذلك لم يكن قبل مبعث محمد ﷺ وقيل كان الرجم فى الجاهلية ولـكن الشياطين كانت تسترق السمع فى بعض الأوقات فمنعوا من الاستراق أصلا بعدمبعث النبى ﷺ (وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ) عذاب (أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ) بعدم استراق السمع (أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) خيرا ورحمة (وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ) الأبرار المتقون (وَمِنَّا) قوم (دُونَ ذَٰلِكَ) فحذف الموصوف وهم المقتصدون فى الصلاح غير الـكاملين فيه أوأرادوا غير الصالحين (كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا) بيان للقسمة المذكورة أى كنا ذوى مذاهب متفرقة أو أديان مختلفةوالقـدد جمع قدة وهى القطعة من قددت السير أى قطعته (وَأَنَّا ظَنَنَّآ) أيقنا (أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ)لن نفوته (فِى ٱلْأَرْضِ) حال أى لن نعجزه كائنين فى الأرض أينما كنا فيهـا (وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا) مصدر فى موضع الحال أى ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء وهذه صفة الجن وماهم عليه من أحوالهم وعقائدهم (وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ) القرآن (ءَامَنَّا بِهِۦ) بالقرآن أو بالله (فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ) فهو لايخاف مبتدأوخبر (بَخْسًا) نقصا من ثوابه (وَلَا رَهَقًا) أى ولا ترهقه ذلةمن قوله: وترهقهم ذلة. وقوله: ولايرهق وجوههم قتر ولاذلة. وفيه دليل على أن العمل ليس من الإيمان (وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ) المؤمنون (وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ) الـكافرون الجائرون عن طريق الحق، قسط : جار وأقسط عدل (فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا) طلبوا هدى والتحرى طلب الأحرى أى الأولى (وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟) فى علم الله (لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) وقودا وفيه دليل على أن الجنى الـكافر يعذب فى النار ويتوقف فى كيفية ثوابهم (وَأَن) مخففة من الثقيلة يعنى وأنه وهى من جملة الموحى أى أوحى إلى أن الشأن (لَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟) أى القاسطون (عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ) طريقة الإسلام (لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا) كثيرا والمعنى لوسعنا عليهم الرزق وذكر الماء الغدق لأنهسبب سعة الرزق (لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) لنختبرهم فيه كيف يشكرون ماخولوا منه (وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ) القرآن أوالتوحيد

أو العبادة (يَسْلُكْهُ) بالياء عراقى غير أبى بكر يدخله (عَذَابًا صَعَدًا) شاقا مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لأنه يتصعد المعذب أى يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضى الله عنه : ما تصعدنى شىء ما تصعدتنى خطبة النكاح. أى ما شق علىّ (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) من جملة الوحى اى أوحى إلى أن المساجد أى البيوت المبنية للصلاة فيها لله وقيل معناه ولأن المساجد لله فلاتدعوا على أن اللام متعلقة بلاتدعوا أى (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) فى المساجد لأنها خالصة لله ولعبادته وقيل المساجد أعضاء السجود وهى الجبهة واليدان والركبتان والقدمان (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ) محمد عليه السلام إلى الصلاة وتقديره وأوحى إلى أنه لما قام عبد الله (يَدْعُوهُ) يعبده ويقرأ القرآن ولم يقل نبى الله أو رسول الله لأنه من أحب الأسماء إلى النبى ﷺ ولأنه لما كان واقعا فى كلامه ﷺ عن نفسه جىء به على ما يقتضيه التواضع أو لأن عبادة عبد الله لله ليست بمستبعد حتى يكونوا عليه لبدا (كَادُوا) كاد الجن (يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) جاعات جمع لبدة تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به وإعجابا بما تلاه من القرآن لأنهم رأوا مالم يروا مثله (قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّى) وحده. قال غير عاصم وحمزة (وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا) فى العبادة فلم تتعجبون وتزدحمون علىّ (قُلْ إِنِّى لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا) مضرة (وَلَا رَشَدًا) نفعا أو أراد بالضر الغى بدليل قراءة أبىّ غيا ولا رشدا يعنى لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم لأن الضار والنافع هو الله (قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ) لن يدفع عنى عذابه أحد إن عصيته كقول صالح عليه السلام: فمن ينصرنى من الله إن عصيته. (وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا) ملتجأ (إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ) استثناء من لا أملك أى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا إلا بلاغا من الله وقل إنى لن يجيرنى اعتراض لتأكيد نفى الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه وقيل بلاغا بدل من ملتحدا أى لن أجد من دونه منجى إلا أن أبلغ عنه ما أرسلنى به يعنى لا ينجينى إلا أن أبلغ عن الله ماأرسلت به فإن ذلك ينجينى وقال الفراء هذا شرط وجزاء وليس باستثناء وإن منفصلة من لا وتقديره أن لا أبلغ بلاغا أى إن لم أبلغ لم أجد من دونه ملتجأ ولا مجيرا لى كقولك إن لا قياما فقعودا والبلاغ فى هذه الوجوه بمعنى التبليغ (وَرِسَالَاتِهِ) عطف على بلاغا كأنه

قيل لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات أى إلا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسبه لقوله إليه وأن أبلغ رسالته التى أرسلنى بها بلا زيادة ونقصان ومن ليست بصلة للتبليغ لأنه يقال بلّغ عنه إنما هى بمنزلة من فى براءة من الله أى بلاغا كائنا من الله (وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ) فى ترك القبول لما أنزل على الرسول لأنه ذكر على أثر تبليغ الرسالة (فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا) وحد فى قوله له وجمع فى خالدين للفظ من ومعناه (حَتَّىٰٓ) يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال كأنه قيل لا يزالون على ماهم عليه حتى (إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ) من العذاب (فَسَيَعْلَمُونَ) عند حلول العذاب بهم (مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا) أهم أم المؤمنون؟ أى الكافر لا ناصر له يومئذ والمؤمن ينصره الله وملائكته وأنبياؤه (قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ) ما أدرى (أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ) من العذاب (أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّىٓ) وبفتح الياء حجازى وأبو عمرو (أَمَدًا) غاية بعيدة يعنى أنكم تعذبون قطعا ولكن لا أدرى أهو حال أم مؤجل (عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ) هو خبر مبتدأ أى هو عالم الغيب (فَلَا يُظْهِرُ) فلا يطلع (عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا) من خلقه (إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ) إلا رسولا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب ليكون إخباره عن الغيب معجزة له فإنه يطلعه على غيبه ماشاء ومن رسول بيان لمن ارتضى والولى إذا أخبر بشئ فظهر فهو غير جازم عليه ولكنه أخبر بناء على رؤياه أو بالفراسة على أن كل كرامة للولى فهى معجزة للرسول وذكر فى التأويلات قال بعضهم فى هذه الآية بدلالة تكذيب المنجمة وليس كذلك فإن فيهم من يصدق خبره وكذلك المتطببة يعرفون طبائع النبات وذا لا يعرف بالتأمل فعلم بأنهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع أثره وبقى علمه فى الخلق (فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ) يدخل (مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ) يدى رسول (وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا) حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ الوحى (لِّيَعْلَمَ) الله (أَن قَدْ أَبْلَغُوا) أى الرسل (رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ) كاملة بلا زيادة ولا نقصان إلى المرسل إليهم أى ليعلم الله ذلك موجودا حال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده أنه يوجد وحد الضمير فى من بين يديه للفظ من وجمع فى أبلغوا لمعناه (وَأَحَاطَ) الله (بِمَا لَدَيْهِمْ) بما عند الرسل من العلم (وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا) من

القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحار فكيف لايحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال أى وعلم كل شيء معدودا محصورا أو مصدر فى معنى إحصاء والله أعلم .

﴿سورة المزمل صلى الله عليه وسلم مكية وهى تسع عشرة آية بصرى وثمان عشرة شامى﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يَـٰأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ) أى المتزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه أى تلفف بها بادغام التاء فى الزاى كان النبى ﷺ نائما بالليل متزملا فى ثيابه فأمر بالقيام للصلاة بقوله (قُمِ الَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلًا نِّصْفَهُ) بدل من الليل وإلا قليلا استثناء من قوله نصفه تقديره قم نصف الليل إلا قليلا من نصف الليل (أَوِ انقُصْ مِنْهُ) من النصف. بضم الواو غير عاصم وحمزة (قَلِيلًا) إلى الثلث (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) على النصف إلى الثلثين والمراد التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وإن جعلت نصفه بدلا من قليلا كان مخيرا بين ثلاثة أشياء بين قيام نصف الليل تاما وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وإنما وصف النصف بالقلة بالنسبة إلى الكل وإلا فإطلاق لفظ القليل ينطلق على ما دون النصف ولهذا قلنا إذا أقر أن لفلان عليه ألف درهم إلا قليلا أنه يلزمه أكثر من نصف الألف (وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ) بين وفصل من الثغر المرتل أى المفلج الأسنان وكلام رتل بالتحريك أى مرتل وثغر رتل أيضا إذا كان مستوى البنيان أو اقرأ على تؤدة بتبيين الحروف وحفظ الوقوف وإشباع الحركات (تَرْتِيلًا) هو تأكيد فى إيجاب الأمر به وأنه لابد منه للقارئ (إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ) سننزل عليك (قَوْلاً ثَقِيلًا) أى القرآن لما فيه من الأوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين أو ثقيلا على المنافقين أو كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف الخفيف (إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْلِ) بالهمزة سوى ورش: قيام الليل. عن ابن مسعود رضى الله عنه فهو مصدر من نشأ إذا قام ونهض على فاعلة كالعافية أو العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث أو ساعات الليل لأنها تنشأ ساعة

فساعة وكان زين العابدين رضى الله عنه يصلى بين العشاءين ويقول هذه ناشئة الليل (هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) وطاءً وفاقا شامى وأبو عمرو أى يواطىء فيها قلب القائم لسانه وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق . غيرهما وطأ أى أثقل على المصلى من صلاة النهار لطرد النوم فى وقته من قوله ﷺ : اللهم اشدد وطأتك على مضر. (وَأَقْوَمُ قِيلاً) وأشد مقالا وأثبت قراءة لهدو الأصوات وانقطاع الحركات (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا) تصرفا وتقلبا فى مهماتك وشواغلك ففرّغ نفسك فى الليـل لعبادة ربك أو فراغا طويلا لنومك وراحتك (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ) ودم على ذكره فى الليل والنهار وذكر الله يتناول التسبيح والتهليل والتـكبير والصلاة وتلاوة القرآن ودراسة العلم (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ) انقطع إلى عبادته عن كل شىء. والتبتل : الانقطاع إلى الله تعالى بتأميل الخير منه دون غيره . وقيل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله (تَبْتِيلًا) فى اختلاف المصدر زيادة تأكيد أى بتّلك الله فتبتل تبتيلا أو جىء به مراعاة لحق الفواصل (رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) بالرفع أى هو رب أو مبتدأ خبره (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) وبالجر شامى وكوفى غير حفص بدل من ربك وعن ابن عباس رضى الله عنهما على القسم بإضمار حرف القسم نحو الله لأفعلن وجوابه لا إله إلا هو كقولك والله لاأحد فى الدار إلا زيد (فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً) وليا وكفيلا بما وعدك من النصر أو إذا علمت أنه ملك المشرق والمغرب وأن لا إله إلا هو فاتخـذه كافيا لأمورك وفائدة الفاء أن لا تلبث بعد أن عرفت فى تفويض الأمور إلى الواحد القهار إذ لا عذر لك فى الانتظار بعد الإقرار (وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) فىّ من الصاحبة والولد وفيك من الساحر والشاعر (وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا) جانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن المحافظة وترك المكافأة وقيل هو منسوخ بآية القتال (وَذَرْنِي) أى كلهم إلىّ فأنا كافيهم (وَالْمُكَذِّبِينَ) رؤساء قريش مفعول معه أو عطف على ذرنى أى دعنى وإياهم (أُولِي النَّعْمَةِ) التنعم وبالكسر الإنعام وبالضم المسرة (وَمَهِّلْهُمْ) إمهالا (قَلِيلًا) إلى يوم بدر أو إلى يوم القيامة (إِنَّ لَدَيْنَآ) للكافرين فى الآخرة (أَنكَالاً) قيودا ثقالا جمع نِكْل (وَجَحِيماً) نارا محرقة (وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ) أى الذى ينشب فى الحلوق فلا ينساغ يعنى الضريع والزقوم (وَعَذَاباً

أَلِيماً) يخلص وجعه إلى القلب وروى أنه ﷺ قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن أنه أمسى صائماً فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثابت البنانى وغيره فجاءوا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق (يَوْمَ) منصوب بما فى لدينا من معنى الفعل أى استقر للكفار لدينا كذا وكذا يوم (تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ) أى تتحرك حركة شديدة (وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً) رملا مجتمعا من كثب الشيء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول (مَّهِيلًا) سائلا بعد اجتماعه (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ) يا أهل مكة (رَسُولًا) يعنى محمدا عليه السلام (شَاهِدًا عَلَيْكُمْ) يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا) يعنى موسى عليه السلام (فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ) أى ذلك الرسول إذ النكرة إذا أعيدت معرفة كان الثانى عين الأول (فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا) شديدا غليظاً وإنما خص موسى وفرعون لأن خبرهما كان منتشراً بين أهل مكة لأنهم كانوا جيران اليهود (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا) هو مفعول تتقون أى كيف تتقون عذاب يوم كذا إن كفرتم أو ظرف أى فكيف لكم التقوى فى يوم القيامة إن كفرتم فى الدنيا أو منصوب بكفرتم على تأويل جحدتم أى كيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء لأن تقوى الله خوف عقابه (يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ) صفة ليوما والعائد محذوف أى فيه (شِيبًا) من هوله وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك وهو جمع أشيب وقيل هو على التمثيل للتهويل يقال لليوم الشديد يوم يشيب نواصى الأطفال (السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ) وصف لليوم بالشدة أيضاً أى السماء على عظمها وإحكامها تنفطر به أى تنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق والتذكير على تأويل السماء بالسقف أو السماء شيء منفطر وقوله به أى بيوم القيامة يعنى أنها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به (كَانَ وَعْدُهُ) المصدر مضاف إلى المفعول وهو اليوم أو إلى الفاعل وهو الله عز وجل (مَفْعُولًا) كائناً (إِنَّ هَٰذِهِ) الآيات الناطقة بالوعيد (تَذْكِرَةٌ) موعظة (فَمَن شَاءَ

اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا) أى فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا إلى الله بالتقوى والخشية (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ) أقل فاستعير الأدنى وهو الأقرب للأقل لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز وإذا بعدت كثر ذلك (مِن ثُلُثَىِ الَّيْلِ) بضم اللام سوى هشام (وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ) منصوبان عطف على أدنى مكى وكوفى ومن جرهما عطف على ثلثى (وَطَآئِفَةٌ) عطف على الضمير فى تقوم وجاز بلا توكيد لوجود الفاصل (مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ) أى ويقوم ذلك المقدار جماعة من أصحابك (وَاللَّهُ يُقَدِّرُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ) أى ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتهما إلا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنياً عليه يقدر هو الدال على أنه مختص بالتقدير ثم إنهم قاموا حتى انتفخت أقدامهم فنزل (عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ) لن تطيقوا قيامه على هذه المقادير إلا بشدة ومشقة وفى ذلك حرج (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) فخفف عليكم واسقط عنكم فرض قيام الليل (فَاقْرَءُوا) فى الصلاة والأمر للوجوب أو فى غيرها والأمر للندب (مَا تَيَسَّرَ) عليكم (مِنَ الْقُرْءَانِ) روى أبو حنيفة عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال من قرأ مائة آية فى ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائتى آية كتب من القانتين وقيل أراد بالقرآن الصلاة لأنه بعض أركانها أى فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للأول ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس ثم بين الحكمة فى النسخ وهى تعذر القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين فقال (عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم) أى أنه مخففة من الثقيلة والسين بدل من تخفيفها وحذف اسمها (مَّرْضَىٰ) فيشق عليهم قيام الليل (وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الْأَرْضِ) يسافرون (يَبْتَغُونَ) حال من ضمير يضربون (مِن فَضْلِ اللَّهِ) رزقه بالتجارة أو طلب العلم (وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ) سوّى بين المجاهد والمكتسب لأن كسب الحلال جهاد قال ابن مسعود رضى الله عنه أيما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وقال ابن عمر رضى الله عنهما ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل فى سبيل الله أحب إلىّ من أن أموت بين شعبتى رجل أضرب فى الأرض أبتغى من فضل الله (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) كرر الأمر بالتيسير لشدة احتياطهم (وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ) المفروضة (وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ) الواجبة (وَأَقْرِضُوا اللَّهَ)

بالنوافل. والقرض لغة: القطع فالمقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه إلى غيره وكذا المتصدق يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله لله تعالى وإنما أضافه إلى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما تصدق به عليه وهذا لأن الفقير معاون له فى تلك القربة فلا يكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه (قَرْضًا حَسَنًا) من الحلال بالاخلاص (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ) أى ثوابه وهو جزاء الشرط (عِندَ اللهِ هُوَ خَيْرًا) مما خلفتم وتركتم فالمفعول الثانى لتجدوه خيراً وهو فصل. وجاز وإن لم يقع بين معرفتين لأن أفعل من أشبه المعرفة لامتناعه من حرف التعريف (وَأَعْظَمَ أَجْرًا) وأجزل ثوابا (وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ) من السيئات والتقصير فى الحسنات (إِنَّ اللهَ غَفُورٌ) يستر على أهل الذنب والتقصير (رَّحِيمٌ) يخفف عن أهل الجهد والتوفير وهو على ما يشاء قدير والله أعلم.

﴿ سورة المدثر صلى الله عليه وسلم مكية وهى ست وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

روى جابر أن النبى ﷺ قال كنت على جبل حراء: فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى ويسارى فلم أر شيئاً فنظرت إلى فوقى فإذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض ـ يعنى الملك الذى ناداه ـ فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثرونى دثرونى. فدثرته خديجة فجاء جبريل وقرأ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) أى المتلفف بثيابه من الدثار وهو كل ما كان من الثياب فوق الشعار. والشعار: الثوب الذى يلى الجسد وأصله المتدثر فأدغم (قُمْ) من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم (فَأَنذِرْ) فحذر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا أو فافعل الإنذار من غير تخصيص له بأحد وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فقيل له يا أيها الصارف أذى الكفار عن نفسك بالدثار قم فاشتغل بالانذار وإن آذاك الفجار (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) واختص ربك بالتكبير وهو التعظيم أى لا يكبر فى عينك غيره وقل عند ما يعروك من غير الله الله أكبر وروى أنه لما نزل قال رسول الله ﷺ «الله أكبر» فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحى وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت

الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل وما كان فلا تدع تكبيره (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) بالماء عن النجاسة لأن الصلاة لا تصح إلا بها وهى الأولى فى غير الصلاة أو فقصر مخالفة للعرب فى تطويلهم الثياب وجرّهم الذيول إذ لا يؤمن معه إصابة النجاسة أو طهر نفسك مما يستقذر من الأفعال يقال فلان طاهر الثياب إذا وصفوه بالنقاء من المعايب وفلان دنس الثياب للغادر ولأن من طهر باطنه يطهر ظاهره ظاهرا (وَالرُّجْزَ) بضم الراء يعقوب وسهل وحفص وغيرهم بالكسر العذاب والمراد ما يؤدى إليه (فَاهْجُرْ) أى اثبت على هجره لأنه كان بريئاً منه (وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ) بالرفع وهو منصوب المحل على الحال أى لا تمط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيراً أو طالباً أكثر مما أعطيت فإنك مأمور بأجلّ الأخلاق وأشرف الآداب وهو من منّ عليه إذا أنعم عليه. وقرأ الحسن تستكثر بالسكون جواباً للنهى (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) ولوجه الله فاستعمل الصبر على أوامره ونواهيه وكل مصبور عليه ومصبور عنه (فَإِذَا نُقِرَ فِى النَّاقُورِ) نفخ فى الصور وهى النفخة الأولى وقيل الثانية (فَذَٰلِكَ) إشارة إلى وقت النقر وهو مبتدأ (يَوْمَئِذٍ) مرفوع المحل بدل من ذلك (يَوْمٌ عَسِيرٌ) خبر كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير والفاء فى فإذا للتسبيب وفى فذلك للجزاء كأنه قيل اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى فإذا ما دل عليه الجزاء أى فإذا نقر فى الناقور عسر الأمر (عَلَى الْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ) وأكد بقوله غير يسير ليؤذن بأنه يسير على المؤمنين أو عسير لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسير المسير من أمور الدنيا (ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ) أى كله إلىّ يعنى الوليد بن المغيرة وكان يلقب فى قومه بالوحيد ومن خلقت معطوف أو مفعول معه (وَحِيدًا) حال من الياء فى ذرنى أى ذرنى وحدى معه فإنى أكفيك أمره أو من التاء فى خلقت أى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد أو من الهاء المحذوفة أو من من أى خلقته منفرداً بلا أهل ولا مال ثم أنعمت عليه (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا) مبسوطاً كثيراً أو ممدودا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وعن مجاهد كان له مائة ألف دينار وعنه أن له أرضاً بالطائف لا ينقطع ثمرها (وَبَنِينَ شُهُودًا) حضورا معه بمكة لغناهم عن السفر وكانوا عشرة أسلم منهم خالد وهشام وعمارة (وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا) وبسطت له الجاه والرياسة فأتممت عليه نعمتى الجاه والمال

واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا (ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه فيرجو أن أزيد فى ماله وولده من غير شكر . وقال الحسن أن أزيد أن أدخله الجنة فأوتيه مالا وولداً كما قال لأوتين مالا وولدا (كَلاَّ) ردع له وقطع لرجائه أى لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم فلم يزل بعد نزول الآية فى نقصان من المال والجاه حتى هلك (إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا) للقرآن (عَنِيدًا) معانداً جاحداً وهو تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل إنه جحد آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد (سَأُرْهِقُهُ) سأغشيه (صَعُودًا) عقبة شاقة المصعد وفى الحديث الصعود جبل من نار تصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوى فيه كذلك أبدا (إِنَّهُ فَكَّرَ) تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر والذل بعد الغنى والعز لعناده ويعاقبه فى الآخرة بأشد العذاب لبلوغه بالعناد غايته وتسميته القرآن سحراً يعنى أنه فكر ماذا يقول فى القرآن (وَقَدَّرَ) فى نفسه مايقوله وهيأه (فَقُتِلَ) لعن (كَيْفَ قَدَّرَ) تعجيب من تقديره (ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ) كرر للتأكيد وثم يشعر بأن الدعاء الثانى أبلغ من الأول (ثُمَّ نَظَرَ) فى وجوه الناس أو فيما قدر (ثُمَّ عَبَسَ) قطب وجهه (وَبَسَرَ) زاد فى التقبض والكلوح (ثُمَّ أَدْبَرَ) عن الحق (وَاسْتَكْبَرَ) عنه أو عن مقامه وفى مقاله. وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما وإيراد ثم فى المعطوفات لبيان أن بين الأفعال المعطوفة تراخياً (فَقَالَ إِنْ هَٰذَا) ما هذا (إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ) يروى عن السحرة . روى أن الوليد قال لبنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد فقال أبو جهل وهو ابن أخيه أنا أكفيكموه فقعد إليه حزيناً وكلمه بما أحماه فقام الوليد فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذى يقوله إلا سحر يؤثر عن مسيلمة وأهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا متعجبين منه . وذكر الفاء دليل على أن

هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير تلبث (إِنْ هَٰذَآ إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ) ولم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين لأن الثانية جرت مجرى التوكيد للأولى (سَأُصْلِيهِ) سأدخله بدل من سأرهقه صعودا (سَقَرَ) علم لجهنم ولم ينصرف للتعريف والتأنيث (وَمَآ أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ) تهويل لشأنها (لاَ تُبْقِي) أى هى لا تبقى لحما (وَلاَ تَذَرُ) عظما أو لا تبقى شيئاً يبقى فيها إلا أهلكته ولا تذره هالكا بل يعود كما كان (لَوَّاحَةٌ) خبر مبتدأ محذوف أى هى لواحة (لِّلْبَشَرِ) جمع بشرة وهى ظاهر الجلد أى مسودّة للجلود ومحرقة لها (عَلَيْهَا) على سقر (تِسْعَةَ عَشَرَ) أى يلى أمرها تسعة عشر ملكا عند الجمهور وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا (وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ النَّارِ) أى خزنتها (إِلاَّ مَلَٰٓئِكَةً) لأنهم خلاف جنس المعذبين فلا تأخذهم الرأفة والرقة لأنهم أشد الخلق بأسا فللواحد منهم قوة الثقلين (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ) تسعة عشر (إِلاَّ فِتْنَةً) أى ابتلاء واختبار (لِّلَّذِينَ كَفَرُوا) حتى قال أبو جهل لما نزلت عليها تسعة عشر مايستطيع كل عشرة منكم أن يأخذوا واحدا منهم وأنتم الدهم فقال أبو الأشد وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفونى أنتم اثنين فنزلت وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة أى وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وقالوا فى تخصيص الخزنة بهذا العدد مع أنه لايطلب فى الأعداد العلل أن ستة منهم يقودون الكفرة إلى النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والآخر خازن جهنم وهو مالك وهو الأكبر وقيل فى سقر تسعة عشر دركا وقد سلط على كل درك ملك وقيل يعذب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب وعلى كل لون ملك موكل وقيل إن جهنم تحفظ بما تحفظ به الأرض من الجبال وهى تسعة عشر وإن كان أصلها مائة وتسعين إلا أن غيرها يشعب عنها (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ) لأن عدتهم تسعة عشر فى الكتابين فإذا سمعوا بمثلها فى القرآن أيقنوا أنه منزل من الله (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوآ) بمحمد وهو عطف على ليستيقن (إِيمَٰنًا) لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل أو يزدادوا يقينا لموافقة كتابهم كتاب أولئك (وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ وَالْمُؤْمِنُونَ) هذا عطف أيضا وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الإيمان إذ الاستيقان وازدياد الإيمان دالان على انتفاء الارتياب ثم عطف

على ليستيقن أيضا (وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) نفاق (وَٱلْكَٰفِرُونَ) المشركون فإن قلت النفاق ظهر فى المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون فى المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة (مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا) وهذا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب وذا لا يخالف كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين ومثلا تميز لهذا أو حال منه كقوله: هذه ناقة الله لكم آية. ولما كان ذكر العدد فى غاية الغرابة وأن مثله حقيق بأن تسير به الركبان سيرها بالأمثال سمى مثلا والمعنى أى شىء أراد الله بهذا العدد العجيب وأى معنى أراد فى أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين وغرضهم إنكاره أصلا وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص (كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ) الكاف نصب وذلك إشارة إلى ماقبله من معنى الإضلال والهدى أى مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يعنى إضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ماقالوا وهدى المؤمنين لتصديقه ورؤية الحكمة فى ذلك يضل الله من يشاء من عباده وهو الذى علم منه اختيار الضلال (وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ) وهو الذى علم منه اختيار الاهتداء وفيه دليل خلق الأفعال ووصف الله بالهداية والإضلال. لما قال أبو جهل لعنه الله أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر نزل (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ) لفرط كثرتها (إِلَّا هُوَ) فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له فى هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها (وَمَا هِىَ) متصل بوصف سقر وهى ضميرها أى وما سقر وصفتها (إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ) أى تذكرة للبشر أو ضمير الآيات التى ذكرت فيها (كَلَّا) إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون (وَٱلْقَمَرِ) أقسم به لعظم منافعه (وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف. وغيرهم إذا دبر ودبر بمعنى أدبر ومعناها ولى وذهب وقيل أدبر ولى ومضى ودبر جاء بعد النهار (وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ) أضاء وجواب القسم (إِنَّهَا) إن سقر (لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ) هى جمع الكبرى أى لإحدى البلايا أو الدواهى الكبر ومعنى كونها إحداهن أنها من بينهن واحدة فى العظم لا نظيرة لها كما تقول هو أحد الرجال وهى إحدى النساء (نَذِيرًا) تميز من إحدى أى أنها لإحدى الدواهى إنذارا كقولك هى إحدى النساء عفافا وأبدل من (لِّلْبَشَرِ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ)

بإعادة الجار (أن يَتَقَدَّمَ) إلى الخير (أَوْ يَتَأَخَّرَ) عنه وعن الزجاج إلى ما أمر وعما نهى (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) هي ليست بتأنيث رهين في قوله كل امرىء بما كسب رهين لتأنيث النفس لأنه لو قصدت الصفة لقيل رهين لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وإنما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (إِلَّا أَصْحَٰبَ الْيَمِينِ) أى أطفال المسلمين لأنهم لا أعمال لهم يرهنون بها أو إلا المسلمين فإنهم فكوا رقابهم بالطاعة كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق (فِي جَنَّٰتٍ) أى هم فى جنات لا يكتنه وصفها (يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ) يسأل بعضهم بعضا عنهم أو يتساءلون غيرهم عنهم (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ) أدخلكم فيها ولا يقال لا يطابق قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وإنما يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم لأن ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وإنما هو حكاية قول المسئولين عنهم لأن المسئولين يلقون إلى السائلين ماجرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين إلا أنه اختصر كما هو نهج القرآن وقيل عن زائدة (قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) أى لم نعتقد فرضيتها (وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ) كما يطعم المسلمون (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ) الخوض: الشروع فى الباطل. أى نقول الباطل والزور فى آيات الله (وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) الحساب والجزاء (حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ) الموت (فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) من الملائكة والنبيين والصالحين لأنها للمؤمنين دون الكافرين. وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين فى الحديث: إن من أمتى من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ) عن التذكير وهو العظة أى القرآن (مُعْرِضِينَ) مولين حال من الضمير نحو مالك قائما (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ) أى حمر الوحش حال من الضمير فى معرضين (مُّسْتَنفِرَةٌ) شديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها. وبفتح الفاء مدنى وشامى أى استنفرها غيرها (فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ) حال وقد معها مقدرة والقسورة: الرماة أو الأسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة شبهوا فى إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمر جدت فى نفارها (بَلْ

يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً) قراطيس تنشر وتقرأ وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك . ونحوه قوله لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه وقيل قالوا إن كان محمد صادقاً فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار (كَلَّا) ردع لهم عن تلك الإرادة وزجر عن اقتراح الآيات ثم قال (بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ) فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف (كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ) ردعهم عن إعراضهم عن التذكرة وقال إن القرآن تذكرة بليغة كافية (فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ) أى فمن شاء أن يذكره ولا ينساه فعل فإن نفع ذلك عائد إليه (وَمَا يَذْكُرُونَ) وبالتاء نافع ويعقوب (إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ) إلا وقت مشيئة الله وإلا بمشيئة الله (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) فى الحديث : هو أهل أن يتقى وأهل أن يغفر لمن اتقاه والله أعلم .

﴿ سورة القيامة مكية وهى أربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) أى أقسم عن ابن عباس ولا صلة كقوله لئلا يعلم وقوله :

* فى بئر لا حور سرى وما شعر *

وكقوله :

تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة وكاد ضمير القلب لا يتقطع

وعليه الجمهور وعن الفراء لا رد لإنكار المشركين البعث كأنه قيل ليس الأمر كما تزعمون ثم قيل أقسم بيوم القيامة وقيل أصله لأقسم كقراءة ابن كثير على أن اللام للابتداء وأقسم خبر مبتدأ محذوف أى لأنا أقسم ويقويه أنه فى الإمام بغير الألف ثم أشبع فظهر من الإشباع ألف وهذا اللام يصحبه نون التأكيد فى الأغلب وقد يفارقه (وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) الجمهور على أنه قسم آخر وعن الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة فهى صفة ذم وعلى القسم صفة مدح أى النفس المتقية التى تلوم على التقصير فى التقوى

وقيل هى نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها التى خرجت به من الجنة وجواب القسم محذوف أى لتبعثن دليله (أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ) أى الكافر المنكر للبعث (أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ) بعد تفرقها ورجوعها رفاتاً مختلطاً بالتراب (بَلَىٰ) أوجبت ما بعد النفى أى بلى نجمعها (قَـٰدِرِينَ) حال من الضمير فى نجمع أى نجمعها قادرين على جمعها وإعادتها كما كانت (عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُ) أصابعه كما كانت فى الدنيا بلا نقصان وتفاوت مع صغرها فـكيف بكبار العظام (بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ) عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما (لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ) ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (يَسْـَٔلُ أَيَّانَ) متى (يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ) سؤال متعنت مستبعد لقيـام الساعة (فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ) تحير فزعا وبفتح الراء مدنى شخص (وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ) وذهب ضوؤه أو غاب من قوله نخسفنا به وقرأ أبو حيوة بضم الخاء (وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ) أى جمع بينهما فى الطلوع من المغرب أو جمعا فى ذهاب الضوء ويجمعان فيقذفان فى البحر فيكون نار الله الـكبرى (يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ) الـكافر (يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ) هو مصدر أى الفرار من النار أوالمؤمن أيضا من الهول وقرأ الحسن بكسر الفاء وهويحتمل المـكان والمصدر (كَلَّا) ردع عن طلب المفر (لَا وَزَرَ) لاملجأ (إِلَىٰ رَبِّكَ) خاصة (يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ) مستقر العباد أوموضع قرارهم من جنة أونار مفوّض ذلك لمشيئته من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار (يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ) يخبر (بِمَا قَدَّمَ) من عمل عمله (وَأَخَّرَ) مالم يعمله (بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ) شاهد والهاء للمبالغـة كعلامة أوأنثه لأنه أراد به جوارحه إذ جوارحه تشهد عليه أوهو حجة على نفسه والبصيرة الحجة قال الله تعالى : قد جاءكم بصائر من ربكم وتقول لغيرك أنت حجة على نفسك وبصيرة رفع بالابتداء وخبره على نفسه تقدم عليه والجملة خبر الإنسان كقولك زيد على رأسه عمامة والبصيرة على هذا يجوز أن يكون الملك الموكل عليه (وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ) أرخى ستوره والمعذار الستر وقيل ولو جاء بكل معذرة ما قبلت منه فعليه من يكذب عذره والمعاذير ليس بجمع معـذرة لأن جمعها معاذر بل هى اسم جمع لها ونحوه المناكير فى المنـكر (لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ) بالقرآن (لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ) بالقرآن وكان ﷺ يأخـذ فى القراءة قبل فراغ جبريل كراهة أن

يتفلت منه فقيل له: لا تحرك لسانك بقراءة الوحي مادام جبريل يقرأ لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ) في صدرك (وَقُرْءَانَهُ) وإثبات قراءته في لسانك والقرآن القراءة ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه (فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ) أي قرأه عليك جبريل فجعل قراءة جبريل قراءته (فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ) أي قراءته عليك (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) إذا أشكل عليك شيء من معانيه (كَلَّا) ردع عن إنكار البعث أو ردع لرسول الله ﷺ عن العجلة وإنكار لها عليه وأكده بقوله (بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) كأنه قيل بل أنتم يا بني آدم لأنكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة الدنيا وشهواتها (وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ) الدار الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها والقراءة فيهما بالتاء مدني وكوفي (وُجُوهٌ) هي وجوه المؤمنين (يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) حسنة ناعمة (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة وحمل النظر على الانتظار لأمر ربها أو لثوابه لا يصح لأنه يقال نظرت فيه أي تفكرت ونظرته انتظرته ولا يعدى بإلى إلا بمعنى الرؤية مع أنه لا يليق الانتظار في دار القرار (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ) كالحة شديدة العبوسة وهي وجوه الكفار (تَظُنُّ) تتوقع (أَن يُفْعَلَ بِهَا) فعل هو في شدته (فَاقِرَةٌ) داهية تقصم فقار الظهر (كَلَّا) ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون إلى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين (إِذَا بَلَغَتِ) أي الروح وجاز وإن لم يجر لها ذكر لأن الآية تدل عليها (التَّرَاقِيَ) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال جمع ترقوة (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) يقف حفص على من وقيفة أي قال حاضر والمحتضر بعضهم لبعض أيكم يرقيه مما به من الرقية من حد ضرب أو هو من كلام الملائكة أيكم يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب من الرقي من حد علم (وَظَنَّ) أيقن المحتضر (أَنَّهُ الْفِرَاقُ) أن هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) التوت ساقاه عند موته وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في أكفانه وقيل شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة على أن الساق مثل في الشدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما:

هما همّان همّ الأهـل والولد وهمّ القدوم على الواحد الصمد (إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) هومصدر ساقه أى مساق العباد إلىحيث أمر الله إما إلى الجنة أو إلى النار (فَلَا صَدَّقَ) بالرسول والقرآن (وَلَا صَلَّىٰ) الإنسان فى قوله : أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه (وَلَـٰكِن كَذَّبَ) بالقرآن (وَتَوَلَّىٰ) عن الإيمان أو فلا صدق ماله يعنى فلا زكاه (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ) يتبختر وأصـله يتمطط أى يتمدد لأن المتبختر يمد خطاه فأبدلت الطاء ياء لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة (أَوْلَىٰ لَكَ) بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره (فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ) كرر للتأكيد كأنه قال ويل لك فويل لك ثم ويل لك فويل لك وقيل ويل لك يوم الموت وويل لك فى القبر وويل لك حين البعث وويل لك فى النار (أَيَحْسَبُ الْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى) أيحسب الـكافر أن يترك مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يجازى (أَلَمْ يَكُ نُطْفَـةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ) بالياء ابن عامر وحفص أى يراق المنى فى الرحم وبالتاء يعود إلى النطفة (ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً) أى صار المنى قطعة دم جامد بعد أربعين يوما (فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ) فخلق الله منه بشرا سويا (فَجَعَلَ مِنْهُ) من الإنسان (الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ) أى من المنى الصنفين (أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْـيِيَ الْمَوْتَىٰ) أليس الفعّال لهـذه الأشياء بقادر على الإعادة وكان ﷺ إذا قرأها يقول: سبحانك بلى. والله أعلم .

﴿ سورة الإنسان مكية وهى إحدى وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هَلْ أَتَىٰ) قد مضى (عَلَى الْإِنسَـٰنِ) آدم عليه السـلام (حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ) أربعون سنة مصورا قبل نفخ الروح فيه (لَمْ يَـكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا) لم يذكر اسمه ولم يدر ما يراد به لأنه كان طينا يمر به الزمان ولو غير موجود لم يوصف بأنه قد أتى عليه حين من الدهر ومحل لم يكن شيئا مذكورا النصب على الحال من الإنسان أى أتى عليه حين من الدهر غير مذكور (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَـٰنَ) أى ولد آدم وقيل الأول ولد آدم أيضا وحين من الدهر على هذا مدة

لبثه فى بطن أمه إلى أن صار شيئاً مذكورا بين الناس (مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) نعت أو بدل منها أى من نطفة قد امتزج فيها الماآن ومشجه ومزجه بمعنى ونطفة امشاج كبرمة أعشار فهو لفظ مفرد غير جمع ولذا وقع صفة للمفرد (نَّبْتَلِيهِ) حال أى خلقناه مبتلين اى مريدين ابتلاءه بالأمر والنهى له (فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) ذا سمع وبصر (إِنَّا هَدَيْنَٰهُ السَّبِيلَ) بيّنا له طريق الهدى بأدلة العقل والسمع (إِمَّا شَاكِرًا) مؤمنا (وَإِمَّا كَفُورًا) كافرا حالان من الهاء فى هديناه أى إن شكر وكفر فقد هديناه السبيل فى الحالين أو من السبيل أى عرّفناه السبيل إما سبيلا شاكرا وأما سبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز ولما ذكر الفريقين أتبعهما ما أعد لهما فقال (إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا) جمع سلسلة بغير تنوين حفص ومكى وأبو عمرو وحمزة وبه ليناسب أغلالا وسعيرا إذ يجوز صرف غير المنصرف للتناسب غيرهم (وَأَغْلَٰلًا) جمع غُلٍّ (وَسَعِيرًا) نارا موقدة وقال (إِنَّ الْأَبْرَارَ) جمع بر أو بار كرب وأرباب وشاهد وأشهاد وهم الصادقون فى الإيمان أو الذين لا يؤذون الذرّ ولا يضمرون الشر (يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ) خمر فنفس الخمر تسمى كأسا وقيل الكأس الزجاجة إذا كان فيها خمر (كَانَ مِزَاجُهَا) ماتمزج به (كَافُورًا) ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده (عَيْنًا) بدل منه (يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ) أى منها أوالباء زائدة أو هو محمول على المعنى أى يلتذ بها أو يروى بها وإنما قال أولا بحرف من وثانيا بحرف الباء لأن الكأس مبتدأ شربهم وأول غايته وأما العين فيها يمزجون شرابهم فكأنه قيل يشرب عباد الله بها الخمر (يُفَجِّرُونَهَا) يجرونها حيث شاءوا من منازلهم (تَفْجِيرًا) سهلا لا يمتنع عليهم (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) بما أوجبوا على أنفسهم وهو جواب من عسى أن يقول مالهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة فى وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى (وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ) شدائده (مُسْتَطِيرًا) منتشرا من استطار الفجر (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ) أى حب الطعام من الاشتهاء والحاجة إليه أو على حب الله (مِسْكِينًا) فقيرا عاجزا عن الاكتساب (وَيَتِيمًا) صغيرا لا أب له (وَأَسِيرًا) مأسورا

مملوكا أو غيره ثم عللوا إطعامهم فقالوا (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ) أى لطلب ثوابه أو هو بيان من الله عز وجل عما فى ضمائرهم لأن الله تعالى علمه منهم فأثنى عليهم وإن لم يقولوا شيئا (لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً) هدية على ذلك (وَلَا شُكُوراً) ثناء وهو مصدر كالشكر (إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا) أى إنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة أو إنا نخاف من ربنا فنتصدق لوجهه حتى نأمن من ذلك الخوف (يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً) وصف اليوم بصفة أهله من الأشقياء نحو نهارك صائم والقمطرير الشديد العبوس الذى يجمع مابين عينيه (فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ) صانهم من شدائده (وَلَقَّاهُمْ) أعطاهم بدل عبوس الفجار (نَضْرَةً) حسنا فى الوجوه (وَسُرُوراً) فرحا فى القلوب (وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا) بصبرهم على الإيثار. نزلت فى على وفاطمة وفضة جارية لهما لما مرض الحسن والحسين رضى الله عنهما نذروا صوم ثلاثة أيام فاستقرض على رضى الله عنه من يهودى ثلاثة أصوع من الشعير فطحنت فاطمة رضى الله عنها كل يوم صاعا وخبزت فآثروا بذلك ثلاث عشايا على أنفسهم مسكينا ويتيما وأسيرا ولم يذوقوا إلا الماء فى وقت الإفطار (جَنَّةً) بستانا فيه مأكل هنىء (وَحَرِيراً) ملبسا بهيا (مُّتَّكِئِينَ) حال من هم فى جزاهم (فِيهَا) فى الجنة (عَلَى الْأَرَائِكِ) الأسرة جمع الأريكة (لَا يَرَوْنَ) حال من الضمير المرفوع فى متكئين غير رائين (فِيهَا) فى الجنة (شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً) لأنه لا شمس فيها ولا زمهرير فظلها دائم وهواؤها معتدل لاحر شمس يحمى ولا شدة برد تؤذى وفى الحديث: هواء الجنة سجسج لاحر ولاقر. فالزمهرير البرد الشديد وقيل القمر أى الجنة مضيئة لايحتاج فيها إلى شمس وقمر (وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا) قريبة منهم ظلال أشجارها عطفت على جنة أى وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها كأنهم وعدوا بجنتين لأنهم وصفوا بالخوف بقوله: إنا نخاف من ربنا ـ ولمن خاف مقام ربه جنتان ـ (وَذُلِّلَتْ) سخرت للقائم والقاعد والمتكىء وهو حال من دانية أى تدنو ظلالها عليهم فى حال تذليل قطوفها عليهم أو معطوفة عليها أى ودانية عليهم ظلالها ومذللة (قُطُوفُهَا) ثمارها جمع قطف (تَذْلِيلاً وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ) أى يدير عليهم خدمهم كئوس الشراب والآنية جمع إناء وهو وعاء الماء

(وَأَكْوَابٍ) أى من فضة جمع كوب وهو إبريق لاعروة له (كَانَتْ قَوَارِيرَا) كان تامة أى كونت فكانت قوارير بتكوين الله نصب على الحال (قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ) أى مخلوقة من فضة فهى جامعة لبياض الفضة وحسنها وصفاء القوارير وشفيفها حيث يرى مافيها من الشراب من خارجها قال ابن عباس رضى الله عنهما: قوارير كل أرض من تربتها وأرض الجنة فضة. قرأ نافع والكسائى وعاصم فى رواية أبى بكر بالتنوين فيهما . وحمزة وابن عامر وأبو عمرو وحفص بغير تنوين فيهما. وابن كثير بتنوين الأول والتنوين فى الأول لتناسب الآى المتقدمة والمتأخرة وفى الثانى لإتباعه الأول والوقف على الأول قد قيل ولايوثق به لأن الثانى بدل من الأول (قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا) صفة لقوارير من فضة أى أهل الجنة قدروها على أشكال مخصوصة فجاءت كما قدروها تكرمة لهم أوالسقاة جعلوها على قدر رىّ شاربها فهى ألذ لهم وأخف عليهم. وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض (وَيُسْقَوْنَ) أى الأبرار (فِيهَا) فى الجنة (كَأْسًا) خمرا (كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا عَيْنًا) بدل من زنجبيلا (فِيهَا) فى الجنة (تُسَمَّىٰ) تلك العين (سَلْسَبِيلًا) سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه وسلسبيلا لسلاسة انحدارها وسهولة مساغها. قال أبو عبيدة ماء سلسبيل أى عذب طيب (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ) غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين أوولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدما لأهل الجنة (مُّخَلَّدُونَ) لا يموتون (إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ) لحسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم (لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا) وتخصيص المنثور لأنه أزين فى النظر من المنظوم (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ) ظرف أى فى الجنة وليس لرأيت مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع فى كل مرئى تقديره وإذا اكتسبت الرؤية فى الجنة (رَأَيْتَ نَعِيمًا) كثيرا (وَمُلْكًا كَبِيرًا) واسعا يروى أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل ملك لا يعقبه هلك أو لهم فيها ما يشاءون أو تسلم عليهم الملائكة ويستأذنون فى الدخول عليهم (عَالِيَهُمْ) بالنصب على أنه حال من الضمير فى يطوف عليهم أى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب. وبالسكون مدنى وحمزة على أنه مبتدأ خبره (ثِيَابُ سُندُسٍ) أى مايعلوهم من ملابسهم ثياب سندس رقيق الديباج

(خُضْرٌ) جمع أخضر (وَإِسْتَبْرَقٌ) غليظ يرفعهما حملا على الثياب نافع وحفص وبجرهما حمزة وعلى حملا على سندس وبرفع الأول وجر الثانى أو عكسه غيرهم (وَحُلُّوآ) عطف على ويطوف (أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ) وفى سورة الملائكة: يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا. قال ابن المسيب لا أحد من أهل الجنة إلا وفى يده ثلاثة أسورة واحدة من فضة وأخرى من ذهب وأخرى من لؤلؤ (وَسَقَٰهُمْ رَبُّهُمْ) أضيف إليه تعالى للتشريف والتخصيص وقيل إن الملائكة يعرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم ويقولون لقد طال أخذنا من الوسائط فإذا هم بكاسات تلاقى أفواههم بغيرأ كف من غيب إلى عبد (شَرَابًا طَهُورًا) ليس برجس كخمر الدنيا لأن كونها رجسا بالشرع لا بالعقل ولا تكليف ثم أو لأنه لم يعصر فتمسه الأيدى الوضرة وتدوسه الأقدام الدنسة يقال لأهل الجنة (إِنَّ هَٰذَا) النعيم (كَانَ لَكُمْ جَزَآءً) لأعمالكم (وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا) محمودا مقبولا مرضيا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم والأسير لانريد منكم جزاء ولا شكورا (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا) تكرير الضمير بعد إيقاعه اسما لإن تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليستقر فى نفس النبي ﷺ أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله مفرقاً إلا حكمة وصوابا ومن الحكمة الأمر بالمصابرة (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) عليك بتبليغ الرسالة واحتمال الأذية وتأخير نصرتك على أعدائك من أهل مكة (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ) من الكفرة للضجر من تأخير الظفر (ءَاثِمًا) راكبا لماهوى إثم داعيا لك إليه (أَوْ كَفُورًا) فاعلا لماهو كفر داعيا لك إليه لأنهم إما أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل ما هو إثم أو كفر أو غير إثم ولا كفر فنهى أن يساعدهم على الأولين دون الثالث وقيل الآثم عتبة لأنه كان ركابا للمآثم والفسوق. والكفور : الوليد لأنه كان غاليا فى الكفر والجحود والظاهر أن المراد كل آثم وكافر أى لاتطع أحدهما وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه فقد نهى عن طاعتهما معا ومتفرقا ولو كان بالواو لجاز أن يطيع أحدهما لأن الواو للجمع فيكون منهيا عن طاعتهما معا لا عن طاعة أحدهما وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه كان عن طاعتهما جميعا أنهى وقيل أو بمعنى ولا أى ولا تطع آثما ولا كفورا (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ) صل له (بُكْرَةً) صلاة الفجر

(وَأَصِيلًا) صلاة الظهر والعصر (وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُ) وبعض الليل فصل صلاة العشاءين (وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا) أى تهجد له هزيعاً طويلا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ) الكفرة (يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ) يؤثرونها على الآخرة (وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ) قدامهم أو خلف ظهورهم (يَوْمًا ثَقِيلًا) شديدا لا يعبئون به وهو القيامة لأن شدائده تثقل على الكفار (نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَا) أحكمنا (أَسْرَهُمْ) خلقهم عن ابن عباس رضى الله عنهما والفراء (وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلاً) أى إذا شئنا إهلاكهم أهلكناهم وبدلنا أمثالهم فى الخلقة ممن يطيع (إِنَّ هَٰذِهِ) السورة (تَذْكِرَةٌ) عظة (فَمَن شَآءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) بالتقرب إليه بالطاعة له واتباع رسوله (وَمَا تَشَآءُونَ) اتخاذ السبيل إلى الله. وبالياء مكى وشامى وأبو عمرو. ومحل (إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ) النصب على الظرف أى إلا وقت مشيئة الله وإنما يشاء الله ذلك ممن علم منه اختياره ذلك وقيل هو لعموم المشيئة فى الطاعة والعصيان والكفر والإيمان فيكون حجة لنا على المعتزلة (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً) بما يكون منهم من الأحوال (حَكِيماً) مصيبا فى الأقوال والأفعال (يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ) وهم المؤمنون (فِى رَحْمَتِهِ) جنته لأنها برحمته تنال وهو حجة على المعتزله لأنهم يقولون قد شاء أن يدخل كلا فى رحمته لأنه شاء إيمان الكل والله تعالى أخبر أنه يدخل من يشاء فى رحمته وهو الذى علم منه أنه يختار الهدى (وَٱلظَّٰلِمِينَ) الكافرين لأنهم وضعوا العبادة فى غير موضعها ونصب بفعل مضمر يفسره (أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيماً) نحو أوعد وكافأ.

﴿ سورة المرسلات مكية وهى خمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن

فى مضيهن وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى أونشرن الشرائع فى الأرض أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكراً إلى الأنبياء عليهم السلام عذرا للمحقين أو نذرا للمبطلين أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا فألقين ذكرا إما عذرا للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله فى الغيث ويشكرونها وإما نذرا للذين لا يشكرون وينسبون ذلك إلى الأنواء وجعلن ملقيات للذكر باعتبار السببية عرفا حال أى متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا أومفعول له أى أرسلن للاحسان والمعروف وعصفا ونشرا مصدران أو نذْرا أبو عمرو وكوفى غير أبى بكر وحماد والعذر والنذر مصدران من عذر إذا محاالإساءة ومن أنذر إذاخوف على فعل كالكفر والشكر وانتصابهما على البدل من ذكرا أو على المفعول له (إِنَّمَا تُوعَدُونَ) إن الذى توعدونه من مجىء يوم القيامة (لَوَاقِعٌ) لكائن نازل لاريب فيه وهو جواب القسم ولا وقف إلى هنا لوصل الجواب بالقسم (فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ) محيت أوذهب بنورها وجواب فإذا محذوف والعامل فيها جوابها وهو وقوع الفصل ونحوه والنجوم فاعل فعل يفسره طمست (وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ) فتحت فكانت أبوابا (وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ) قلعت من أماكنها (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) أى وقتت كقراءة أبى عمرو أبدلت الهمزة من الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم (لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ) أخرت وأمهلت وفيه تعظيم لليوم وتعجيب من هوله والتأجيل من الأجل كالتوقيت من الوقت (لِيَوْمِ الْفَصْلِ) بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ) تعجيب آخر وتعظيم لأمره (وَيْلٌ) مبتدأ وإن كان نكرة لأنه فى أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم (يَوْمَئِذٍ) ظرفه (لِلْمُكَذِّبِينَ) بذلك اليوم خبره (أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ) الأمم الخالية المكذبة (ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ) مستأنف بعد وقف وهو وعيد لأهل مكة أى ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالأولين لأنهم كذبوا مثل

تكذيبهم (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك الفعل الشنيع (نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) بكل من أجرم (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) بما أوعدنا (أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ) حقير وهو النطفة (فَجَعَلْنَٰهُ) أى الماء (فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ) مقر يتمكن فيه وهو الرحم ومحل (إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ) الحال أى مؤخر إلى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة أشهر أو ما فوقها أو ما دونها (فَقَدَّرْنَا) فقدرنا ذلك تقديرا (فَنِعْمَ الْقَٰدِرُونَ) فنعم المقدرون له نحن أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والأول أحق لقراءة نافع وعلى بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) بنعمة الفطرة (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا) هو كفت الشئ إذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام لما يضم وبه انتصب (أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا) كأنه قيل كافتة أحياء وأمواتا أو بفعل مضمر يدل عليه كفاتا وهو تكفت أى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا فى بطنها والتنكير فيهما للتفخيم أى تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون (وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ) جبالا ثوابت (شَٰمِخَٰتٍ) عاليات (وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا) عذبا (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) بهذه النعمة (انطَلِقُوٓا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ) أى يقال للكافرين يوم القيامة سيروا إلى النار التى كنتم بها تكذبون (انطَلِقُوا) تكرير للتوكيد (إِلَىٰ ظِلٍّ) دخان جهنم (ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ) يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم يتفرق ثلاث فرق (لَّا ظَلِيلٍ) نعت ظل أى لا مظل من حر ذلك اليوم وحر النار (وَلَا يُغْنِى) فى محل الجر أى وغير مغن لهم (مِنَ اللَّهَبِ) من حر اللهب شيئا (إِنَّهَا) أى النار (تَرْمِى بِشَرَرٍ) هو ما تطاير من النار (كَالْقَصْرِ) فى العظم وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة (كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ) كوفى غير أبى بكر جمع جمل جمالات غيرهم جمع الجمع (صُفْرٌ) جمع أصفر أى سود تضرب إلى الصفرة وشبه الشرر بالقصر لعظمه وارتفاعه وبالجمال للعظم والطول واللون (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) بأن هذه صفتها (هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ) وقرئ بنصب اليوم أى هذا الذى قص عليكم واقع يومئذ وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الآية وعن قوله ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فقال فى ذلك اليوم مواقف فى بعضها يختصمون وفى بعضها لا ينطقون أو لا ينطقون بما ينفعهم فجعل نطقهم كلا نطق

(وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ) فى الاعتذار (فَيَعْتَذِرُونَ) عطف على يؤذن منخرط فى سلك النفى أى لا يكون لهم إذن واعتذار (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) بهذا اليوم (هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ) بين المحق والمبطل والمحسن والمسىء بالجزاء (جَمَعْنَاكُمْ) يا مكذبى محمد (وَالْأَوَّلِينَ) والمكذبين قبلكم (فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ) حيلة فى دفع العذاب (فَكِيدُونِ) فاحتالوا علىّ بتخليص أنفسكم من العذاب. والكيد متعد تقول كدت فلانا إذا احتلت عليه (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) بالبعث (إِنَّ الْمُتَّقِينَ) من عذاب الله (فِي ظِلَالٍ) جمع ظل (وَعُيُونٍ) جارية فى الجنة (وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ) أى لذيذة مشتهاة (كُلُوا وَاشْرَبُوا) فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى هو فى ظلال أى هم مستقرون فى ظلال مقولا لهم ذلك (هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فى الدنيا (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) فأحسنوا تجزوا بهذا (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) بالجنة (كُلُوا وَتَمَتَّعُوا) كلام مستأنف خطاب للمكذبين فى الدنيا على وجه التهديد كقوله : اعملوا ماشئتم (قَلِيلًا) لأن متاع الدنيا قليل (إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ) كافرون أى إن كل مجرم يأكل ويتمتع أياما قلائل ثم يبقى فى الهلاك الدائم (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) بالنعم (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا) اخشعوا لله وتواضعوا إليه بقبول وحيه واتباع دينه ودعوا هذا الاستكبار (لَا يَرْكَعُونَ) لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم أو إذا قيل لهم صلوا لا يصلون (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) بالأمر والنهى (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ) بعد القرآن (يُؤْمِنُونَ) أى إن لم يؤمنوا بالقرآن مع أنه آية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية فبأى كتاب بعده يؤمنون. والله أعلم.

﴿ سورة النبأ مكية وهى أربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عَمَّ) أصله عن ما وقرىء بها ثم أدغمت النون فى الميم فصار عما وقرىء بها ثم حذفت الألف تخفيفاً لكثرة الاستعمال فى الاستفهام وعليه الاستعمال الكثير وهذا استفهام تفخيم

للمستفهم عنه لأنه تعالى لاتخفى عليه خافية (يَتَسَآءَلُونَ) يسأل بعضهم بعضا أويسألون غيرهم من المؤمنين والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء (عَنِ النَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ) أى البعث وهو بيان للشأن المفخم وتقديره عم يتساءلون يتساءلون عن النبإ العظيم (الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) فمنهم من يقطع بإنكاره ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين وكانوا جميعا يتساءلون عنه فالمسلم يسأل ليزداد خشية والكافر يسأل استهزاء (كَلَّا) ردع عن الاختلاف أو التساؤل هزؤا (سَيَعْلَمُونَ) وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون عيانا أن ما يتساءلون عنه حق (ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) كرر الردع للتشديد وثم يشعر بأن الثانى أبلغ من الأول وأشد (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ) لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من أضيف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة فلم تنكرون قدرته على البعث وماهو إلا اختراع كهذه الاختراعات أوقيل لهم لم فعل هذه الأشياء والحكيم لا يفعل عبثا وإنكار البعث يؤدى إلى أنه عابث فى كل ما فعل (مِهَٰدًا) فراشا فرشناها لكم حتى سكنتموها (والْجِبَالَ أَوْتَادًا) للأرض لئلا تميد بكم (وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا) ذكرا وأنثى (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا) قطعا لأعمالكم وراحة لأبدانكم والسبت القطع (وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا) سترا يستركم عن العيون إذا أردتم إخفاء مالا تحبون الاطلاع عليه (وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) وقت معاش تتقلبون فى حوائجكم ومكاسبكم (وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا) سبع سموات (شِدَادًا) جمع شديدة أى محكمة قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان أو غلاظا غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام (وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا) مضيئا وقادا أى جامعا للنور والحرارة والمراد الشمس (وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَٰتِ) أى السحائب إذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض أو الرياح لأنها تنشئ السحاب وتدر أخلافه فيصح أن يجعل مبدأ للإنزال وقد جاء أن الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب (مَآءً ثَجَّاجًا) منصبا بكثرة (لِّنُخْرِجَ بِهِ) بالماء (حَبًّا) كالبر والشعير (وَنَبَاتًا) وكلأ (وَجَنَّٰتٍ) بساتين (أَلْفَافًا) ملتفة الأشجار واحدها لف كجذع وأجذاع أو لفيف كشريف وأشراف أو لا واحد له كأوزاع أو هى جمع الجمع

فهي جمع لف واللف جمع لفاء وهي شجرة مجتمعة ولاوقف من ألم نجعل إلى ألفافا والوقف الضرورى على أوتادا ومعاشا (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ) بين المحسن والمسيء والمحق والمبطل (كَانَ مِيقَاتًا) وقتا محدودا ومنتهى معلوما لوقوع الجزاء أوميعادا للثواب والعقاب (يَوْمَ يُنفَخُ) بدل من يوم الفصل أو عطف بيان (فِي الصُّورِ) فى القرن (فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا) حال أى جماعات مختلفة أو أمما كل أمة مع رسولها (وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ) خفيف كوفى أى شقت لنزول الملائكة (فَكَانَتْ أَبْوَابًا) فصارت ذات أبواب وطرق وفروج ومالها اليوم من فروج (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ) عن وجه الأرض (فَكَانَتْ سَرَابًا) أى هباء تخيل الشمس أنه ماء (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا) طريقا عليه ممرالخلق فالمؤمن يمرعليها والكافر يدخلها وقيل المرصاد الحد الذى يكون فيه الرصد أى هى حدالطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهى مآبهم أو هى مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها (لِلطَّاغِينَ مَآبًا) للكافرين مرجعا (لَّابِثِينَ) ما كثين حال مقدرة من الضمير فى للطاغين. حمزة لبثين واللبث أقوى إذ اللابث من وجد منه اللبث وإن قل واللبث من شأنه اللبث والمقام فى المكان (فِيهَا) فى جهنم (أَحْقَابًا) ظرف جمع حقب وهوالدهر ولم يرد به عدد محصور بل الأبد كلما مضى حقب تبعه آخر إلى غير نهاية ولا يستعمل الحقب والحقبة إلا إذا أريد تتابع الأزمنة وتواليها وقيل الحقب ثمانون سنة وسئل بعض العلماء عن هذه الآية فأجاب (١) بعد عشرين سنة لابثين فيها أحقابا (لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا) أى غير ذائقين حال من ضمير لابثين فإذا انقضت هذه الأحقاب التى عذبوا فيها بمنع البرد والشراب بدلوا بأحقاب أخر فيها عذاب آخر وهى أحقاب بعد أحقاب لا انقطاع لها وقيل هو من حقب عامنا إذا قل مطره وخيره وحقب فلان إذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم أى لابثين فيها حقبين جهدين ولا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له وقوله (إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا) استثناء منقطع أى لا يذوقون فى جهنم أو فى الأحقاب بردا روحا

---

(١) قوله فأجاب الخ يتدبر.

ينفس عنهم حر النار أونوما ومنه منع البرد البرد ولا شرابا يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميا ماء حارا يحرق ماياتى عليه وغساقا ماء يسيل من صديدهم. وبالتشديد كوفى غير أبى بكر (جَزَآءً) جوزوا جزاء (وِفَاقًا) موافقا لأعمالهم مصدر بمعنى الصفة أو ذا وفاق ثم استأنف معللا فقال (إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا) لا يخافون محاسبة الله إياهم أولم يؤمنوا بالبعث فيرجوا حسابا (وَكَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا كِذَّابًا) تكذيبا وفعّال فى باب فعّل كله فاش (وَكُلَّ شَىْءٍ) نصب بمضمر يفسره (أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا) مكتوبا فى اللوح حال أو مصدر فى موضع إحصاء أوأحصينا فى معنى كتبنا لأن الاحصاء يكون بالكتابة غالبا وهذه الآية اعتراض لأن قوله (فَذُوقُوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات أى فذوقوا جزاءكم والالتفات شاهد على شدة الغضب (فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا) فى الحديث «هذه الآية أشد مافى القرآن على أهل النار» (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا) مفعل من الفوز يصلح مصدرا أى نجاة من كل مكروه وظفرا بكل محبوب ويصلح للمكان وهو الجنة ثم أبدل منه بدل البعض من الكل فقال (حَدَآئِقَ) بساتين فيها أنواع الشجر المثمر جمع حديقة (وَأَعْنَٰبًا) كروما عطف على حدائق (وَكَوَاعِبَ) نواهد (أَتْرَابًا) لدات مستويات فى السن (وَكَأْسًا دِهَاقًا) مملوءة (لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا) فى الجنة حال من ضمير خبر إن (لَغْوًا) باطلا (وَلَا كِذَّٰبًا) الكسائى خفيف بمعنى مكاذبة أى لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكاذبه (جَزَآءً) مصدر أى جزاهم جزاء (مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً) مصدر أوبدل من جزاء (حِسَابًا) صفة يعنى كافيا أو على حسب أعمالهم (رَّبِّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ) بجرهما ابن عامر وعاصم بدلا من ربك ومن رفعهما فرب خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره الرحمن أو الرحمن صفته ولا يملكون خبر أو هما خبران والضمير فى (لَا يَمْلِكُونَ) لأهل السموات والأرض وفى (مِنْهُ خِطَابًا) لله تعالى أى لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالى إلا بإذنه أولايقدر أحد أن يخاطبه تعالى خوفا (يَوْمَ يَقُومُ) إن جعلته ظرفا للايملكون لاتقف على خطابا وإن جعلته ظرفا للايتكلمون تقف (الرُّوحُ) جبريل عند الجمهورر وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا أعظم منه (وَالْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا) حال أى

مصطفين (لَاْ يَتَكَلَّمُونَ) أى الخلائق ثم خوفا من (إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ) فى الكلام أو الشفاعة (وَقَالَ صَوَابًا) حقا بأن قال المشفوع له لا إله إلا الله فى الدنيا أو لا يؤذن إلا لمن يتكلم بالصواب فى أمر الشفاعة (ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ) الثابت وقوعه (فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا) مرجعا بالعمل الصالح (إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ) أيها الكفار (عَذَابًا قَرِيبًا) فى الآخرة لأن ماهو آت قريب (يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ) الكافر لقوله: إنا أنذرناكم عذابا قريبا. (مَاقَدَّمَتْ يَدَاهُ) من الشر لقوله : وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم. وتخصيص الأيدى لأن أكثر الأعمال تقع بها وإن احتمل أن لا يكون للأيدى مدخل فيما ارتكب من الآثام (وَيَقُولُ الْكَافِرُ) وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة الذم أو المرء عام وخص منه الكافر وما قدمت يداه ماعمل من خير وشر أو هو المؤمن لذكر الكافر بعده وماقدم من خير وما استفهامية منصوبة بقدمت أى ينظر اى شيء قدمت يداه أو موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته يعنى نظرت إليه والراجع من الصلة محذوف أى ما قدمته (يَالَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا) فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أوليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر إبليس يتمنى أن يكون كآدم مخلوقا من التراب ليثاب ثواب أولاده المؤمنين والله أعلم.

﴿ سورة النازعات ست وأربعون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا) لا وقف إلى هنا ولزم هنا لأنه لو وصل لصار يوم ظرف المدبرات وقد انقضى تدبير الملائكة فى ذلك اليوم . أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التى تنزع الأرواح من الأجساد غرقا أى إغراقا فى النزع أى تنزعها من أقاصى الأجساد من أناملها ومواضع أظفارها وبالطوائف التى تنشطها أى تخرجها من نشط الدلو من البئر إذا

أخرجها باولطوائف التي تسبح في مضيها أي تسرع فتسبق إلى ما أمروا به فتدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم أو بخيل الغزاة التي تنزع في أعنتها نزعا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها لأنها عراب والتي تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب من قولك ثور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق إلى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر وإسناد التدبير إليها لأنها من أسبابه أو بالنجوم التي تنزع من المشرق إلى المغرب وإغراقها في النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى الغرب والتي تخرج من برج إلى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرا من علم الحساب وجواب القسم محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة (يَوْمَ تَرْجُفُ) تتحرك حركة شديدة والرجف شدة الحركة (الرَّاجِفَةُ) النفخة الأولى وصفت بما يحدث بحدوثها لأنها تضطرب بها الأرض حتى يموت كل من عليها (تَتْبَعُهَا) حال عن الراجفة (الرَّادِفَةُ) النفخة الثانية لأنها تردف الأولى وبينهما أربعون سنة والأولى تميت الخلق والثانية تحييهم (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ) قلوب منكري البعث (وَاجِفَةٌ) مضطربة من الوجيف وهو الوجيب وانتصاب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة أي يوم ترجف وجفت القلوب وارتفاع قلوب بالابتداء وواجفة صفتها (أَبْصَارُهَا) أي أبصار أصحابها (خَاشِعَةٌ) ذليلة لهول ما ترى خبرها (يَقُولُونَ) أي منكرو البعث في الدنيا استهزاء وإنكارا للبعث (أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ) استفهام بمعنى الإنكار أي أنرد بعد موتنا إلى أول الأمر فنعود أحياء كما كنا والحافرة الحالة الأولى يقال لمن كان في أمر فخرج منه ثم عاد إليه رجع إلى حافرته أي إلى حالته الأولى ويقال النقد عند الحافرة أي عند الحالة الأولى وهي الصفقة أنكروا البعث ثم زادوا استبعادا فقالوا (أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً) بالية ناخرة كوفي غير حفص وفعل أبلغ من فاعل يقال نخر العظم فهو نخر وناخر. والمعنى أنرد إلى الحياة بعد أن صرنا عظاما بالية وإذا منصوب بمحذوف وهو نبعث (قَالُوا) أي منكرو البعث (تِلْكَ) رجعتنا (إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ) رجعة ذات خسران أو خاسر أصحابها والمعنى أنها إن صحت وبعثنا فنحن إذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) متعلق بمحذوف أي لا تحسبوا

تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فإنها سهلة هينة في قدرته فما هي إلا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية من قولهم زجر البعير إذا صاح عليه (فَإِذَاهُم بِالسَّاهِرَةِ) فإذاهم أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتا فى جوفها وقيل الساهرة أرض بعينها بالشأم إلى جنب بيت المقدس أوأرض مكة أو جهنم (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ) استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع والتشريف للمخاطب به (إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ) حين ناداه (بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) المبارك المطهر (طُوًى) اسمه (اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ) على إرادة القول (إِنَّهُ طَغَىٰ) تجاوز الحد فى الكفر والفساد (فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ) هل لك ميل إلى أن تتطهر من الشرك والعصيان بالطاعة والإيمان. وبتشديد الزاى حجازى (وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ) وأرشدك إلى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه (فَتَخْشَىٰ) لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة قال الله تعالى : إنما يخشى الله من عباده العلماء أى العلماء به وعن بعض الحكماء اعرف الله فمن عرف الله لم يقدر أن يعصيه طرفة عين فالخشية ملاك الأمور من خشى الله أتى منه كل خير ومن آمن اجترأ على كل شر ومنه الحديث «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل» بدأ مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه باللطف فى القول ويستنزله بالمداراة عن عتوه كما أمر بذلك فى قوله تعالى: فقولا له قولا لينا (فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ) أى فذهب فأرى موسى فرعون العصا أوالعصا واليد البيضاء لأنهما فى حكم آية واحدة (فَكَذَّبَ) فرعون بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا (وَعَصَىٰ) الله تعالى (ثُمَّ أَدْبَرَ) تولى عن موسى (يَسْعَىٰ) يجتهد فى مكايدته أو لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسرع فى مشيته وكان طيّاشا خفيفا (فَحَشَرَ) فجمع السحرة وجنده (فَنَادَىٰ) فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ) لا رب فوقى وكانت لهم أصنام يعبدونها (فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ) عاقبه الله عقوبة الآخرة والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم ونصبه على المصدر لأن أخذ بمعنى نكل كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة أى الإحراق (وَالْأُولَىٰ) أى الإغراق أو نكال كلمتيه الآخرة وهى أنا ربكم الأعلى والأولى وهى ما علمت لكم من إله غيرى وبينهما أربعون سنة

أو ثلاثون أو عشرون (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ) الله (ءَأَنتُمْ) يامنكرى البعث (أَشَدُّ خَلْقًا) أصعب خلقا وإنشاء (أَمِ السَّمَآءُ) مبتدأ محذوف الخبر أى أم السماء أشد خلقا ثم بين كيف خلقها فقال (بَنَاهَا) أى الله ثم بين البناء فقال (رَفَعَ سَمْكَهَا) أعلى سقفها وقيل جعل مقدار ذهابها فى سمت العلو رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فَسَوَّاهَا) فعدلها مستوية بلا شقوق ولا فطور (وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا) أظلمه (وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا) أبرز ضوء شمسها وأضيف الليل والشمس إلى السماء لأن الليل ظلها والشمس سراجها (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا) بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة فدحيت من مكة بعد خلق السماء بألفى عام ثم فسر البسط فقال (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا) بتفجير العيون (وَمَرْعَاهَا) كلأها ولذا لم يدخل العاطف على أخرج أو أخرج حال بإضمار قد (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا) أثبتها وانتصاب الأرض والجبال بإضمار دحا وأرسى على شريطة التفسير (مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) فعل ذلك تمتيعا لكم ولأنعامكم (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ) الداهية العظمى التى تطم على الدواهى أى تعلو وتغلب وهى النفخة الثانية أو الساعة التى يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ) بدل من إذا جاءت أى إذا رأى أعماله مدونة فى كتابه تذكرها وكان قد نسيها (مَا سَعَىٰ) مصدرية أى سعيه أو موصولة (وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ) وأظهرت (لِمَن يَرَىٰ) لكل راء لظهورها ظهورا بينا (فَأَمَّا) جواب فإذا أى اذا جاءت الطامة فإن الأمر كذلك (مَن طَغَىٰ) جاوز الحد فكفر (وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) على الآخرة باتباع الشهوات (فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) المرجع أى مأواه والألف واللام بدل من الإضافة وهذا عند الكوفيين وعند سيبويه وعند البصريين هى المأوى له (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) أى علم أن له مقاما يوم القيامة لحساب ربه (وَنَهَى النَّفْسَ) الأمارة بالسوء (عَنِ الْهَوَىٰ) المؤذى أى زجرها عن اتباع الشهوات وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها والهوى ميل النفس إلى شهواتها (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) أى المرجع (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) متى إرساؤها أى إقامتها يعنى متى يقيمها الله تعالى ويثبتها (فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا) فى شىء أنت من

أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به أى ما أنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شىء كقولك ليس فلان من العلم فى شىء وكان رسول الله ﷺ لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها أى أنهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها (إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا) منتهى علمها متى تكون لا يعلمها غيره أو فيم إنكار لسؤالهم عنها أى فيم هذا السؤال ثم قال أنت من ذكراها أى إرسالك وأنت آخر الأنبياء علامة من علاماتها فلا معنى لسؤالهم عنها ولا يبعد أن يوقف على هذا على فيم وقيل فيم أنت من ذكراها متصل بالسؤال أى يسألونك عن الساعة أيان مرساها ويقولون أين أنت من ذكراها ثم استأنف فقال إلى ربك منتهاها (إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا) أى لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة وإنما بعثت لتنذر من أهوالها من يخاف شدائدها . منـــذر منون يزيد وعباس (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا) أى الساعة (لَمْ يَلْبَثُوٓا) فى الدنيا (إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا) أى ضحى العشية استقلوا مدة لبثهم فى الدنيا لما عاينوا من الهول كقوله: لم يلبثوا إلا ساعة من نهار. وقوله: قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم. وإنما صحت إضافة الضحى إلى العشية للملابسة بينهما لاجتماعهما فى نهار واحد والمراد أن مدة لبثهم لم تبلغ يوما كاملا ولكن أحد طرفى النهار عشيته أو ضحاه والله أعلم .

﴿ سورة عبس مكية وهى اثنتان وأربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عَبَسَ) كلح أى النبى ﷺ (وَتَوَلَّىٰ) أعرض (أَن جَآءَهُ) لأن جاءه ومحله نصب لأنه مفعول له والعامل فيه عبس أو تولى على اختلاف المذهبين (ٱلْأَعْمَىٰ) عبد الله بن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه وأبوه شريح بن مالك أتى النبى ﷺ وهو يدعو أشراف قريش إلى الإسلام فقال يا رسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله ﷺ يكرمه بعدها ويقول مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه على المدينة مرتين (وَمَا يُدْرِيكَ) وأى

شيء يحملك داريا بحال هذا الأعمى (لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ) لعل الأعمى يتطهر بما يسمع منك من دنس الجهل وأصله يتزكى فأدغمت التاء فى الزاى وكذا (أَوْ يَذَّكَّرُ) يتعظ (فَتَنفَعَهُ) نصبه عاصم غير الأعشى جوابا للعل وغيره رفعه عطفا على يذكر (الذِّكْرَىٰ) ذكراك أى موعظتك أي أنك لا تدرى ماهو مترقب منه من تزك أو تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك (أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ) أى من كان غنيا بالمال (فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ) تتعرض بالإقبال عليه حرصا على إيمانه . تصدى بإدغام التاء فى الصاد حجازى (وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ) وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالإسلام إن عليك إلا البلاغ (وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ) يسرع فى طلب الخير (وَهُوَ يَخْشَىٰ) الله أو الكفار أى أذاهم فى إتيانك أو الكبوة كعادة العميان (فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ) تتشاغل وأصله تتلهى وروى أنه ما عبس بعدها فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وروى أن الفقراء فى مجلس الشورى كانوا أمراء (كَلَّا) ردع أى لاتعد إلى مثله (إِنَّهَا) إن السورة أو الآيات (تَذْكِرَةٌ) موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ) فمن شاء أن يذكره ذكره وذكر الضمير لأن التذكرة فى معنى الذكر والوعظ والمعنى فمن شاء الذكر ألهمه الله تعالى إياه (فِي صُحُفٍ) صفة لتذكرة أى أنها مثبتة فى صحف منتسخة من اللوح أو خبر مبتدأ محذوف أى هى فى صحف (مُّكَرَّمَةٍ) عند الله (مَّرْفُوعَةٍ) فى السماء أو مرفوعة القدر والمنزلة (مُّطَهَّرَةٍ) عن مس غير الملائكة أو عما ليس من كلام الله تعالى (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ) كتبة جمع سافر أى الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح (كِرَامٍ) على الله أو عن المعاصى (بَرَرَةٍ) أتقياء جمع بار (قُتِلَ الْإِنسَانُ) لعل الكافر أو هو أمية أو عتبة (مَا أَكْفَرَهُ) استفهام توبيخ أى أى شيء حمله على الكفر أو هو تعجب أى ما أشد كفره (مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) من أى حقير خلقه وهو استفهام ومعناه التقرير ثم بين ذلك الشيء فقال (مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ) على مايشاء من خلقه (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) نصب السبيل بإضمار يسر أى ثم سهل له سبيل الخروج من بطن أمه أو بين له سبيل الخير والشر (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ) جعله ذا قبر يوارى فيه لا كالبهائم كرامة له قبر الميت دفنه وأقبره الميت أمره بأن يقبره ومكنه منه (ثُمَّ إِذَا شَاءَ

أَنْشَرَهُ) أحياه بعد موته (كَلَّا) ردع للإنسان من الكفر (لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ) لم يفعل هذا الكافر ما أمره الله به من الإيمان ولما عدد النعم فى نفسه من ابتداء حدوثه إلى آن انتهائه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج إليه فقال (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ) الذى يأكله ويحيا به كيف دبرنا أمره (أَنَّا) بالفتح كوفى على أنه بدل اشتمال من الطعام وبالكسر على الاستئناف غيرهم (صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا) يعنى المطر من السحاب (ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا) بالنبات (فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا) كالبر والشعير وغيرهما مما يتغذى به (وَعِنَبًا) ثمرة الكرم أى الطعام والفاكهة (وَقَضْبًا) رطبة سمى بمصدر قضبه أى قطعه لأنه يقضب مرة بعد مرة (وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ) بساتين (غُلْبًا) غلاظ الأشجار جمع غلباء (وَفَاكِهَةً) لكم (وَأَبًّا) مرعى لدوابكم (مَّتَاعًا) مصدر أى منفعة (لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ) صيحة القيامة لأنها تصخ الآذان أى تصمها وجوابه محذوف لظهوره (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ) لتبعات بينه وبينهم أولاشتغاله بنفسه (وَصَاحِبَتِهِ) وزوجته (وَبَنِيهِ) بدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أحب. قيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح (لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ) فى نفسه (يُغْنِيهِ) يكفيه فى الاهتمام به ويشغله من غيره (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ) مضيئة من قيام الليل أومن آثار الوضوء (ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ) أى أصحاب هذه الوجوه وهم المؤمنون ضاحكون مسرورون (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ) غبار (تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ) يعلو الغبرة سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه (أُولَٰئِكَ) أهل هذه الحالة (هُمُ الْكَفَرَةُ) فى حقوق الله (الْفَجَرَةُ) فى حقوق العباد ولما جمعوا الفجور إلى الكفر جمع إلى سواد وجوههم الغبرة والله أعلم .

﴿ سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) ذهب بضوئها من كورت العمامة إذا لففتها أى يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره فى الآفاق . وارتفاع الشمس بالفاعلية ورافعها فعل مضمر يفسره كورت لأن إذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط (وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ) تساقطت (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) عن وجه الأرض وأبعدت أو سيرت فى الجو تسيير السحاب (وَإِذَا العِشَارُ) جمع عشراء وهى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة (عُطِّلَتْ) أهملت عطلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم وكانوا يحبسونها إذا بلغت هذه الحالة لعزتها عندهم ويعطلون ما دونها. عطلت بالتخفيف عن اليزيدى (وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ) جمعت من كل ناحية. قال قتادة: يحشر كل شىء حتى الذباب للقصاص فإذا قضى بينها ردت أترابا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبنى آدم كالطاوس ونحوه. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: حشرها موتها يقال إذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة (وَإِذَ الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) سجرت مكى وبصرى من سجر التنور إذا ملأه بالحطب أى ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيراناً لتعذيب أهل النار (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قرنت كل نفس بشكلها الصالح مع الصالح فى الجنة والطالح مع الطالح فى النار أوقرنت الأرواح بالأجساد أو بكتبها وأعمالها أو نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين (وَإِذَا الْمَوْءودَةُ) المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات خشية الإملاق وخوف الاسترقاق (سُئِلَتْ) سؤال تلطف لتقول بلا ذنب قتلت أو لتدل على قاتلها أو هو توبيخ لقاتلها بصرف الخطاب عنه كقوله: أأنت قلت. للناس الآية (بِأَىِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ) وبالتشديد يزيد وفيه دليل على أن أطفال المشركين لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يكون بلاذنب (وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) فتحت. وبالتخفيف مدنى وشامى وعاصم وسهل ويعقوب. والمراد صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر إذا حوسب ويجوز

أن يراد نشرت بين أصحابها أى فرقت بينهم (وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ) قال الزجاج: قلعت كما يقلع السقف (وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ) أوقدت إيقادا شديدا . بالتشديد شامى ومدنى وعاصم غير حماد ويحيى للمبالغة (وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ) أدنيت من المتقين كقوله: وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد. فهذه اثنتا عشرة خصلة ست منها فى الدنيا والباقية فى الآخرة ولا وقف مطلقا من أول السورة إلى ما أحضرت لأن عامل النصب فى إذا الشمس وفيما عطف عليه جوابها وهو (عَلِمَتْ نَفْسٌ) أى كل نفس ولضرورة انقطاع النفس على كل آية جوز الوقف (مَّآ أَحْضَرَتْ) من خير وشر (فَلَآ أُقْسِمُ) لا زائدة (بِالْخُنَّسِ) بالرواجع بينا ترى النجم فى آخر البرج إذ كرّ راجعا إلى أوله (الْجَوَارِ) السيارة (الْكُنَّسِ) الغيّب من كنس الوحش إذا دخل كناسه قيل هى الدرارى الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تختفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هى جميع الكواكب (وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) أقبل بظلامه أو أدبر فهو من الأضداد (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) امتد ضوءه ولما كان إقبال الصبح يلازمه الروح والنسيم جعل ذلك نفسا له مجازا وجواب القسم (إِنَّهُ) أى القرآن (لَقَوْلُ رَسُولٍ) أى جبريل عليه السلام وإنما أضيف القرآن إليه لأنه هو الذى نزل به (كَرِيمٍ) عند ربه (ذِى قُوَّةٍ) قدرة على ما يكلف لا يعجز عنه ولا يضعف (عِندَ ذِى الْعَرْشِ) عند الله (مَكِينٍ) ذى جاه ومنزلة ولما كانت حال المكانة على حسب حال المكين قال عند ذى العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته (مُّطَاعٍ ثَمَّ) أى فى السموات يطيعه من فيها أو عند ذى العرش أى عند الله يطيعه ملائكته المقربون يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه (أَمِينٍ) على الوحى (وَمَا صَاحِبُكُم) يعنى محمدا ﷺ (بِمَجْنُونٍ) كما تزعم الكفرة وهو عطف على جواب القسم (وَلَقَدْ رَءَاهُ) رأى محمد جبريل عليهما السلام على صورته (بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ) بمطلع الشمس (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ) وما محمد على الوحى (بِضَنِينٍ) ببخيل من الضن وهو البخل أى لا يبخل بالوحى كما يبخل الكهان رغبة فى الحلوان بل يعلمه كما علم ولا يكتم شيئا مما علم. بظنين مكى وأبو عمرو وعلى أى بمتهم فينقص

شيئا مما أوحى إليه أو يزيد فيه من الظنة وهى التهمة (وَمَا هُوَ) وما القرآن (بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ) طريدوهو كقوله: وماتنزلت به الشياطين. أى ليس هو بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم إلى أوليائهم من الكهنة (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا فى بنيات الطريق أين تذهب . مثلت حالهم بحاله فى تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل وقال الزجاج معناه فأى طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التى بينت لكم وقال الجنيد فأين تذهبون عنا وإن من شىء إلا عندنا (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ) ماالقرآن إلاعظة للخلق (لِمَن شَآءَ مِنكُمْ) بدل من العالمين (أَن يَسْتَقِيمَ) أى القرآن ذكر لمن شاء الاستقامة يعنى أن الذين شاءوا الاستقامة بالدخول فى الإسلام هم المنتفعون بالذكر فكأنه لم يوعظ به غيرهم وإن كانوا موعوظين جميعا (وَمَا تَشَآءُونَ) الاستقامة (إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ) مالك الخلق أجمعين .

﴿ سورة الانفطار مكية وهى تسع عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِذَا السَّمَآءُ انفَطَرَتْ) انشقت (وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ) تساقطت (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ) فتح بعضها إلى بعض وصارت البحار بحراواحدا (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) بحثت وأخرج موتاها وجواب إذا (عَلِمَتْ نَفْسٌ) أى كل نفس برة وفاجرة (مَّا قَدَّمَتْ) ما عملت من طاعة (وَأَخَّرَتْ) وتركت فلم تعمل أو ما قدمت من الصدقات وما أخرت من الميراث (يَٰأَيُّهَا الْإِنسَٰنُ) قيل الخطاب لمنكرى البعث (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِى خَلَقَكَ) أى شىء خدعك حتى ضيعت ماوجب عليك مع كرم ربك حيث أنعم عليك بالخلق والتسوية والتعديل. وعنه عليه السلام حين تلاها غره جهله .وعن عمر رضى الله عنه: غره حمقه. وعن الحسن : غره شيطانه. وعن الفضيل: لوخوطبت أقول غرتنى ستورك المرخاة. وعن يحيى ابن معاذ أقول: غرنى برك بى سالفا وآنفا (فَسَوَّىٰكَ) فجعلك مستوى الخلق سالم الأعضاء

(فَعَدَلَكَ) فصيّرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل إحدى اليدين أطول ولا إحدى العينين أوسع ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود أو جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم. وبالتخفيف كوفي وهو بمعنى المشدد أي عدّل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت فكنت معتدل الخلقة متناسبا (فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ) ما مزيد للتوكيد أي ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر ، ولم تعطف هذه الجملة كما عطف ما قبلها لأنها بيان لعدلك والجار يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيها أو بمحذوف أي ركبك حاصلا في بعض الصور (كَلاَّ) ردع عن الغفلة عن الله تعالى (بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ) أصلا وهو الجزاء أو دين الإسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَفِظِينَ) أعمالكم وأقوالكم من الملائكة (كِرَامًا كَٰتِبِينَ) يعني أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها (يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء وأنه عند الله من جلائل الأمور وفيه إنذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال: ما أشدها من آية على الغافلين (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) إن المؤمنين لفي نعيم الجنة (وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) وإن الكفار لفي النار (يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ) يدخلونها يوم الجزاء (وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ) أي لا يخرجون منها كقوله تعالى: وماهم بخارجين منها. ثم عظم شأن يوم القيامة فقال (وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ) فكرر للتأكيد والتهويل وبينه بقوله (يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا) أي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه وإنما تملك الشفاعة بالإذن. يوم بالرفع مكي وبصري أي هو يوم أو بدل من يوم الدين ومن نصب فبإضمار اذكر أو بإضمار يدانون لأن الدين يدل عليه (وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ) أي لا أمر إلا لله تعالى وحده فهو القاضي فيه دون غيره .

﴿ سورة المطففين مختلف فيها وهى ست وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَيْلٌ) مبتدأ خبره (لِّلْمُطَفِّفِينَ) للذين يبخسون حقوق الناس فى الكيل والوزن (الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) أى إذا أخذوا بالكيل من الناس يأخذون حقوقهم وافية تامة ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز أن يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لإفادة الاختصاص أى يستوفون على الناس خاصة. وقال الفراء: من وعلى يعتقبان فى هذا الموضع لأنه حق عليه فإذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ماعليك وإذا قال اكتلت منك فكأنه قال استوفيت منك. والضمير المنصوب فى (وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ) راجع إلى الناس أى كالوا لهم أووزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل وإنما لم يقل أو اتزنوا كما قيل أووزنوهم اكتفاء ويحتمل أن المطففين كانوا لايأخذون مايكال ويوزن إلا بالمكاييل لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لأنهم يدعدعون ويحتالون فى الملء وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس فى النوعين (يُخْسِرُونَ) ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره (أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) يعنى يوم القيامة أدخل همزة الاستفهام على لا النافية توبيخا وليست ألا هذه للتنبيه وفيه إنكار وتعجيب عظيم من حالهم فى الاجتراء على التطفيف كأنهم لايخطرون ببالهم ولايخمنون تخمينا أنهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة ولوظنوا أنهم يبعثون مانقصوا فى الكيل والوزن. وعن عبدالملك بن مروان أن أعرابيا قال له لقد سمعت ما قال الله فى المطففين أراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ونصب (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ) بمبعوثون (لِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ) لأمره وجزائه وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ هنا بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده (كَلَّا) ردع وتنبيه أى ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ونبههم على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم فقال (إِنَّ كِتَٰبَ الْفُجَّارِ) صحائف أعمالهم (لَفِى

(سِجِّينٍ وَمَآ أَدْرَٰكَ مَا سِجِّينٌ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ) فإن قلت قد أخبر الله تعالى عن كتاب الفجار بأنه فى سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكأنه قيل إن كتابهم فى كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دوّن الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والإنس وهو كتاب مرقوم مسطور بيّن الكتابة أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه من رقم الثياب علامتها والمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت فى ذلك الديوان وسمى سجينا فعّيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لأنه سبب الحبس والتضييق فى جهنم أو لأنه مطروح تحت الأرض السابعة فى مكان وحش مظلم وهو مسكن إبليس وذريته وهو اسم علم منقول من وصف كحاتم منصرف لوجود سبب واحد وهو العلمية فحسب (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ) يوم يخرج المكتوب (لِّلْمُكَذِّبِينَ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ) الجزاء والحساب (وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ) بذلك اليوم (إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ) مجاوز للحد (أَثِيمٍ) مكتسب للإثم (إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا) أى القرآن (قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ) أى أحاديث المتقدمين. وقال الزجاج: أساطير أباطيل واحدها أسطورة مثل أحدوثة وأحاديث (كَلَّا) ردع للمعتدى الأثيم عن هذا القول (بَلْ) نفى لما قالوا ويقف حفص على بل وقيفة (رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) غطّاها كسبهم أى غلب على قلوبهم حتى غمرها ما كانوا يكسبون من المعاصى. وعن الحسن: الذنب بعد الذنب حتى يسودّ القلب. وعن الضحاك الرين موت القلب وعن أبى سليمان الرين والقسوة زماما الغفلة ودواؤهما إدمان الصوم فإن وجد بعد ذلك قسوة فليترك الإدام (كَلَّا) ردع عن الكسب الرائن على القلب (إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ) عن رؤية ربهم (يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ) لممنوعون والحجب: المنع قال الزجاج فى الآية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم وإلا لا يكون التخصيص مفيدا وقال الحسين بن الفضل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى العقبى عن رؤيته وقال مالك بن أنس رحمه الله لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه وقيل عن كرامة ربهم لأنهم فى الدنيا لم يشكروا نعمه فيئسوا فى الآخرة عن كرامته مجازاة والأول أصح لأن الرؤية أقوى الكرامات فالحجب عنها دليل الحجب عن غيرها (ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا ٱلْجَحِيمِ) ثم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلون

النار (ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ) أى هذا العذاب هو الذى كنتم تكذبون به فى الدنيا وتنكرون وقوعه (كَلَّا) ردع عن التكذيب (إِنَّ كِتَٰبَ الْأَبْرَارِ) ما كتب من أعمالهم والأبرار المطيعون الذين لا يطففون ويؤمنون بالبعث لأنه ذكر فى مقابلة الفجار وبيّن الفجار بأنهم المكذبون بيوم الدين وعن الحسن البر الذى لا يؤذى الذر (لَفِي عِلِّيِّينَ) هو علم لديوان الخير الذى دوّن فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع علّى فعيل من العلو سمى به لأنه سبب الارتفاع إلى أعالى الدرجات فى الجنة أو لأنه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له (وَمَا أَدْرَاكَ) ما الذى أعلمك يا محمد (مَا عِلِّيُّونَ) أى شىء هو (كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) تحضره الملائكة قيل يشهد عمل الأبرار مقربو كل سماء إذا رفع (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) تنعم فى الجنان (عَلَى الْأَرَائِكِ) الأسرة فى الحجال (يَنظُرُونَ) إلى كرامة الله ونعمه وإلى أعدائهم كيف يعذبون (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) بهجة التنعم وطراوته (يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ) شراب خالص لا غش فيه (مَّخْتُومٍ خِتَٰمُهُ مِسْكٌ) تختم أوانيه بمسك بدل الطين الذى يختم به الشراب فى الدنيا . أمر الله تعالى بالختم عليه إكراما لأصحابه أو ختامه مسك مقطعه رائحة مسك أى توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه. خاتمه علىّ (وَفِي ذَٰلِكَ) الرحيق أو النعيم (فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) فليرغب الراغبون وذا إنما يكون بالمسارعة إلى الخيرات والانتهاء عن السيئات (وَمِزَاجُهُ) ومزاج الرحيق (مِن تَسْنِيمٍ) هو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنّمه إذا رفعه لأنها أرفع شراب فى الجنة أو لأنها تأتيهم من فوق وتنصب فى أوانيهم (عَيْنًا) حال أو نصب على المدح (يَشْرَبُ بِهَا) أى منها (الْمُقَرَّبُونَ) عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم يشربها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) كفروا (كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ) فى الدنيا استهزاء بهم (وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ) يشير بعضهم إلى بعض بالعين طعنا فيهم وعيبا لهم قيل جاء على رضى الله عنه فى نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا وقالوا أترون هذا الأصلع فنزلت قبل أن يصل علىّ إلى رسول الله ﷺ (وَإِذَا

انقلبوا إلى أهلهم) أى إذا رجع إلى الكفار منازلهم (انقلبوا فكهين) متلذذين بذكرهم والسخرية منهم. وقرأ غير حفص فاكهين أى فرحين (وإذا رأوهم) وإذا رأى الكافرون المؤمنين (قالوا إن هؤلاء لضالون) أى خدع محمد هؤلاء فضلوا وتركوا اللذات لما يرجونه فى الآخرة من الكرامات فقد تركوا الحقيقة بالخيال وهذا هو عين الضلال (وما أرسلوا) وما أرسل الكفار (عليهم) على المؤمنين (حفظين) يحفظون عليهم أحوالهم ويرقبون أعمالهم بل أمروا بإصلاح أنفسهم فاشتغالهم بذلك أولى بهم من تتبع غيرهم وتسفيه أحلامهم (فاليوم) أى يوم القيامة (الذين ءامنوا من الكفار يضحكون) ثم كما ضحكوا منهم هنا مجازاة (على الأرائك ينظرون) حال أى يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ماهم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والاستكبار وهم على الأرائك آمنون وقيل يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم هلموا إلى الجنة فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) هل جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين فى الدنيا إذا فعل بهم ما ذكر والله أعلم .

﴿ سورة الانشقاق مكية وهى خمس وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا السماء انشقت) تصدعت وتشققت (وأذنت لربها) سمعت وأطاعت وأجابت ربها إلى الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع (وحقت) وحق لها أن تسمع وتطيع لأمر الله إذ هى مصنوعة مربوبة لله تعالى (وإذا الأرض مدت) بسطت وسويت باندكاك جبالها وكل أمت فيها (وألقت ما فيها) ورمت ما فى جوفها من الكنوز والموتى (وتخلت) وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شىء فى باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها فى الخلو يقال تكرم الكريم إذا بلغ جهده فى الكرم وتكلف فوق ما فى طبعه (وأذنت لربها) فى إلقاء ما فى بطنها وتخليها (وحقت) وهى حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع وحذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم بمثلها من سورتى التكوير والانفطار أو جوابه ما دل عليه فملاقيه أى إذا

السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ) خطاب للجنس (إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا) جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء (فَمُلَـٰقِيهِ) الضمير للكدح وهو جهد النفس فى العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها والمراد جزاء الكدح إن خيرا فخير وإن شرا فشر وقيل لقاء الكدح لقاء كتاب فيه ذلك الكدح يدل عليه قوله (فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ) أى كتاب عمله (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) سهلا هينا وهو أن يجازى على الحسنات ويتجاوز عن السيئات . وفى الحديث «من يحاسب يعذب» فقيل فأين قوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش فى الحساب عذب (وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ) إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين أو إلى فريق المؤمنين أو إلى أهله فى الجنة من الحور العين (مَسْرُورًا) فرحا (وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ) قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره (فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا) يقول ياثبوراه والثبور الهلاك (وَيَصْلَىٰ) عراق غيرعلى (سَعِيرًا) أى ويدخل جهنم (إِنَّهُۥ كَانَ) فى الدنيا (فِىٓ أَهْلِهِۦ) معهم (مَسْرُورًا) بالكفر يضحك ممن آمن بالبعث قيل كان لنفسه متابعا وفى مراتع هواه راتعا (إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ) لن يرجع إلى ربه تكذيبا بالبعث قال ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت تفسيره حتى سمعت أعرابية تقول لبنتها حورى أى ارجعى (بَلَىٰٓ) إيجاب لما بعد النفى فى لن يحور أى بلى ليحورن (إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ) وبأعماله (بَصِيرًا) لا يخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها (فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ) فأقسم بالبياض بعد الحمرة أو الحمرة (وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) جمع وضم والمراد ما جمعه من الظلمة والنجم أو ما عمل فيه من التهجد وغيره (وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ) اجتمع وتم بدرا افتعل من الوسق (لَتَرْكَبُنَّ) أيها الإنسان على إرادة الجنس (طَبَقًا عَن طَبَقٍ) حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لأختها فى الشدة والهول والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا أى لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق ويجوز أن يكون جمع طبقة وهى المرتبة من قولهم هو على طبقات أى لتركبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات فى الشدة بعضها أرفع من بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها ومحل عن

طبق نصب على أنه صفة لطبقا أى طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير فى لتركبن أى لتركبن طبقا مجاوزين لطبق وقال مكحول فى كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه وبفتح الباء مكى وعلى وحمزة والخطاب له عليه السلام أى طبقا من طباق السماء بعد طبق أى فى المعراج (فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ) فما لهم فى أن لا يؤمنوا (وَإِذَا قُرِىءَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لاَ يَسْجُدُونَ) لا يخضعون (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ) بالبعث والقرآن (وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ) بما يجمعون فى صدورهم ويضمرون من الكفر وتكذيب النبى ﷺ أو بما يجمعون فى صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) أخبرهم خبرا يظهر أثره على بشرتهم (إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) استثناء منقطع (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) غير مقطوع أو غير منقوص والله أعلم .

﴿ سورة البروج مكية وهى اثنتان وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) هى البروج الاثنا عشر وقيل النجوم أوعظام الكواكب (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) يوم القيامة (وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) أى وشاهد فى ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود فيه ما فى ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما إما ما ذكرته فى قوله علمت نفس ما أحضرت كأنه قيل ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود وإما الإبهام فى الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد كثرت أقاويل المفسرين فيهما فقيل محمد ﷺ ويوم القيامة أو عيسى وأمته لقوله : وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم. أو أمة محمد وسائر الأمم أو الحجر الأسود والحجيج أو الأيام والليالى وبنو آدم للحديث : ما من يوم إلا وينادى أنا يوم جديد وعلى ما يفعل فىّ شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدركنى إلى يوم القيامة. أو الحفظة وبنو آدم أو الله تعالى والخلق لقوله تعالى : وكفى بالله شهيدا، أو الأنبياء ومحمد عليهم السلام وجواب القسم محذوف يدل عليه (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ) أى لعن كأنه قيل: أقسم بهذه الأشياء إنهم ملعونون يعنى كفار

قريش كما لعن أصحاب الأخدود وهو خد أى شق عظيم فى الأرض. روى عن النبى ﷺ أنه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضموا إليه غلاما ليعلمه السحر وكان فى طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى فى طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فأخذ حجرا فقال «اللهم إن إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها» فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرىء الأكمه والأبرص وعمى جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال : ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقدّ بالمنشار وأبى الغلام فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به إلى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك: لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده عليه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فخدّ أخدودا وملأها نارا فمن لم يرجع عن دينه طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبى يا أماه اصبرى فإنك على الحق فألقى الصبى وأمه فيها (النَّارِ) بدل اشتمال من الأخدود (ذَاتِ الْوَقُودِ) وصف لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس (إِذْ) ظرف لقتل أى لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها (هُمْ عَلَيْهَا) أى الكفار على ما يدنو منها من حافات الأخدود (قُعُودٌ) جلوس على الكراسى (وَهُمْ) أى الكفار (عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ) من الإحراق (شُهُودٌ) يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحدا منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض إليه من التعذيب وفيه حث للمؤمنين على الصبر وتحمل أذى أهل مكة (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا) وما عابوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان كقوله:

* ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم *

وقوله :

ما نقموا من بنى أمية إلا ... أنهم يحلمون إن غضبوا

وقرىء نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح (بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) ذكر الأوصاف

التى يستحق بها أن يؤمن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه به حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه (ٱلَّذِى لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لأن ما نقموا منهم هو الحق الذى لاينقمه إلا مبطل وأن الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب عظيم (وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ) وعيد لهم يعنى أنه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه (إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ) يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين فى الأخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم (ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا) لم يرجعوا عن كفرهم (فَلَهُمْ) فى الآخرة (عَذَابُ جَهَنَّمَ) بكفرهم (وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ) فى الدنيا لما روى أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أى بلوهم بالأذى على العموم والمؤمنين المفتونين وأن للفاتنين عذابين فى الآخرة لكفرهم ولفتنتهم (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ) أى الذين صبروا على تعذيب الأخدود أو هو عام (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) البطش: الأخذ بالعنف فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم والمراد أخذه الظلمة والجبابرة بالعذاب والانتقام (إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) أى يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد أن صيرهم ترابا دل باقتداره على الابداء والإعادة على شدة بطشه أو أوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبدأهم ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالإعادة (وَهُوَ ٱلْغَفُورُ) الساتر للعيوب العافى عن الذنوب (ٱلْوَدُودُ) المحب لأوليائه وقيل الفاعل لأهل الطاعة مايفعله الودود من إعطائهم ماأرادوا (ذُو ٱلْعَرْشِ) خالقه ومالكه (ٱلْمَجِيدُ) وبالجر حمزة وعلى على أنه صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه (فَعَّالٌ) خبر مبتدأ محذوف (لِّمَا يُرِيدُ) تكوينه فيكون فيه دلالة خلق أفعال العباد (هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ) أى قد أتاك خبر الجموع الطاغية فى الأمم الخالية (فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ) بدل من الجنود وأراد بفرعون إياه وآله والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل ومانزل بهم لتكذيبهم (بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا) من قومك (فِى تَكْذِيبٍ) واستيجاب للعذاب ولا يعتبرون بالجنود لا لخفاء حال الجنود عليهم لكن يكذبونك عنادا

(وَاللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ) أى عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والإحاطة بهم من ورائهم مثل لأنهم لا يفوتونه كما لا يفوت الشيء المحيط به (بَلْ هُوَ) بل هذا الذى كذبوا به (قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ) شريف عالى الطبقة فى الكتب وفى نظمه وإعجازه ليس كما يزعمون أنه مفترى وأنه أساطير الأولين (فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ) من وصول الشياطين. محفوظ نافع صفة للقرآن أى من التغيير والتبديل واللوح عند الحسن شيء يلوح للملائكة فيقرءونه وعند ابن عباس رضى الله عنهما هو من درة بيضاء طولها ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب قلمه نور وكل شيء فيه مسطور . مقاتل هو على يمين العرش وقيل أعلاه معقود بالعرش وأسفله فى حجر ملك كريم والله أعلم .

﴿ سورة الطارق مكية وهى سبع عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالسَّمَآءِ وَالطَّارِقِ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ) عظم قدر السماء فى أعين الخلق لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكته وفيها خلق الجنة فأقسم بها وبالطارق والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التى يرجم بها لعظم منفعتها ثم فسره بالنجم الثاقب أى المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه ووصف بالطارق لأنه يبدو بالليل كما يقال للآتى ليلا طارق أو لأنه يطرق الجنى أى يصكه وجواب القسم (إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) لأن لما إن كانت مشددة بمعنى إلا كقراءة عاصم وحمزة وابن عامر فتكون إن نافية أى ما كل نفس إلا عليها حافظ وإن كانت مخففة كقراءة غيرهم فتكون إن مخففه من الثقيلة أى إن كل نفس لعليها حافظ يحفظها من الآفات أو يحفظ عملها ورزقها وأجلها فإذا استوفى ذلك مات وقيل هو كاتب الأعمال فما زائدة واللام فارقة بين الثقيلة والخفيفة وحافظ مبتدأ وعليها الخبر والجملة خبر كل وأيتهما كانت فهى مما يتلقى به القسم (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ) لما ذكر أن على كل نفس حافظا أمره بالنظر فى أول أمره ليعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه فيعمل ليوم الجزاء ولا يملى على حافظه إلا ما يسره فى عاقبته ومم خلق استفهام

أى من أى شىء خلق جوابه (خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ) والدفق: صب فيه دفع والدفق فى الحقيقة لصاحبه والإسناد إلى الماء مجاز وعن بعض أهل اللغة دفقت الماء دفقا: صببته ودفق الماء بنفسه أى انصب ولم يقل من ماءين لامتزاجهما فى الرحم واتحادهما حين ابتدىء فى خلقه (يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ) من صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة (إِنَّهُ) إن الخالق لدلالة خلق عليه ومعناه إن الذى خلق الإنسان ابتداء من نطفة (عَلَىٰ رَجْعِهِ) على إعادته خصوصا (لَقَادِرٌ) لبيّن القدرة لا يعجز عنه كقوله: إننى لفقير أى لبيّن الفقر . ونصب (يَوْمَ تُبْلَى) أى تكشف برجعه أو بمضمر دل عليه قوله رجعه أى يبعثه يوم تبلى (السَّرَآئِرُ) ماأسرّ فى القلوب من العقائد والنيات وماأخفى من الأعمال (فَمَا لَهُ) فما للإنسان (مِن قُوَّةٍ) فى نفسه على دفع ما حل به (وَلاَ نَاصِرٍ) يعينه ويدفع عنه (وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) أى المطر وسمى به لعوده كل حين (وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) هو ما تتصدع عنه الأرض من النبات (إِنَّهُ) إن القرآن (لَقَوْلٌ فَصْلٌ) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان (وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ) باللعب والباطل يعنى أنه جد كله ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيبا فى الصدور معظما فى القلوب يرتفع به قارئه وسامعه أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح (إِنَّهُمْ) يعنى مشركى مكة (يَكِيدُونَ كَيْدًا) يعملون المكايد فى إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق (وَأَكِيدُ كَيْدًا) وأجازيهم جزاء كيدهم باستدراجى لهم من حيث لا يعلمون فسمى جزاء الكيد كيدا كما سمى جزاء الاعتداء والسيئة اعتداء وسيئة وإن لم يكن اعتداء وسيئة ولا يجوز إطلاق هذا الوصف على الله تعالى إلا على وجه الجزاء كقوله: نسوا الله فنسيهم ـ يخادعون الله وهو خادعهم ـ الله يستهزىء بهم (فَمَهِّلِ الْكَـٰفِرِينَ) أى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به (أَمْهِلْهُمْ) أنظرهم فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير (رُوَيْدًا) مهلا يسيرا ولا يتكلم بها إلا مصغرة وهى من رادت الريح ترود رودا تحركت حركة ضعيفة .

﴿ سورة الأعلى مكية وهى تسع عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) نزه ذاته عما لا يليق به والاسم صلة وذلك بأن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذى هوالقهر والاقتدار لا بمعنى العلو فى المكان وقيل قل سبحان ربى الأعلى وفى الحديث لما نزلت قال عليه السلام: اجعلوها فى سجودكم (الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى) أى خلق كل شىء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على إحكام واتساق ، دلالة على أنه صادر عن عالم حكيم أو سوّاه على ما فيه منفعة ومصلحة (وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى) أى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به أو فهدى وأضل ولكن حذف وأضل اكتفاء كقوله: يضل من يشاء ويهدى من يشاء. قدَرَ علىّ (وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَى) أنبت ماترعاه الدواب (فَجَعَلَهُ غُثَاءً) يابسا هشيما (أَحْوَى) أسود فأحوى صفة الغثاء (سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى) سنعلمك القرآن حتى تنساه (إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ) أن ينسخه وهذا بشارة من الله لنبيه أن يحفظ عليه الوحى حتى لاينفلت منه شىء إلا ماشاء الله أن ينسخه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته. وسأل ابن كيسان النحوى جنيدا عنه فقال فلا تنسى العمل به فقال مثلك يصدر وقيل قوله فلاتنسى على النهى والألف مزيدة للفاصلة كقوله: السبيلا أى فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه إلا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته (إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى) أى إنك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما فى نفسك مما يدعوك إلى الجهر أو ما تقرأ فى نفسك مخافة النسيان أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر ومابطن من أحوالكم (وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى) معطوف على سنقرئك وقوله إنه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التى هى أيسر وأسهل يعنى حفظ الوحى وقيل للشريعة السمحة التى هى أيسر الشرائع أو نوفقك لعمل الجنة (فَذَكِّرْ) عظ بالقرآن (إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى) جواب إن مدلول قوله فذكر قيل ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكرى فيهم وقيل هو أمر بالتذكير على

الإطلاق كقوله : فذكر إنما أنت مذكر . غير مشروط بالنفع (سَيَذَّكَّرُ) سيتعظ ويقبل التذكرة (مَن يَخْشَىٰ) الله وسوء العاقبة (وَيَتَجَنَّبُهَا) ويتباعد عن الذكرى فلا يقبلها (الْأَشْقَى) الكافر أو الذى هو أشقى الكفرة لتوغله فى عداوة رسول الله ﷺ قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة (الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ) يدخل نار جهنم والصغرى نار الدنيا (ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا) فيستريح من العذاب (وَلَا يَحْيَىٰ) حياة يتلذذ بها وقيل ثم لأن الترجح بين الحياة والموت أفظع من الصلى فهو متراخ عنه فى مراتب الشدة (قَدْ أَفْلَحَ) نال الفوز (مَن تَزَكَّىٰ) تطهر من الشرك أو تطهر للصلاة أو أدى الزكاة تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ) وكبر للافتتاح (فَصَلَّىٰ) الخمس وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لأن الصلاة عطفت عليها وهو يقتضى المغايرة وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل وعن ابن عباس رضى الله عنهما ذكر معاده وموقفه بين يدى ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه فى طريق المصلى فصلى صلاة العيد (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا) على الآخرة فلا تفعلون ما به تفلحون والمخاطب به الكافرون دليله قراءة أبى عمرو يؤثرون بالياء (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) أفضل فى نفسها وأدوم (إِنَّ هَٰذَا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ) هـــذا إشارة إلى قوله قد أفلح إلى أبقى أى أن معنى هذا الكلام وارد فى تلك الصحف أو إلى مافى السورة كلها وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة لأنه جعله مذكورا فى تلك الصحف مع أنه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة (صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ) بدل من الصحف الأولى وفى الأثر وفى صحف إبراهيم ينبغى للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه .

﴿سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هَلْ) بمعنى قد (أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) الداهية التى تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعنى القيامة وقيل النار من قوله: وتغشى وجوههم النار (وُجُوهٌ) أى وجوه الكفار وإنما خص الوجه لأن الحزن والسرور إذا استحكما فى المرء أثرا فى وجهه (يَوْمَئِذٍ) يوم إذ غشيت (خَاشِعَةٌ) ذليلة لما اعترى أصحابها من الخزى والهوان (عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ) تعمل فى النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والأغلال وخوضها فى النار كما تخوض الإبل فى الوحل وارتقاؤها دائبة فى صعود من نار وهبوطها فى حدور منها وقيل عملت فى الدنيا أعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهى فى نصب منها فى الآخرة وقيل هم أصحاب الصوامع ومعناه أنها خشعت لله وعملت ونصبت فى أعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب (تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً) تدخل نارا قد أحميت مددا طويلة فلا حر يعدل حرها. تُصْلى أبو عمرو وأبو بكر (تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ) من عين ماء قد انتهى حرها والتأنيث فى هذه الصفات والأفعال راجعة إلى الوجوه والمراد أصحابها بدليل قوله (لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ) وهو نبت يقال له الشِّبرِق فإذا يبس فهو ضريع وهو سم قاتل والعذاب ألوان والمعذبون طبقات فنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع فلا تناقض بين هذه الآية وبين قوله ولا طعام إلا من غسلين (لَّا يُسْمِنُ) مجرور المحل لأنه وصف ضريع (وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ) اى منفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما إماطة الجوع وإفادة السمن فى البدن (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ) ثم وصف وجوه المؤمنين ولم يقل ووجوه لأن الكلام الأول قد طال وانقطع (نَّاعِمَةٌ) متنعمة فى لين العيش (لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ) رضيت بعملها وطاعتها لما رأت ما أداها إليه من الكرامة والثواب (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) من علو المكان أو القدار (لَّا تَسْمَعُ) يا مخاطب أو الوجوه (فِيهَا لَاغِيَةً) أى لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو لا يتكلم أهل الجنة إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم. لا يسمع فيها لاغيةٌ

مكى وأبو عمرو . لا تُسْمَعُ فيها لاغية نافع (فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ) أى عيون كثيرة كقوله : علمت نفس (فِيهَا سُرُرٌ) جمع سرير (مَّرْفُوعَةٌ) من رفعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم (وَأَكْوَابٌ) جمع كوب وهو القدح وقيل آنية لا عروة لها (مَّوْضُوعَةٌ) بين أيديهم ليتلذذوا بها بالنظر إليها أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب (وَنَمَارِقُ) وسائد (مَصْفُوفَةٌ) بعضها إلى جنب بعض مساند ومطارح أينما أراد أن يجلس جلس على مسودة واستند إلى الأخرى (وَزَرَابِيُّ) وبسط عراض فاخرة جمع زربية (مَبْثُوثَةٌ) مبسوطة أو مفرقة فى المجالس ولما أنزل الله تعالى هذه الآيات فى صفة الجنة وفسر النبى عليه السلام بأن ارتفاع السرير يكون مائة فرسخ والأكواب الموضوعة لا تدخل فى حساب الخلق لكثرتها وطول النمارق كذا وعرض الزرابى كذا أنكر الكفار وقالوا كيف يصعد على هذا السرير وكيف تكثر الأكواب هذه الكثرة وتطول النمارق هذا الطول ، وبسط الزرابى هذا الانبساط ولم نشاهد ذلك فى الدنيا فقال الله تعالى (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) طويلة ثم تبرك حتى تركب أو يحمل عليها ثم تقوم فكذا السرير يطأطئ للمؤمن كما يطأطئ الإبل (وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ) رفعا بعيد المدى بلا إمساك وعمد ثم نجومها تكثر هذه الكثرة فلا تدخل فى حساب الخلق فكذا الأكواب (وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ) نصبا ثابتا فهى راسخة لا تميل مع طولها فكذا النمارق (وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) سطحا بتمهيد وتوطئة فهى كلها بساط واحد تنبسط من الأفق إلى الأفق فكذا الزرابى ويجوز أن يكون المعنى أفلا ينظرون إلى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا إنذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه وتخصيص هذه الأربعة باعتبار أن هذا خطاب للعرب وحث لهم على الاستدلال والمرء إنما يستدل بما تكثر مشاهدته له والعرب تكون فى البوادى ونظرهم فيها إلى السماء والأرض والجبال والإبل فهى أعز أموالهم وهم لها أكثر استعمالا منهم لسائر الحيوانات ولأنها تجمع جميع المآرب المطلوبة من الحيوان وهى النسل والدر والحمل والركوب والأكل بخلاف غيرها ولأن خلقها أعجب من غيرها فإنه سخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمتها لا تعاز ضعيفا

ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار وجعلها بحيث تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وتجرها إلى البلاد الشاحطة وصبرها على احتمال العطش حتى إن ظمأها ليرتفع إلى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل نابت فى البرارى مما لا يرعاه سائر البهائم (فَذَكِّرْ) فذكرهم بالأدلة ليتفكروا فيها (إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ) ليس عليك إلا التبليغ (لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ) بمسلط كقوله وما أنت عليهم بجبار ، بمصيطر مدنى وبصرى وعلى وعاصم (إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ) الاستثناء منقطع أى لست بمسئول عليهم ولكن من تولى منهم وكفر بالله فإن لله الولاية عليه والقهر فهو يعذبه العذاب الأكبر وهو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر أى فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ) رجوعهم، وفائدة تقديم الظرف التشديد فى الوعيد وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) فنحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها جزاء أمثالهم وعلى لتأكيد الوعيد لا للوجوب إذ لا يجب على الله شىء .

﴿ سورة الفجر مكية وهى تسع وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالْفَجْرِ) أقسم بالفجر وهو الصبح كقوله: والصبح إذا أسفر، أو بصلاة الفجر (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) عشر ذى الحجة أو العشر الأول من المحرم أو الآخر من رمضان وإنما نكرت لزيادة فضيلتها (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) شفع كل الأشياء ووترها أو شفع هذه الليالى ووترها أو شفع الصلاة ووترها أو يوم النحر لأنه اليوم العاشر ويوم عرفة لأنه اليوم التاسع أو الخلق والخالق والوِتر حمزة وعلى وبفتح الواو غيرهما وهما لغتان فالفتح حجازى والكسر تميمى وبعد ما أقسم بالليالى المخصوصة أقسم بالليل على العموم فقال (وَاللَّيْلِ) وقيل أريد به ليلة القدر (إِذَا يَسْرِ) إذا يمضى وياء يسر تحذف فى الدرج اكتفاء عنها بالكسرة وأما فى الوقف فتحذف مع الكسرة وسأل واحد الأخفش عن سقوط الياء فقال: لا ، حتى تخدمنى سنة فسأله بعد سنة فقال: الليل

لايسرى وإنما يسرى فيه فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة وقيل معنى يسرى: يسرى فيه كما يقال ليل نائم أى ينام فيه (هَلْ فِي ذَٰلِكَ) أى فيما أقسمت به من هذه الأشياء (قَسَمٌ) أى مقسم به (لِّذِي حِجْرٍ) عقل سمى به لأنه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لأنه يعقل وينهى يريد هل تحقق عنده أن تعظم هذه الأشياء بالإقسام بها أو هل فى إقسامى بها إقسام لذى حجر أى هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه أو هل فى القسم بهذه الأشياء قسم مقنع لذى عقل ولب والمقسم عليه محذوف وهوقوله ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر إلى قوله : فصب عليهم ربك صوت عذاب. ثم ذكر تعذيب الأمم التى كذبت الرسل فقال (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ) أى ألم تعلم يا محمد علما يوازى العيان فى الإيقان وهو استفهام تقرير قيل لعقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للأولين منهم: عاد الأولى، والإرم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الأخيرة فإرم عطف بيان لعاد وإيذان بأنهم عاد الأولى القديمة وقيل إرم بلدتهم وأرضهم التى كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد إرم على الإضافة وتقديره بعاد أهل إرم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت أوأرضا للتعريف والتأنيث وذات العماد إذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمدأو طوال الأجسام على تشبيه قدودهم بالأعمدةوإن كانت صفةللبلدة فالمعنى أنها ذات أساطين وروى أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار والأنهار ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب إبل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث إلى كعب فسأله فقال : هى إرم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب إبل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال:

هذاوالله ذلك الرجل (الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ) أى مثل عاد فى قوتهم وطول قامتهم كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع أولم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا (وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ) قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا قيل أول من نحت الجبال والصخور ثمود وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة (بِالْوَادِ) بوادى القرى (وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ) أى ذى الجنود الكثيرة وكانت لهم مضارب كثيرة يضربونها إذا نزلوا وقيل كان له أوتاد يعذب الناس بها كما فعل بآسية (الَّذِينَ) فى محل النصب على الذم أو الرفع على هم الذين أو الجر على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون (طَغَوْا فِي الْبِلَادِ) تجاوزوا الحد (فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ) بالكفر والقتل والظلم (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ) مجاز عن إيقاع العذاب بهم على أبلغ الوجوه إذا الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الإيلام أى عذبوا عذابا مؤلما دائما (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) وهو المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لإرصاده العباد وأنهم لا يفوتونه وأنه عالم بما يصدر منهم وحافظه فيجازيهم عليه إن خيرا فخير وإن شرا فشر (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) أى ضيق عليه وجعله بمقدار بلغته ، فقدّر شامى ويزيد (فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ) أى الواجب لمن ربه بالمرصاد أن يسعى للعاقبة ولاتهمه العاجلة وهو قد عكس فإنه إذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر، قال: ربى أكرمنى أى فضلنى بما أعطانى فيرى الإكرام فى كثرة الحظ من الدنيا وإذا امتحنه بالفقر فقدر عليه رزقه ليصبر، قال ربى أهاننى فيرى الهوان فى قلة الحظ من الدنيا لأنه لاتهمه إلا العاجلة ومايلذه وينعمه فيها فرد عليه زعمه بقوله (كَلَّا) أى ليس الإكرام والإهانة فى كثرة المال وقلته بل الإكرام فى توفيق الطاعة والإهانة فى الخذلان وقوله تعالى : فيقول، خبر المبتدأ الذى هو الإنسان ودخول الفاء لما فى أما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر فى تقدير التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فقائل ربى أكرمن وقت الابتلاء وكذا فيقول الثانى خبر لمبتدأ تقديره وأما هو إذا ما ابتلاه ربه وسمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لأن كل واحد منهما اختبار للعبد فإذا بسط

له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع ونحوه قوله تعالى: ونبلوكم بالشر والخير فتنة. وإنما أنكر قوله ربى أكرمن مع أنه أثبته بقوله فأكرمه لأنه قاله على قصد خلاف ماصححه الله عليه وأثبته وهو قصده إن الله أعطاه ماأعطاه إكراما له لاستحقاقه كقوله إنما أوتيته على علم عندى وإنما أعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق منه (بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ) أى بل هناك شر من هذا القول وهو أن الله يكرمهم بالغنى فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالمبرة وحض أهله على طعام المسكين (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ) أى الميراث (أَكْلًا لَّمًّا) ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام وكانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ) يقال حبه وأحبه بمعنى (حُبًّا جَمًّا) كثيرا شديدا مع الحرص ومنع الحقوق، ربىَ حجازى وأبو عمرو يكرمون ولا يحضون ويأكلون ويحبون بصرى (كَلاَّ) ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة فقال (إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ) إذا زلزلت (دَكًّا دَكًّا) دكا بعد دك أى كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا (وَجَاءَ رَبُّكَ) تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه فإن واحدا من الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة مالا يظهر بحضور عساكره وخواصه، وعن ابن عباس أمره وقضاؤه (وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) أى ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والإنس (وَجِاىءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) قيل إنها برزت لأهلها كقوله: وبرزت الجحيم للغاوين. وقيل هو مجرى على حقيقته ففى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها (يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ) أى يتعظ (وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ) ومن أين له منفعة الذكرى (يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى) هذه وهى حياة الآخرة أى ياليتنى قدمت الأعمال الصالحة فى الحياة الفانية لحياتى الباقية (فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ) أى لا يتولى عذاب الله أحد لأن الأمر لله وحده فى ذلك اليوم (وَلَا يُوثِقُ) بالسلاسل والأغلال (وَثَاقَهُ أَحَدٌ) قال صاحب الكشاف: لايعذب أحد أحدا كعذاب الله ولايوثق

أحداً أحداً كوثاق الله. لايعذب ولايوثق على وهى قراءة رسول الله ﷺ ورجع إليها أبوعمرو فى آخر عمره والضمير يرجع إلى الإنسان الموصوف وهو الكافر وقيل هو أبىّ بن خلف أى لايعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وعناده ثم يقول الله تعالى للمؤمن (يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ) إكراماله كما كلم موسى عليه السلام أويكون على لسان ملك (ٱلْمُطْمَئِنَّةُ) الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن وهى النفس المؤمنة أو المطمئنة إلى الحق التى سكّنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الأول قراءة أبى يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة وإنما يقال لها عند الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنة (ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ) موعد (رَبِّكِ) أوثواب ربك (رَاضِيَةً) من الله بما أوتيت (مَّرْضِيَّةً) عند الله بماعملت (فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى) فى جملة عبادى الصالحين فانتظمى فى سلكهم (وَٱدْخُلِى جَنَّتِى) معهم وقال أبو عبيدة أى مع عبادى أو بين عبادى أى خواصى كما قال: وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين. وقيل النفس الروح ومعناه فادخلى فى أجساد عبادى كقراءة عبد الله بن مسعود فى جسد عبدى ولما مات ابن عباس بالطائف جاء طائر لم ير على خلقته فدخل فى نعشه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم يدر من تلاها. قيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وقيل فى خبيب بن عدى الذى صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه إلى المدينة فقال: اللهم إن كان لى عندك خير فحول وجهى نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد أن يحوله وقيل هى عامة فى المؤمنين إذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب .

﴿ سورة البلد مكية وهى عشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على أن الإنسان خلق مغمورا فى مكابدة المشاق واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ) أى ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد يعنى مكة كما يستحل الصيد فى غير الحرم عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويستحلون إخراجك وقتلك وفيه

تثبيت لرسول الله ﷺ وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم فى عداوته أو سلى رسول الله بالقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بأن وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال : وأنت حل بهذا البلد أى وأنت حل به فى المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر وذلك أن الله تعالى فتح عليه مكة وأحلها له وماافتحت على أحد قبله ولاأحلت له فأحل ماشاء وحرم ماشاء قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبى سفيان ونظير قوله وأنت حل فى الاستقبال قوله : إنك ميت وإنهم ميتون . وكفاك دليلا على أنه للاستقبال أن السورة مكية بالاتفاق وأين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) هما آدم وولده أو كل والد وولده أو إبراهيم وولده ومابمعنى من أو بمعنى الذى (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَٰنَ) جواب القسم (فِى كَبَدٍ) مشقة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعن ذى النون لم يزل مربوطا بحبل القضاء مدعوا إلى الائتمار والانتهاء والضمير فى (أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ) لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله ﷺ يكابد منهم ما يكابد ثم قيل هو أبو الأشد وقيل الوليد بن المغيرة والمعنى أيظن هذا الصنديد القوى فى قومه المتضعف للمؤمنين أن لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام منه ثم ذكر ما يقوله فى ذلك اليوم وأنه (يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا) أى كثيرا جمع لبدة وهو ما تلبد أى كثر واجتمع يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ومعالى (أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ) حين كان ينفق ماينفق رياء وافتخارا يعنى أن الله تعالى كان يراه وكان عليه رقيبا ثم ذكر نعمه عليه فقال (أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ) يبصر بهما المرئيات (وَلِسَانًا) يعبر عما فى ضميره (وَشَفَتَيْنِ) يستر بهما ثغره ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ (وَهَدَيْنَٰهُ النَّجْدَيْنِ) طريقى الخير والشر المفضيين إلى الجنة والنار وقيل الثديين (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا) يعنى فلم يشكر تلك الأيادى والنعم بالأعمال الصالحة من فك الرقاب أو إطعام اليتامى والمساكين ثم بالإيمان الذى هو أصل كل طاعة وأساس

كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى أن الإنفاق على هذا الوجه مرضى نافع عند الله لا أن يهلك ماله لبدا فى الرياء والفخار وقلما تستعمل لا مع الماضى إلا مكررة وإنما لم تكرر فى الكلام الأفصح لأنه لما فسر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار كأنه أعاد لا ثلاث مرات وتقديره فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا ولا آمن. والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقُحمة الشدة فجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحامالها لما فى ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان. والمراد بقوله ما العقبة ما اقتحامها ومعناه أنك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله وفك الرقبة تخليصها من الرق والإعانة فى مال الكتابة . فكَّ رقبةً أو أطعم مكى وأبو عمرو وعلى على الإبدال من اقتحم العقبة وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض. غيرهم فكٌّ رقبةٍ أو إطعامٌ على: اقتحامها فك رقبة أو إطعام والمسغبة المجاعة والمقربة القرابة والمتربة الفقر مفعلات من سغب إذا جاع وقرب فى النسب يقال فلان ذو قرابتى وذو مقربتى. وترب إذا افتقر ومعناه التصق بالتراب فيكون مأواه المزابل ووصف اليوم بذى مسغبة كقولهم همٌّ ناصب أى ذو نصب ومعنى ثم كان من الذين آمنوا أى داوم على الإيمان وقيل ثم بمعنى الواو وقيل إنما جاء بثم لتراخى الإيمان وتباعده فى الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا فى الوقت إذ الإيمان هو السابق على غيره ولا يثبت عمل صالح إلا به (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) عن المعاصى وعلى الطاعات والمحن التى يبتلى بها المؤمن (وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) بالتراحم فيما بينهم (أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ الْمَيْمَنَةِ) أى الموصوفون بهذه الصفات من أصحاب الميمنة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا) بالقرآن أو بدلائلنا (هُمْ أَصْحَٰبُ الْمَشْأَمَةِ) أصحاب الشمال والميمنة والمشأمة اليمين والشمال أو اليمن والشؤم أى الميامين على أنفسهم والمشائيم عليهن (عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ) وبالهمز أبو عمرو وحمزة وحفص أى مطبقة من أوصدت الباب وآصدته إذا أطبقته وأغلقته والله أعلم.

﴿ سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) وضوئها إذا أشرقت وقام سلطانها (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا) تبعها فى الضياء والنور وذلك فى النصف الأول من الشهر يخلف القمر الشمس فى النور (وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا) جلى الشمس وأظهرها للرائين وذلك عندانتفاخ النهار وانبساطه لأن الشمس تنجلى فى ذلك الوقت تمام الانجلاء . وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للأرض وإن لم يجر لها ذكر كقوله: ماترك على ظهرها من دابة. (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا) يستر الشمس فتظلم الآفاق والواو الأولى فى نحو هذا للقسم بالاتفاق وكذا الثانية عند البعض وعند الخليل الثانية للعطف لأن إدخال القسم على القسم قبل تمام الأول لا يجوز ألا ترى أنك لو جعلت موضعها كلمة الفاء أو ثم لكان المعنى على حاله وهما حرفا عطف فكذا الواو ومن قال إنها للقسم احتج بأنها لو كانت للعطف لكان عطفا على عاملين[1] لأن قوله والليل مثلا مجرور بواو القسم وإذا يغشى منصوب بالفعل المقدر الذى هو أقسم فلو جعلت الواو فى والنهار إذا تجلى للعطف لكان النهار معطوفا على الليل جرا وإذا تجلى معطوفا على إذا يغشى نصبا فصار كقولك إن فى الدار زيدا أو فى الحجرة عمرا وأجيب بأن واو القسم تنزل منزلة الباء والفعل حتى لم يجز إبراز الفعل معها فصارت كأنها العاملة نصبا وجرا وصارت كعامل واحد له عملان وكل عامل له عملان يجوز أن يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتفاق نحو ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذى هو عاملهما فكذا هنا وما مصدرية فى (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا) أى وبنائها وطحوها أى بسطها وتسوية خلقها فى أحسن صورة عند البعض وليس بالوجه لقوله فألهمها لما فيه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذى بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذى سواها وإنما

---

(١) قوله على عاملين فيه حذف أى على معمولى عاملين مختلفين .

نكرت النفس لأنه أراد نفسا خاصة من بين النفوس وهى نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس أو أراد كل نفس، والتنكير للتكثير كما فى علمت نفس (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) فأعلمها طاعتها ومعصيتها أفهمها أن أحدهما حسن والآخر قبيح (قَدْ أَفْلَحَ) جواب القسم والتقدير لقد أفلح ،قال الزجاج: صار طول الكلام عوضا عن اللام وقيل الجواب محذوف وهو الأظهر تقديره ليدمدمن الله عليهم أى على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله ﷺ كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحا وأما قد أفلح فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم فى شىء (مَن زَكَّاهَا) طهرها الله وأصلحها وجعلها زاكيه (وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) أغواها الله، قال عكرمة : أفلحت نفس زكاها الله وخابت نفس أغواها الله ويجوز أن تكون التدسية والتطهير فعل العبد، والتدسية: النقص والإخفاء بالفجور وأصل دسّى دسس والياء بدل من السين المكررة (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا) بطغيانها إذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم (إِذِ انبَعَثَ) حين قام بعقر الناقة (أَشْقَاهَا) أشقى ثمود قدار بن سالف وكان أشقر أزرق قصيراً وإذ منصوب بكذبت أو بالطغوى (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ) صالح عليه السلام (نَاقَةَ اللَّهِ) نصب على التحذير أى احذروا عقرها (وَسُقْيَاهَا) كقولك الأسد الأسد (فَكَذَّبُوهُ) فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا (فَعَقَرُوهَا) أى الناقة أسند الفعل إليهم وإن كان العاقر واحدا لقوله: فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر. لرضاهم به (فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم) أهلكهم هلاك استئصال (بِذَنبِهِمْ) بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة (فَسَوَّاهَا) فسوى الدمدمة عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم (وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا) ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة أى فعل ذلك غير خائف أن تلحقه تبعة من أحد كما يخاف من يعاقب من الملوك لأنه فعل فى ملكه وملكه لا يسئل عما يفعل وهم يسألون ، فلا يخاف مدنى وشامى .

﴿ سورة الليل إحدى وعشرون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ) المغشى أما الشمس من قوله والليل إذا يغشاها أو النهار من قوله يغشى الليل النهار أو كل شيء يواريه بظلامه من قوله إذا وقب (وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ) ظهر بزوال ظلمة الليل (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ) والقادر العظيم القدرة الذى قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد وجواب القسم (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ) إن عملكم لمختلف وبيان الاختلاف فيما فصل على أثره (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ) حقوق ماله (وَاتَّقَىٰ) ربه فاجتنب محارمه (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ) بالملة الحسنى وهى ملة الإسلام أو بالمثوبة الحسنى وهى الجنة أو بالكلمة الحسنى وهى لا إله إلا الله (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ) فسنهيئه للخلة اليسرى وهى العمل بما يرضاه ربه (وَأَمَّا مَن بَخِلَ) بماله (وَاسْتَغْنَىٰ) عن ربه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ) بالإسلام أو الجنة (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ) للخلة المؤدية إلى النار فتكون الطاعة أعسر شيء عليه وأشد أو سمى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لأن عاقبتها العسر أو أراد بهما طريقى الجنة والنار (وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ) ولم ينفعه ماله إذا هلك، وتردى تفعّل من الردى وهو الهلاك أو تردى فى القبر أو فى قعر جهنم أى سقط (إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ) إن علينا الإرشاد إلى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ) فلا يضرنا ضلال من ضل ولا ينفعنا اهتداء من اهتدى أو أنهما لنا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ الطريق (فَأَنذَرْتُكُمْ) خوفتكم (نَارًا تَلَظَّىٰ) تتلهب (لَا يَصْلَاهَا) لا يدخلها للخلود فيها (إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ) إلا الكافر الذى كذب الرسل وأعرض عن الإيمان (وَسَيُجَنَّبُهَا) وسيبعد منها (الْأَتْقَى) المؤمن (الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ) للفقراء (يَتَزَكَّىٰ) من الزكاء أى يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة ويتزكى إن جعلته بدلا من يؤتى فلا محل له لأنه داخل فى حكم الصلة، والصلات لا محل لها

وإن جملته حالا من الضمير فى يؤتى فمحله النصب قال أبو عبيدة : الأشق بمعنى الشقى وهو الـكافر والأتقى بمعنى التقى وهو المؤمن لأنه لا يختص بالصلى أشقى الأشقياء ولا بالنجاة أتقى الأتقياء وإن زعمت أنه نـكر النار فأراد نارا مخصوصة بالأشقى فما تصنع بقوله: وسيجنبها الأتقى، لأن التقى يجنب تلك النار المخصوصة لا الأتقى منهم خاصة، وقيل الآية واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ فى صفتيها فقيل الأشقى وجعل مختصا بالصلى كأن النار لم تخلق إلا له وقيل الأتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق إلا له، وقيل هما أبو جهل وأبو بكر. وفيه بطلان زعم المرجئة لأنهم يقولون لا يدخل النار إلا كافر (وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ) أى وما لأحد عند الله نعمة يجازيه بها إلا أن يفعل فعلا يبتغى به وجه ربه فيجازيه عليه (ٱلْأَعْلَىٰ) هو الرفيع بسلطانه المنيع فى شأنه وبرهانه ولم يرد به العلو من حيث المـكان فذا آية الحدثان (وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ) موعد بالثواب الذى يرضيه ويقرّ عينه وهو كقوله تعالى لنبيه عليـه السلام: ولسوف يعطيك ربك فترضى .

﴿ سورة والضحى مكية وهى إحدى عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَٱلضُّحَىٰ) المراد وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وإنما خص وقت الضحى بالقسم لأنها الساعة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا أو النهار كله لمقابلته بالليل فى قوله (وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ) سكن، والمراد سكون الناس والأصوات فيه وجواب القسم (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ) ما تركك منذ اختارك وما أبغضك منذ أحبك والتوديع مبالغة فى الودع لأن من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك، روى أن الوحى تأخر عن رسول الله ﷺ أياما فقال المشركون : إن محمدا ودعه ربه وقلاه، فنزلت وحذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات فى قوله: والذاكرين الله كثيرا والذاكرات، يريد والذاكراته ونحوه: فآوى، فهدى، فأغنى وهو اختصار لفظى لظهور المحذوف (وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ

الأولىٰ) أى ما أعد الله لك فى الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود والخير الموعود خير مما أعجبك فى الدنيا، وقيل وجه اتصاله بما قبله أنه لما كان فى ضمن نفى التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحى إليك وأنك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك أخبره أن حاله فى الآخرة أعظم من ذلك لتقدمه على الأنبياء وشهادة أمته على الأمم وغير ذلك (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ) فى الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك (فَتَرْضَىٰ) ولما نزلت قال ﷺ «إذا لا أرضى قط وواحد من أمتى فى النار» واللام الداخلة على سوف لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك ونحوه لأقسم فيمن قرأ كذلك لأن المعنى لأنا أقسم وهذا لأنها إن كانت لام قسم فلامه لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد فتعين أن تكون لام الابتداء ولامه لا تدخل إلا على المبتدأ والخبر فلابد من تقدير مبتدأ وخبر كما ذكرنا كذا ذكره صاحب الكشاف، وذكر صاحب الكشف هى لام القسم واستغنى عن نون التوكيد لأن النون إنما تدخل ليؤذن أن اللام لام القسم لا لام الابتداء وقد علم أنه ليس للابتداء لدخولها على سوف لأن لام الابتداء لا تدخل على سوف وذكر أن الجمع بين حرفى التأكيد والتأخير يؤذن بأن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر ثم عدد عليه نعمه من أول حاله ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع إلا الحسنى وزيادة الخير ولا يضيق صدره ولا يقل صبره فقال (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً) وهو من الوجود الذى بمعنى العلم والمنصوبان مفعولاه والمعنى ألم تكن يتيما حين مات أبواك (فَآوَىٰ) أى فآواك إلى عمك أبى طالب وضمك إليه حتى كفلك ورباك (وَوَجَدَكَ ضَالاًّ) أى غير عالم ولا واقف على معالم النبوة وأحكام الشريعة وما طريقه السمع (فَهَدَىٰ) فعرفك الشرائع والقرآن وقيل ضل فى طريق الشام حين خرج به أبو طالب فرده إلى القافلة ولا يجوز أن يفهم به عدول عن حق ووقوع فى غى فقد كان عليه الصلاة السلام من أول حاله إلى نزول الوحى عليه معصوما من عبادة الأوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان (وَوَجَدَكَ عَائِلاً) فقيرا (فَأَغْنَىٰ) فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) فلا تزجره فابذل قليلا أورد جميلا

وعن السدى المراد طالب العلم إذا جاءك فلاتنهره (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) أى حدث بالنبوة التى آتاك الله وهى أجل النعم والصحيح أنها تعم جميع نعم الله عليه ويدخل تحته تعليم القرآن والشرائع والله أعلم .

﴿ سورة ألم نشرح مكية وهى ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح فكأنه قيل: شرحنا لك صدرك ولذا عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى أى فسحناه بماأودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين وأزلنا عنه الضيق والحرج الذى يكون مع العمى والجهل ، وعن الحسن ملىء حكمة وعلما (وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ) وخففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها ، وقيل هو زلة لا تعرف بعينها وهى ترك الأفضل مع إتيان الفاضل، والأنبياء يعاتبون بمثلها ووضعه عنه أن غفر له، والوزر: الحمل الثقيل (الَّذِى أَنقَضَ ظَهْرَكَ) أثقله حتى سمع نقيضه وهو صوت الانتقاض (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) ورفع ذكره أن قرن بذكر الله فى كلمة الشهادة والأذان والإقامة والخطب والتشهد وفى غير موضع من القرآن: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول. ومن يطع الله ورسوله. والله ورسوله أحق أن يرضوه. وفى تسميته رسول الله ونبى الله ومنه ذكره فى كتب الأولين وفائدة لك ما عرف فى طريقة الابهام والإيضاح لأنه يفهم بقوله :ألم تشرح لك أن ثم مشروحا ثم أوضح بقوله صدرك ماعلم مبهما وكذلك لك ذكرك، وعنك وزرك (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) أى إن مع الشدة التى أنت فيها من مقاساة بلاء المشركين يسرا بإظهارى إياك عليهم حتى تغلبهم وقيل كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر حتى سبق إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله فذكره ماأنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال إن مع العسر يسرا كأنه قال : خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فإن مع العسر الذى أنتم فيه يسرا، وجىء بلفظ مع لغاية مقاربة اليسر العسر زيادة فى التسلية ولتقوية القلوب ، وإنما قال عليه السلام

عندنزولها «لن يغلب عسر يسرين» لأن العسر أعيد معرفا فكان واحدا لأن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الأولى واليسر أعيد نكرة والنكرة إذا أعيدت نكرة كانت الثانية غير الأولى فصار المعنى إن مع العسر يسرين قال أبو معاذ: يقال إن مع الأمير غلاما إن مع الأمير غلاما فالأمير واحد ومعه غلامان وإذا قال: إن مع أمير غلاما وإن مع الأمير الغلام فالأمير واحد والغلام واحد وإذا قيل إن مع أمير غلاما وإن مع أمير غلاما فهما أميران وغلامان كذا فى شرح التأويلات (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ) أى فإذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد فى عبادة الرب ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء، واختلف أنه قبل السلام أو بعده ووجه الاتصال بما قبله أنه لما عدد عليه نعمه السالفة ومواعيده الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وأن يواصل بين بعضها وبعض ولا يخلى وقتا من أوقاته منها فإذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى (وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ) واجعل رغبتك إليه خصوصا ولا تسأل إلا فضله متوكلا عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

﴿ سورة والتين مكية وهى ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين الأشجار المثمرة ، روى أنه أهدى لرسول الله ﷺ طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه: « كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس » وقال: «نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وقال: هى سواكى وسواك الأنبياء قبلى» وعن ابن عباس رضى الله عنهما: هو تينكم هذا وزيتونكم هذا، وقيل هما جبلان بالشام منبتاهما (وَطُورِ سِينِينَ) أضيف الطور وهو الجبل إلى سينين وهى البقعة ونحو سينون بيرون فى جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب (وَهَٰذَا الْبَلَدِ) يعنى مكة (الْأَمِينِ) من أمن الرجل أمانة فهو

أمين وأمانته أنه يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والأولياء فنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشؤه، والطور: المكان الذى نودي منه موسى، ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد نبينا ومبعثه صلوات الله عليهم أجمعين أو الأولان قسم بمهبط الوحى على عيسى والثالث على موسى والرابع على محمد عليهم السلام وجواب القسم (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَـٰنَ) وهو جنس (فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) فى أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه (ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ) أى ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعنى أقبح من قبح صورة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل فى حسن الصورة والشكل حيث نكسناه فى خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكلّ سمعه وبصره وتغير كل شىء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف (إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) ودخل الفاء هنا دون سورة الانشقاق للجمع بين اللغتين والاستثناء على الأول متصل وعلى الثانى منقطع أى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى والزمنى فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة والخطاب فى (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) للإنسان على طريقة الالتفات أى فما سبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع والبرهان الساطع بالجزاء والمعنى أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه فى مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوى ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر على خلق الإنسان وعلى هذا كله لم يعجز عن إعادته فما سبب تكذيبك بالجزاء أو لرسول الله ﷺ أى فمن ينسبك إلى الكذب بعد هذا الدليل فما بمعنى من (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَـٰكِمِينَ) وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله وهو من الحكم والقضاء والله أعلم .

﴿ سورة العلق مكية وهى تسع عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عن ابن عباس ومجاهد هى أول سورة نزلت والجمهور على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) محل باسم ربك النصب على الحال أى اقرأ مفتتحا باسم ربك كأنه قيل: قل باسم الله ثم اقرأ الذى خلق ولم يذكر الخلق مفعولا لأن المعنى الذى حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه أو تقديره خلق كل شىء فيتناول كل مخلوق لأنه مطلق فليس بعض المخلوقات بتقديره أولى من بعض وقوله (خَلَقَ الْإِنسَانَ) تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لشرفه ولأن التنزيل إليه ويجوز أن يراد الذى خلق الإنسان إلا أنه ذكر مبهما ثم مفسرا تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته (مِنْ عَلَقٍ) وإنما جمع ولم يقل من علقة لأن الإنسان فى معنى الجمع (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) الذى له الكمال فى زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال (الَّذِى عَلَّمَ) الكتابة (بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ولولا هى لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به (كَلَّا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه (إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ) نزلت فى أبى جهل إلى آخر السورة (أَن رَّءَاهُ) أن رأى نفسه يقال فى أفعال القلوب رأيتنى وعلمتنى ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين (اسْتَغْنَىٰ) هو المفعول الثانى (إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ) تهديد للإنسان من عاقبة الطغيان على طريق الالتفات والرجعى مصدر بمعنى الرجوع أى إن رجوعك إلى ربك فيجازيك على طغيانك (أَرَءَيْتَ الَّذِى يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ) أى أرأيت أبا جهل ينهى محمدا عن الصلاة (أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى

الْهُدَىٰ) أى إن كان ذلك الناهى على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله (أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ) أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد (أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ) أرأيت إن كان ذلك الناهى مكذبا بالحق متوليا عنه كما نقول نحن (أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ) ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب حاله وهذا وعيد وقوله الذى ينهى مع الجملة الشرطية مفعولا أرأيت وجواب الشرط محذوف تقديره إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وإنما حذف لدلالة ذكره فى جواب الشرط الثانى وهذا كقولك إن أكرمتك أتكرمنى وأرأيت الثانية مكررة زائدة للتوكيد (كَلَّا) ردع لأبى جهل عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة الأصنام ثم قال (لَئِن لَّمْ يَنتَهِ) عما هو فيه (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار، والسفع: القبض على الشىء وجذبه بشدة وكتبها فى المصحف بالألف على حكم الوقف واكتفى بلام العهد عن الإضافة للعلم بأنها ناصية المذكور (نَاصِيَةٍ) بدل من الناصية لأنها وصفت بالكذب والخطأ بقوله (كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) عن الإسناد المجازى وهما لصاحبها حقيقة وفيه من الحسن والجزالة ما ليس فى قولك ناصية كاذب خاطىء (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) النادى المجلس الذى يجتمع فيه القوم والمراد أهل النادى روى أن أبا جهل مر بالنبي عليه السلام وهو يصلى فقال: ألم أنهك فأغلظ له رسول الله عليه السلام فقال: أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فنزل والزبانية لغة الشرط الواحد زبنية من الزبن وهو الدفع والمراد ملائكة العذاب وعنه عليه السلام لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا (كَلَّا) ردع لأبى جهل (لَا تُطِعْهُ) أى اثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين (وَاسْجُدْ) ودم على سجودك يريد الصلاة (وَاقْتَرِب) وتقرب إلى ربك بالسجود فإن أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد كذا الحديث والله أعلم .

﴿ سورة القدر مكية وقيل مدنية وهى خمس آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) عظم القرآن حيث أسند إنزاله إليه دون غيره وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذى أنزله فيه روى أنه أنزل جملة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم كان ينزله جبريل على رسول الله ﷺ فى ثلاث وعشرين سنة ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها والقدر بمعنى التقدير أو سميت بذلك لشرفها على سائر الليالى وهى ليلة السابع والعشرين من رمضان كذا روى أبو حنيفة رحمه الله عن عاصم عن ذر أن أبيّ بن كعب كان يحلف على ليلة القدر أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان وعليه الجمهور ولعل الداعى إلى إخفائها أن يحيى من يريدها الليالى الكثيرة طلبا لموافقتها وهذا كإخفاء الصلاة الوسطى واسمه الأعظم وساعة الإجابة فى الجمعة ورضاه فى الطاعات وغضبه فى المعاصى وفى الحديث: من أدركها يقول اللهم إنك عفوّ تحب العفو فاعف عنى (وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) أى لم تبلغ درايتك غاية فضلها ثم بين له ذلك بقوله (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) ليس فيها ليلة القدر وسبب ارتفاع فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر فى تخصيص هذه المدة أن النبى عليه الصلاة والسلام ذكر رجلا من بنى إسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ) إلى السماء الدنيا أو إلى الأرض (وَالرُّوحُ) جبريل أو خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة أو الرحمة (فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ) أى تنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل وعليه وقف (سَلَامٌ هِيَ) ماهى إلا سلامة خبر ومبتدأ أى لايقدّر الله فيها إلا السلامة والخير ويقضى فى غيرها بلاء وسلامة أو ماهى إلا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلموا عليه فى تلك الليلة (حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ) أى إلى وقت طلوع الفجر . بكسر اللام على وخلف، وقد حرم من السلام الذين كفروا والله أعلم .

﴿ سورة البينة مختلف فيها وهى ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا) بمحمد ﷺ (مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ) أى اليهود والنصارى وأهل الرجل أخص الناس به وأهل الإسلام من يدين به (وَالْمُشْرِكِينَ) عبدة الأصنام (مُنفَكِّينَ) منفصلين عن الكفر وحذف لأن صلة الذين تدل عليه (حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) الحجة الواضحة والمراد محمد ﷺ يقول لم يتركوا كفرهم حتى يبعث محمد ﷺ فلما بعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض (رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ) أى محمد عليه السلام وهو بدل من البينة (يَتْلُوا) يقرأ عليهم (صُحُفًا) قراطيس (مُّطَهَّرَةً) من الباطل (فِيهَا) فى الصحف (كُتُبٌ) مكتوبات (قَيِّمَةٌ) مستقيمة ناطقة بالحق والعدل (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ) فمنهم من أنكر نبوته بغيا وحسدا ومنهم من آمن وإنما أفرد أهل الكتاب بعد ما جمع أولا بينهم وبين المشركين لأنهم كانوا على علم به لوجوده فى كتبهم فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل فى هـــذا الوصف (وَمَا أُمِرُوا) يعنى فى التوراة والإنجيل (إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من غير شرك ولا نفاق (حُنَفَاءَ) مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الأديان الباطلة (وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) أى دين الملة القيمة (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) ونافع يهمزهما والقراء على التخفيف والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل (جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ) إقامة (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بقبول أعمالهم (وَرَضُوا عَنْهُ) بثوابها (ذَٰلِكَ) أى الرضا (لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) وقوله خير البرية يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة لأن البرية الخلق واشتقاقها من برأ الله الخلق وقيل اشتقاقها من البرى وهو التراب ولو كان كذلك لما قرءوا البريئة بالهمز كذا قاله الزجاج والله أعلم .

﴿ سورة الزلزلة مختلف فيها وهى ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) أى إذا حركت زلزالها الشديد الذى ليس بعده زلزال . وقرىء بفتح الزاء فالمكسور مصدر والمفتوح اسم (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) أى كنوزها وموتاها جمع ثقل وهو متاع البيت جعل مافى جوفها من الدفائن أثقالا لها (وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت مافى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاها أحياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (يَوْمَئِذٍ) بدل من إذا وناصبها (تُحَدِّثُ) أى تحدث الخلق (أَخْبَارَهَا) فحذف أول المفعولين لأن المقصود ذكر تحديثها الإخبار لا ذكر الخلق قيل ينطقها الله وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وفى الحديث: تشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا) أى تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها أى إليها وأمره إياها بالتحديث (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ) يصدرون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف (أَشْتَاتًا) بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين أو يصدرون عن الموقف أشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار (لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) أى جزاء أعمالهم (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) نملة صغيرة (خَيْرًا) تمييز (يَرَهُ) أى ير جزاءه (وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) قيل هذا فى الكفار والأول فى المؤمنين ويروى أن أعرابيا أخر خيرا يره فقيل له قدمت وأخرت فقال :

خذا بطن هرشى أو قفاها فإنه ... كلا جانبي هرشى لهن طريق

وروى أن جد الفرزدق أتاه عليه السلام ليستقرئه فقرأ عليه هذه الآية فقال : حسبي حسبي وهى أحكم آية وسميت الجامعة والله أعلم .

﴿ سورة العاديات مختلف فيها وهى إحدى عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا) أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح، والضبح: صوت أنفاسها إذا عدون وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه حكاه فقال أح أح وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا (فَالْمُورِيَـٰتِ) تورى نار الحباحب وهى ماينقدح من حوافرها (قَدْحًا) قادحات صاكات بحوافرها الحجارة ، والقدح: الصك، والإيراء : إخراج النار، تقول قدح فأورى وقدح فأصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا (فَالْمُغِيرَٰتِ) تغير على العدو (صُبْحًا) فى وقت الصبح (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا) فهيجن بذلك الوقت غبارا (فَوَسَطْنَ بِهِ) بذلك الوقت (جَمْعًا) من جموع الأعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة أو للعدو الذى دل عليه والعاديات وعطف فأثرن على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه لأن المعنى واللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن وجواب القسم (إِنَّ الْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) لكفور أى إنه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران (وَإِنَّهُ) وإن الإنسان (عَلَىٰ ذَٰلِكَ) على كنوده (لَشَهِيدٌ) يشهد على نفسه أو وإن الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) وإنه لأجل حب المال لبخيل ممسك أو إنه لحب المال لقوى وهو لحب عبادة الله ضعيف (أَفَلَا يَعْلَمُ) الإنسان (إِذَا بُعْثِرَ) بعث (مَا فِى الْقُبُورِ) من الموتى وما بمعنى من (وَحُصِّلَ مَا فِى الصُّدُورِ) ميز ما فيها من الخير والشر (إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ) لعالم فيجازيهم على أعمالهم من الخير والشر وخص يومئذ بالذكر وهو عالم بهم فى جميع الأزمان لأن الجزاء يقع يومئذ والله أعلم .

﴿ سورة القارعة مكية وهى ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الْقَارِعَةُ) مبتدأ (مَا) مبتدأ ثان (الْقَارِعَةُ) خبره والجملة خبر المبتدأ الأول ، وكان حقه ماهى

وإنما كرر تفخيما لشأنها (وَمَآ أَدْرَٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ) أى أىّ شىء أعلمك ما هى ومن أين علمت ذلك (يَوْمَ) نصب بمضمر دلت عليه القارعة أى تقرع يوم (يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ) شبههم بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره (وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ) وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألونا لأنها ألوان ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها (فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُ) باتباعهم الحق وهى جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان وثقلها رجحانها (فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ) ذات رضا أو مرضية (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُ) باتباعهم الباطل (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) فمسكنه ومأواه النار وقيل للمأوى أمّ على التشبيه لأن الأم مأوى الولد ومفزعه (وَمَآ أَدْرَٰكَ مَاهِيَهْ) الضمير يعود إلى هاوية والهاء للسكت ثم فسرها فقال (نَارٌ حَامِيَةٌ) بلغت النهاية فى الحرارة والله أعلم .

﴿ سورة التكاثر مكية وهى ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ) شغلكم التبارى فى الكثرة والتباهى بها فى الأموال والأولاد عن طاعة الله (حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ) حتى أدرككم الموت على تلك الحال أو حتى زرتم المقابر وعددتم من فى المقابر من موتاكم (كَلَّا) ردع وتنبيه على أنه لا ينبغى للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولايهتم بدينه (سَوْفَ تَعْلَمُونَ) عند النزع سوءعاقبة ما كنتم عليه (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) فى القبور (كَلَّا) تكرير الردع للإنذار والتخويف (لَوْ تَعْلَمُونَ) جواب لو محذوف أى لو تعلمون ما بين أيديكم (عِلْمَ ٱلْيَقِينِ) علم الأمر يقين أى كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور لما ألهاكم التكاثر أو لفعلتم مالا يوصف ولكنكم ضلال جهلة (لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ) هو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد لترون، بضم التاء شامى وعلى (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا) كرره معطوفا بثم تغليظا فى التهديد وزيادة فى التهويل أو

الأول بالقلب والثانى بالعين (عَيْنَ الْيَقِينِ) أى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصته (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) عن الأمن والصحة فيم أفنيتموهما عن ابن مسعود رضى الله عنه وقيل عن التنعم الذى شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه وعن الحسن: ماسوى كنّ يؤويه وثوب يواريه وكسرة تقويه وقد روى مرفوعا والله أعلم .

﴿ سورة والعصر مختلف فيها وهى ثلاث آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالْعَصْرِ) أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى: والصلاة الوسطى صلاة العصر فى مصحف حفصة ولأن التكليف فى أدائها أشق لتهافت الناس فى تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم أو أقسم بالعشى كما أقسم بالضحى لما فيها من دلائل القدرة أو أقسم بالزمان لما فى مروره من أصناف العجائب وجواب القسم (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ) أى جنس الإنسان لفى خسران من تجاراتهم (إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) بالأمر الثابت الذى لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) عن المعاصى وعلى الطاعات وعلى مايبلو به الله عباده، وتواصوا فى الموضعين فعل ماض معطوف على ماض قبله والله أعلم .

﴿ سورة الهمزة مكية وهى تسع آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَيْلٌ) مبتدأ خبره (لِكُلِّ هُمَزَةٍ) أى الذى يعيب الناس من خلفهم (لُمَزَةٍ) أى من يعيبهم مواجهة وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه قيل نزلت فى الأخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح (الَّذِى) بدل من كل أو نصب على الذم

(جَمَعَ مَالاً) جمّع شامى وحمزة وعلى مبالغة جمع وهو مطابق لقوله (وَعَدَّدَهُ) أى جعله عدة لحوادث الدهر (يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ) أى تركه خالدا فى الدنيا لا يموت أو هو تعريض بالعمل الصالح وأنه هو الذى أخلد صاحبه فى النعيم فأما المال فما أخلد أحدا فيه (كَلاَّ) ردع له عن حسبانه (لَيُنبَذَنَّ) أى الذى جمع (فِي الْحُطَمَةِ) فى النار التى شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها (وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا الْحُطَمَةُ) تعجيب وتعظيم (نَارُ اللَّهِ) خبر مبتدأ محذوف أى هى نار الله (الْمُوقَدَةُ) نعتها (الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ) يعنى أنها تدخل فى أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهى أوساط القلوب ولا شىء فى بدن الإنسان ألطف من الفؤاد ولا أشد تألما منه بأدنى أذى يمسه فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ، وقيل خص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة ومعنى اطلاع النار عليها أنها تشتمل عليها (إِنَّهَا عَلَيْهِم) أى النار أو الحطمة (مُّؤْصَدَةٌ) مطبقة (فِي عَمَدٍ) بضمتين كوفى غير حفص، الباقون فى عَمَد وهما لغتان فى جمع عماد كإهاب وأهب وحمار وحمر (مُّمَدَّدَةٍ) أى تؤصد عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب العمد استيثاقا فى استيثاق فى الحديث: المؤمن كيس فطن وقاف متثبت لا يعجل عالم ورع والمنافق همزة لمزة حطمة[1] كحاطب الليل لا يبالى من أين اكتسب وفيم أنفق والله أعلم .

﴿ سورة الفيل مكية وهى خمس آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ) كيف فى موضع نصب بفعل لا بألم تر لما فى كيف من معنى الاستفهام والجملة سدت مسد مفعولى تر وفى ألم تر تعجيب أى عجّب الله نبيه من كفر العرب وقد شاهدت هذه العظمة من آيات الله والمعنى إنك رأيت آثار صنع الله بالحبشة وسمعت الأخبار به متواترا فقامت لك مقام المشاهدة (بِأَصْحَٰبِ الْفِيلِ) روى أن أبرهة ابن الصباح ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد

---

(١) قوله حطمة أى كثير الأكل، كما فى المختار .

أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثناعشر فيلاغيره فلما بلغ المغمس خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبى جيشه وقدم الفيل وكان كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن هرول وأرسل الله طيرا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا، وما مات أبرهة حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وروى أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج إليه فيها فعظم فى عينه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رءوس الجبال فلما ذكر حاجته قال: سقطت من عينى جئت لأهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وشرفكم فى قديم الدهر فألهاك عنه ذود أخذلك فقال: أنا رب الإبل وللبيت رب سيمنعه (أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ) فى تضييع وإبطال يقال ضلل كيده إذا جعله ضالا ضائعا وقيل لامرىء القيس: الملك الضليل لأنه ضلل ملك أبيه أى ضيعه يعنى أنهم كادوا البيت أولا ببناء القليس ليصرفوا وجوه الحاج إليه فضلل كيدهم بإيقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بإرادة هدمه فضلل كيدهم بإرسال الطيرعليهم (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ) حزائق الواحدة إبالة قال الزجاج: جماعات من ههنا وجماعات من ههنا (تَرْمِيهِم) وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه يرميهم أى الله أو الطير لأنه اسم جمع مذكر وإنما يؤنث على المعنى (بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ) هو معرب من سنككل وعليه الجمهور أى الآجر (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ) زرع أكله الدود.

﴿ سورة قريش مكية وهى أربع آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ) متعلق بقوله فليعبدوا أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين ودخلت الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط أى إن نعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التى هى نعمة ظاهرة أوبما قبله أى فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش يعنى أن ذلك الإتلاف لهذا الإيلاف وهذا كالتضمين فى الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقا لا يصح إلا به وهما فى مصحف أبىّ سورة واحدة بلا فصل ويروى عن الكسائى ترك التسمية بينهما والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن فى رحلتيهم فلا يجترئ أحد عليهم وقيل المعنى اعجبوا لإيلاف قريش ، لإلاف قريش شامى أى لمؤالفة قريش وقيل يقال ألفته ألفا وإلافا وقريش ولد النضر بن كنانة سموه بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا تطاق إلا بالنار والتصغير للتعظيم فسموه بذلك لشدتهم ومنعتهم تشبيها بها وقيل من القرش وهو الجمع والكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد (إِيلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ) أطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لأمر الإيلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بإيلافهم مفعولا به وأراد رحلتى الشتاء والصيف فأفرد لأمن الإلباس وكانت لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء إلى اليمن وفى الصيف إلى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا فى رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ) والتنكير فى جوع وخوف لشدتهما يعنى أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف فى بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء إبراهيم عليه السلام .

﴿ سورة الماعون مختلف فيها وهى سبع آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أَرَءَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) أى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء من هو إن لم تعرفه (فَذَٰلِكَ الَّذِى) يكذب بالجزاء هو الذى (يَدُعُّ الْيَتِيمَ) أى يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة (وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ) ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف أى لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشى الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين أقدم عليه دل أنه مكذب بالجزاء ثم وصل به قوله (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) يعنى بهذا المنافقين لا يصلونها سرا لأنهم لا يعتقدون وجوبها ويصلونها علانية رياء وقيل فويل للمنافقين الذين يدخلون أنفسهم فى جملة المصلين صورة وهم غافلون عن صلاتهم وأنهم لا يريدون بها قربة إلى ربهم ولا تأدية للفرض فهم ينخفضون ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون ويظهرون للناس أنهم يؤدون الفرائض ويمنعون الزكاة وما فيه منفعة وعن أنس والحسن قالا : الحمد لله الذى قال : عن صلاتهم ولم يقل فى صلاتهم لأن معنى عن أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها ذلك فعل المنافقين ومعنى فى أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يخلو عنه مسلم وكان رسول الله ﷺ يقع له السهو فى صلاته فضلا عن غيره والمراءاة مفاعلة من الإراءة لأن المرائى يرائى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا بإظهار الفرائض فمن حقها الإعلان بها لقوله ﷺ : ولا غمة فى فرائض الله والإخفاء فى التطوع أولى فإن أظهره قاصداً للاقتداء به كان جميلا، والماعون: الزكاة وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما يتماور فى العادة من الفأس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها، وعن عائشة رضى الله عنها : الماء والنار والملح والله أعلم.

﴿ سورة الكوثر مكية وهى ثلاث آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ) هو فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة وقيل: هو نهر فى الجنة أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة، وعن ابن عباس رضى الله عنهما: هو الخير الكثير فقيل له إن ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) فاعبد ربك الذى أعزك بإعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله (وَٱنْحَرْ) لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفا لعبدة الأوثان فى النحر لها (إِنَّ شَانِئَكَ) أى من أبغضك من قومك بمخالفتك لهم (هُوَ ٱلْأَبْتَرُ) المنقطع عن كل خير لا أنت لأن كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك فى الآخرة مالا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له أبتر إنما الأبتر هو شانئك المنسى فى الدنيا والآخرة قيل نزلت فى العاص بن وائل سماه الأبتر، والأبتر الذى لا عقب له وهو خبر إن وهو فصل .

﴿ سورة الكافرين ست آيات مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ) المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله أنهم لا يؤمنون روى أن رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فقال: معاذالله أن أشرك بالله غيره، قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فنزلت فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم فآيسوا (لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) أى لست فى حالى هذه عابدا ماتعبدون (وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ) الساعة (مَآ أَعْبُدُ) يعنى الله (وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ) ولا أعبد فيما أستقبل من الزمان ماعبدتم (وَلَآ أَنتُمْ) فيما تستقبلون (عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ) وذكر بلفظ ما لأن المراد به الصفة أى لا أعبد الباطل

ولا تعبدون الحق أو ذكر بلفظ ما ليتقابل اللفظان ولم يصح فى الأول من وصح فى الثانى مابمعنى الذى (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) لكم شرككم ولى توحيدى، وبفتح الياء نافع وحفص، وروى أن ابن مسعود رضى الله عنه دخل المسجد والنبي ﷺ جالس فقال له : نابذ يا ابن مسعود فقرأ قل يا أيها الكافرون ثم قال له فى الركعة الثانية : أخلص . فقرأ قل هو الله أحد فلما سلم ، قال: يا ابن مسعود سل تجب والله أعلم .

﴿ سورة النصر مدنية وهى ثلاث آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِذَا) منصوب بسبح وهو لما يستقبل والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة وروى أنها نزلت فى أيام التشريق بمنى فى حجة الوداع (جَآءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) النصر الإغاثة والإظهار على العدو والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله ﷺ على العرب أو على قريش وفتح مكة أوجنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم (وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ) هو حال من الناس على أن رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت أو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت (فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا) هو حال من فاعل يدخلون وجواب إذا فسبح أى إذا جاء نصر الله إياك على من ناواك وفتح البلاد ورأيت أهل اليمن يدخلون فى ملة الإسلام جماعات كثيرة بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) فقل: سبحان الله حامدا له أو فصل له (وَاسْتَغْفِرْهُ) تواضعا وهضما للنفس أو دم على الاستغفار (إِنَّهُ كَانَ) ولم يزل (تَوَّابًا) التواب الكثير القبول للتوبة وفى صفة العباد الكثير الفعل للتوبة ويروى أن عمر رضى الله عنه لما سمعها بكى وقال : الكمال دليل الزوال وعاش رسول الله ﷺ بعدها سنتين والله أعلم .

﴿ سورة أبي لهب مكية وهي خمس آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) التباب الهلاك ومنه قولهم أشابّة أم تابّة أي هالكة من الهرم والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى أخذ حجرا ليرمي به رسول الله ﷺ (وَتَبَّ) وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل، كقوله :

جزاني جزاء الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وقد دلت عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: وقد تبّ ، روى أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقي الصفا وقال : ياصباحاه فاستجمع إليه الناس من كل أوب . فقال عليه الصلاة والسلام: يابني عبدالمطلب يابني فهر إن أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أ كنتم مصدقي. قالوا : نعم . قال . فإني نذير لكم بين يدي الساعة فقال أبو لهب : تبا لك ألهذا دعوتنا فنزلت وإنما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بها دون الاسم أو لكراهة اسمه فاسمه عبدالعزى أو لأن مآله إلى نار ذات لهب فوافقت حاله كنيته ، أبي لَهْب مكي (مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ) ما للنفي (وَمَا كَسَبَ) مرفوع وما موصولة أومصدرية أي ومكسوبه أو وكسبه أي لم ينفعه ماله الذي ورثه من أبيه أو الذي كسبه بنفسه أو ماله التالد والطارف، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده. وروى أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أخي حقا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي (سَيَصْلَىٰ نَارًا) سيدخل سيصلى البرجمي عن أبي بكر والسين للوعيد أي هو كائن لا محالة وإن تراخى وقته (ذَاتَ لَهَبٍ) توقد (وَامْرَأَتُهُ) هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها بالليل في طريق رسول الله ﷺ وقيل كانت تمشي بالنميمة فتشعل نار العداوة بين الناس ونصب عاصم حمالة الحطب على الشتم وأنا أحب هذه القراءة وقد توسل إلى رسول الله ﷺ بجميل من أحب شتم أم جميل . وعلى هذا يسوغ الوقف على امرأته لأنها عطفت على الضمير في سيصلى أي سيصلى هو وامرأته والتقدير أعني حمالة الحطب، وغيره رفع حمالة الحطب على

أنها خبر وامرأته أو هى حمالة (فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) حال أو خبر آخر والمسد الذى فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أو جلد أو غيرهما والمعنى فى جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات لتجزع من ذلك ويجزع بعلها وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدة والله أعلم .

﴿سورة الإخلاص أربع آيات مكية عند الجمهور وقيل مدنية عند أهل البصرة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) هو ضمير الشأن والله أحد هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هذا وهو أن الله واحد لا ثانى له ومحل هو الرفع على الابتداء والخبر هو الجملة ولا يحتاج إلى الراجع لأنه فى حكم المفرد فى قولك زيد غلامك فى أنه هو المبتدأ فى المعنى وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن الذى عبارة عنه وليس كذلك زيد أبوه منطلق فإن زيدا أو الجملة يدلان على معنيين مختلفين فلابد مما يصل بينهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما: قالت قريش: يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا إليه فنزلت يعنى الذى سألتمونى وصفه هو الله تعالى وعلى هذا أحد خبر مبتدأ محذوف أى هو أحد وهو بمعنى واحد وأصله وحد فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا والدليل على أنه واحد من جهة العقل أن الواحد إما أن يكون فى تدبير العالم وتخليقه كافيا أولا فإن كان كافيا كان الآخر ضائعا غير محتاج إليه وذلك نقص والناقص لا يكون إلها وإن لم يكن كافيا فهو ناقص ولأن العقل يقتضى احتياج المفعول إلى فاعل والفاعل الواحد كاف وماوراء الواحد فليس عدد أولى من عدد فيفضى ذلك إلى وجود أعداد لا نهاية لها وذا محال فالقول بوجود إلهين محال ولأن أحدهما إما أن يقدر على أن يستر شيئا من أفعاله عن الآخر أو لا يقدر فإن قدر لزم كون المستور عنه جاهلا وإن لم يقدر لزم كونه عاجزا ولأنا لو فرضنا معدوما ممكن الوجود فإن لم يقدر واحد منهما على إيجاده كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون إلها وإن قدر أحدهما دون الآخر فالآخر لا يكون إلها وإن

قدرا جميعا فإما أن يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا إلى إعانة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزا وإن قدر كل واحد منهما على إيجاده بالاستقلال فإذا أوجده أحدهما فإما أن يبقى الثانى قادرا عليه وهو محال لأن إيجاد الموجود محال وإن لم يبق فحينئذ يكون الأول مزيلا قدرة الثانى فيكون عاجزا ومقهورا تحت تصرفه فلا يكون إلها فإن قلت الواحد إذا أوجد مقدور نفسه فقد زالت قدرته فيلزمكم أن يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا الواحد إذا أوجد مقدور نفسه فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته لا يكون عاجزا وأما الشريك فانفذت قدرته بل زالت قدرته بسبب قدرة الآخر فكان ذلك تعجيزا (اللَّهُ الصَّمَدُ) هو فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده وهو السيد المصمود إليه فى الحوائج والمعنى هو الله الذى تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والأرض وخالقكم وهو واحد لا شريك له وهو الذى يصمد إليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغنى عنهم (لَمْ يَلِدْ) لأنه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله: أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (وَلَمْ يُولَدْ) لأن كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا أول لوجوده إذ لو لم يكن قديما لكان حادثا لعدم الواسطة بينهما ولو كان حادثا لافتقر إلى محدث وكذا الثانى والثالث فيؤدى إلى التسلسل وهو باطل وليس بجسم لأنه اسم للمتركب ولا يخلو حينئذ من أن يتصف كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء إلها فيفسد القول به كما فسد بإلهين أو غير متصف بها بل بأضدادها من سمات الحدوث وهو محال (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) ولم يكافئه أحد أى لم يماثله، سألوه أن يصفه لهم فأوحى إليه ما يحتوى على صفاته تعالى ، فقوله: هو الله إشارة إلى أنه خالق الأشياء وفاطرها، وفى طى ذلك وصفه بأنه قادر عالم لأن الخلق يستدعى القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية إحكام واتساق وانتظام ، وفى ذلك وصفه بأنه حى لأن المتصف بالقدرة والعلم لا بد وأن يكون حيا، وفى ذلك وصفه بأنه سميع بصير مريد متكلم إلى غير ذلك من صفات الكمال إذ لو لم يكن موصوفا بها لكان موصوفا بأضدادها وهى نقائص وذا من أمارات الحدوث فيستحيل اتصاف القديم بها، وقوله: أحد وصف بالوحدانية ونفى الشريك وبأنه المتفرد بإيجاد المعدومات والمتوحد بعلم الخفيات ،

وقوله: الصمد وصف بأنه ليس إلا محتاجا إليه وإذا لم يكن إلا محتاجا إليه فهو غنى لا يحتاج إلى أحد ويحتاج إليه كل أحد ، وقوله لم يلد نفى للشبه والمجانسة، وقوله ولم يولد نفى للحدوث ووصف بالقدم والأولية، وقوله ولم يكن له كفوا أحد نفى أن يماثله شىء ومن زعم أن نفى الكفء وهو المثل فى الماضى لا يدل على نفيه للحال والكفار يدعونه فى الحال فقد تاه فى غيه لأنه إذا لم يكن فيما مضى لم يكن فى الحال ضرورة إذ الحادث لا يكون كفؤا للقديم، وحاصل كلام الكفرة يئول إلى الإشراك والتشبيه والتعطيل والسورة تدفع الكل كما قررنا واستحسن سيبويه تقديم الظرف إذا كان مستقرا أى خبرا لأنه لما كان محتاجا إليه قدم ليعلم من أول الأمر أنه خبر لا فضلة وتأخيره إذا كان لغوا أى فضلة لأن التأخير مستحق للفضلات وإنما قدم فى الكلام الأفصح لأن الكلام سيق لنفى المكافأة عن ذات البارى سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان الأهم تقديمه وكان أبو عمرو يستحب الوقف على أحد ولا يستحب الوصل، قال عبد الوارث على هذا أدركنا القراء وإذا وصل نوّن وكسر أو حذف التنوين كقراءة عزير ابن الله ، كفؤا بسكون الفاء والهمزة حمزة وخلف كفُواً مثقلة غير مهموزة حفص. الباقون مثقلة مهموزة. وفى الحديث: من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لأن القرآن يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى الأوامر والنواهى وعلى القصص والمواعظ وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات فقد تضمنت ثلث القرآن وفيه دليل شرف علم التوحيد وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله اللهم احشرنا فى زمرة العالمين بك العاملين لك الراجين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك ، وسمع رسول الله ﷺ رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال : وجبت . فقيل : يارسول الله ما وجبت؟ قال : وجبت له الجنة .

﴿ سورة الفلق مختلف فيها وهى خمس آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) أى الصبح او الخلق أوهو واد فى جهنم أوجب فيها (مِن شَرِّ مَا خَلَقَ) أى النار أو الشيطان وما موصولة والعائد محذوف أو مصدرية ويكون الخلق بمعنى المخلوق وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه من شر بالتنوين وما على هذا مع الفعل بتأويل المصدر فى موضع الجر بدل من شر أى شر خلقه أى من خلق شر أو زائدة (وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) الغاسق: الليل إذااعتكرظلامه، ووقوبه دخول ظلامه فى كل شىء، وعن عائشة رضى الله عنها أخذ رسول الله ﷺ بيدى فأشار إلى القمر فقال : تعوذى بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب ووقوبه دخوله فى الكسوف واسوداده (وَمِن شَرِّ النَّفَّٰثَٰتِ فِي الْعُقَدِ) النفاثات: النساء أوالنفوس أوالجماعات السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها ويرقين، والنفث : النفخ مع ريق وهودليل على بطلان قول المعتزلة فى إنكار تحقق السحر وظهور أثره (وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) أى إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه لأنه إذا لم يظهر فلاضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وهو الأسف على الخير عند الغير والاستعاذة من شر هذه الأشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق إشعار بأن شر هؤلاء أشد وختم بالحسد ليعلم أنه شرها وهو أول ذنب عصى الله به فى السماء من إبليس وفى الأرض من قابيل وإنما عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لأن كل نفاثة شريرة فلذا عرفت النفاثات ونكر غاسق لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون فى بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لايضر ورب حسد يكون محمودا كالحسد فى الخيرات والله أعلم .

﴿ سورة الناس مختلف فيها وهى ست آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) أى مربيهم ومصلحهم (مَلِكِ النَّاسِ) مالكهم ومدبر أمورهم (إِلَٰهِ النَّاسِ) معبودهم ولم يكتف بإظهار المضاف إليه مرة واحدة لأن قوله: ملك الناس إله الناس عطف بيان لرب الناس لأنه يقال لغيره رب الناس وملك الناس وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه وعطف البيان للبيان فكأنه مظنة للإظهار دون الإضمار وإنما أضيف الرب إلى الناس خاصة وإن كان رب كل مخلوق تشريفا لهم ولأن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذى يملك عليهم أمورهم وهو إلههم ومعبودهم وقيل أراد بالأول الأطفال ومعنى الربوبية يدل عليه وبالثانى الشبان ولفظ الملك المنبىء عن السياسة يدل عليه وبالثالث الشيوخ ولفظ الإله المنبىء عن العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحين إذ الشيطان مولع بإغوائهم وبالخامس المفسدين لعطفه على المعوذ منه (مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ) هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمى بالمصدر كأنه وسوسة فى نفسه لأنها شغله الذى هو عاكف عليه أو أريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفى (الْخَنَّاسِ) الذى عادته أن يخنس منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روى عن سعيد بن جبير إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى وإذا غفل رجع ووسوس إليه (الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ) فى محل الجر على الصفة أو الرفع أو النصب على الشتم وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) بيان للذى يوسوس على أن الشيطان ضربان جنى وإنسى كما قال شياطين الإنس والجن وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الإنس روى أنه عليه السلام سحر فمرض فجاءه ملكان وهو نائم فقال أحدهما لصاحبه : ما باله . فقال : طُبَّ . قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن أعصم اليهودى . قال : وبم طبه ؟ قال : بمشط ومشاطة فى جف طلعة تحت راعوفة فى بئر ذى أروان فانتبه ﷺ فبعث زبيرا وعليا وعمارا رضى الله عنهم

فنزحوا ماء البئر وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه وإذا فيه وتر معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر فنزلت هاتان السورتان فكلما قرأ جبريل آية انحلت عقدة حتى قام ﷺ عند انحلال العقدة الأخيرة كأنما نشط من عقال وجعل جبريل يقول: باسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك. ولهذا جوز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان بالسريانية والعبرانية والهندية فإنه لا يحل اعتقاده والاعتماد عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا وأقوالنا ومن شر ما عملنا وما لم نعمل ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيه أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الأنام وأصحابه مفاتيح دار السلام صلاة دائمة ما دامت الليالي والأيام.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين
وعلى آله هداة الأنام وأصحابه نجوم الإسلام (وبعد) فقد تم طبع
هذا التفسير الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق
التأويل لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود
النسفي رحمه الله وجعل الجنة
متقلبه ومثواه

